المسلمون وجهادهم ضد الروم

في أرمينية والثغور الجزرية والشامية
خلال القرن الرابع الهجري

دكتور صابر محمد دياب
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة القاهرة - الخرطوم

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكي ت ٣١٠٧٣

المسلمون وجهادهم ضد الروم

في أرمينية والثغور الجزرية والشامية

خلال القرن الرابع الهجري

دكتور صابر محمد دياب
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة القاهرة - الخرطوم

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكي ت ٣١٠٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصـــلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، وكل من تبعه باحسان الى يوم الدين . . وبعد :

فالمعروف أنه منذ بدأ نور الاسلام يسطع على العالمين خـــارج الجزيرة العربية ـــ بعد تأسيس النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، دولته فى يثرب ؛ ودعوته الملوك والأباطرة والأمراء المعـــاصرين له الى الاســـلام ـــ والحرب قائمـــة والصراع مستمر ضد العـــالم الاسلامى من جانب الروم . فتارة يشتد أواره وأخرى تهدأ حدته ، الى حـــالة أشبه ما تكون بالهدنة المؤقتـــة ، التى تكون غالبا لانشغال الروم بمشاكل داخليـــة أو خارجية على الجبهات البيزنطية الأخرى سواء فى الشمال أو الغرب .

وعلى هذا نستطيع القول أن موقف الروم من العـــالم الاسلامى ودولته وأمته تأرجح صعودا بين الحـــرب والســـلام ، وبين العـــداء والمهادنة . وذلك وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال فى العالمين الاسلامى والبيزنط .

وابتداءا من منتصف القرن الثالث الهجرى ، اتخذ البيزنطيون من الحـــالة السيئة التى وصلت اليهـــا الخـــلافة العباسية ـــ بسبب استبداد الاتراك ، والبويهيين بعدهم ، بالسلطة دون الخلفاء ـــ فرصة سانحة للاغارة على بلاد هذه الدولة وتخومها المجاورة لحدود دولتهم . فغزوا ميـــناء دميـــاط سنة ٢٣٨هـ (فى عهد ولاية عنبسة بن اسحاق الضبى) (٢٣٨ ـــ ٢٤٢هـ) ، كما أغاروا على عين زربة ـــ على مقربة من المصيصة سنة ٢٤١هـ ، وأسروا من كان فيها . ثم تبودل الأسرى بين

المسلمين والروم فى نفس السنة ، وذلك فى عهد ميخائيل الثالث (٨٢١ — ٨٦٧م/٢٢٨ — ٢٥٣هـ) ، وكان عدد الأسرى المسلمين عشرين ألفا ، تعرضوا لصنوف العذاب والهوان ، حتى اضطر معظمهم للتنصر ، وقتل من أبى منهم التنصر ، بيد ثيودورا أم الأمبراطور ميخائيل الثالث . وكان عدد من قتل نحو اثنى عشر ألفا — ومن دخل فى النصرانية حول سبعة آلاف[1] .

ثم أغار الروم على شمال العراق حتى بلغوا آمد وأسروا حول عشرة آلاف مسلم . لكن المتوكل العباسى ثأر منهم فاستولت قواته على بعض بلادهم جنوبى آسيا الصغرى سنة ٢٤٤هـ[2] . وفى سنة ٢٤٥هـ أسر المسلمون أحد بطارقة وقادة الروم ، الذى أسره القائد المسلم على بن يحيى الأرمنى ، كما استولوا على مدينة لؤلؤة . وقد عرض ملك الروم لفدائه ان يبدل مكانه ألف رجل من المسلمين الأسرى لديه[3] .

ولما زاد تقلص نفوذ الخلافة العباسية فى عهد المعتمد العباسى (٢٥٦ — ٢٧٩هـ) الى حدود الجزيرة والعراق ، اشتد تجرؤ الروم على بلاد المسلمين وأرواحهم ، فتمكنوا فى عهد أمبراطورهم باسيل الأول (٧٦٧ — ٧٨٦م ٢٥٣ — ٢٧٣هـ) من الانتصار على بعض أمراء المسلمين مستغلا ضعف الخلافة العباسية ، واستبداد القواد بالخلفاء ، وثورة الجند عليهم[4] .

كما أتاح اشتغال العباسيين ، بمحاربة قرامطة زكروية فى شمال العراق وبادية الشام وبعض المدن الشامية ، الفرصة للروم . فأغاروا سنة ٢٩٢هـ على الثغور الشامية فى مائة ألف جندى ، وعاثوا فى الكثير من المدن مثل الحدث . فخرج اليهم المسلمون من طرسوس ، وفتحوا

(١) الطبرى : جـ ١١ ص ٥١ — ٥٢ .
(٢) الطبرى : جـ ١١ ص ٥٥ — ٥٦ .
(٣) الطبرى : نفسه جـ ١١ ص ٦٠ .
(٤) حسن ابراهيم : الاسلام السياسى ٣/٢٣٣ .

أنطاكية — شبيهة القسطنطينية على حد قول ابن الأثير[1] — وقتلوا منهم خمسة آلاف وأسروا مثلهم ، واستنفذوا أسارى المسلمين فيها ، وأخذوا نحو ستين مركبا ، وغنموا الكثير من الأموال والمتاع والسبى • وكانت مغانم المسلمين وفيرة حتى بلغ نصيب الجندى المسلم ألف دينار • وقد بلغ المسلمون قونية (قمونية) سنة ٢٩٤هـ ، حتى اضطر الأمبراطور البيزنطى الى طلب الصلح والمهادنة ، وتبادل الأسرى بين الفريقين[2] •

وفى مستهل القرن الرابع الهجرى ، استغل الروم فرصة ثورة الحسين بن حمدان على بنى بوية ، فأغاروا على مناطق الثغور الجزرية • وقصدوا حصن منصور سنة ٣٠٣هـ وسبوا من كان فيه ، وأوقعوا بجند المسلمين فى طرسوس ، وعاثوا بمرعش فسادا[3] • فسار القائد العباسى مؤنس الخادم فى السنة التالية الى ملطية ، حيث فتح كثيرا من حصون الروم • وقد كان من أثر هذا النصر المؤزر الذى احرزه مؤنس ان خلع عليه الخليفة المقتدر بالله لقب المظفر • واضطر الروم الى طلب المهادنة من المسلمين سنة ٣٠٥هـ[4] •

ولما زاد ضعف الدولة العباسية فى عهد المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) وعجزت عن امداد الثغور وتدعيمها بالرجال والعتاد ، أرسل الأمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنتس (٩١١ — ٩٥٩م/٢٩٩ — ٣٤٨هـ) ، الى أهل الثغور الاسلامية يطلب منهم آداء الخراج اليه ، كما دخل الروم ملطية بعد أن هجرها أهلها واستغاثوا بالخليفة سنة ٣١٣هـ[5] •

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ١٩٠ •
(٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ١٩٧/٧ •
(٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ٢٣/٨ •
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٣٧ •
(٥) ابن سكويه : تجارب ١٤٦/١ وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ٢٣٥/٣ •

وهذا الكتاب الذى أقدمه بين يدى القارىء الكريم يتناول بالدراسة فترة هامة من فترات المواجهة بين المسلمين والروم ، ونعنى بها القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) • ووجه الأهمية فيها يكمن فى بروز قوى اسلامية نشطة حملت عن الخلافة العباسية — رغم خلافها معها مذهبيا — عبء مواجهة الهجمات البيزنطية المتلاحقة ، على أراضى وثغور العالم الاسلامى المتاخمة للحدود البيزنطية • ونعنى من هذه القوى بالذات دولة الحمدانيين فى الموصـــل وحلب ، والاخشيديين فى مصر وجنوب الشام ، ثم الفاطميين من بعدهم •

والحق أن منطقة الثغور الاسلامية — البيزنطية ، شهدت معارك طاحنة ، خاضها الطرفان دفاعا عن مصالحه • بحيث يمكن القول أنه لا يوجد منطقة ثغرية ، أو مناطق حدود ، شهدت مثل ما شهدته منطقـــة الثغور الاسلامية البيزنطية على مدار التاريخ ، وبصفة حادة وقوية فى القرن الرابع الهجرى • ولعل هـــذا ما دفعنى لتخصيص الدراســـة وحصرها فى القرن الرابع الهجرى • لاننى اعتبرها — والى حد ما — احدى حلقات الحروب الصليبية الموجهة ضد عالم الاسلام •

وقد تناولت هذه الدراسة من خلال تمهيد وأربعة فصول ، دعمتها بالخرائط •

فتحدثت فى التمهيد عن الحـــدود العربيـــة البيزنطيـــة ، ذاكرا أهمها • ثم تكلمت فى الفصل الأول عن الاوضاع السياسية فى أرمينية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين • وذلك لأن بيزنطـــة حـــاولت التصدى للوجود الاســـلامى هناك ، بل حاولت تصفية الحســـاب مع المسلمين على أرض أرمينية باعتبارها جبهة أمامية ، وهو ما لم يتحقق لها ، حيث باءت محاولاتها جميعا بالفشل • وقد تحدثت فى هذا الفصل عن بنى الساج فى أرمينية وأذربيجان باعتبار أنهم كانوا القوة الرئيسية المؤثرة سياسيا هناك وقتئذ (٢٦٦ — ٣١٨هـ/٨٧٩ — ٩٣٠م) •

ثم تكلمت عن **الامارات العربية فى أرمينية** وعلاقاتها بالأمراء الأرمن، ودورهم فى مواجهة أو تأييد التحركات البيزنطية ضد الوجود الاسلامى على أرض ارمينية • وتكلمت عن **الممالك الأرمينية فى مستهل القرن الرابع الهجرى** وأوضحت دورها فى مواجهة محاولات التدخل البيزنطية ضد المسلمين ، تحت دعوى حماية مصالح الشعب الارمينى •

وفى **الفصل الثانى تحدثت عن الحمدانيين وجهادهم ضد الروم فى الثغور الجزرية والسورية بين سنتى ٣١٩ و ٣٣٣هـ/٩٣١ — ٩٤٥م،** وهى الفترة التى يسميها المؤرخون الأجانب الفترة « الميزوبوتامية » ، بسبب دوران رحى الصراع أبانها على أرض اقليم الجزيرة (مابين النهرين) • وقد قسمت حديثى فى هذا الفصل الى قسمين :

أولا : مرحلة المواجهة الأولى فى الثغور الجزرية وأرمينية (٣١٩ — ٣٢٣ هـ) •

ثانيا : مرحلة المواجهة الثانية فى الثغور الجزرية وأرمينية بين سنتى ٣٢٤ و ٣٣٣ هـ وهى ما تسمى بفترة ما قبل سيف الدولة •

ثم تناولت فى **الفصل الثالث** مرحلة الصراع البيزنطى ضد العالم الاسلامى من ٣٣٣ هـ حتى ٣٥٦ هـ (٩٤٤ — ٩٦٧ م) وجعلت عنوان الفصل هو : **« سيف الدولة وجهاده ضد الروم فى الثغور الاسلامية »** •
وقد سار الصراع البيزنطى ضد المسلمين آنذاك على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : اتسمت بمحاولات سيف الدولة حماية الثغور الاسلامية (٣٣٣ — ٣٤٣ هـ) •

المرحلة الثانية : الانقضاض البيزنطى على مناطق الثغور ، وبداية أفول نجم سيف الدولة وهى تشمل الفترة من ٣٤٣ هـ حتى ٣٤٩ / ٩٥٤ — ٩٦٠ هـ •

والمرحلة الثالثة : محاولات الروم انهاء الوجود الاسلامى كلية

من مناطق الثغور الشامية ، وهى تشمل الفترة بين سنتى ٣٤٩هـ و ٣٥٦هـ (٩٦٠ — ٩٦٧م) ، أى حتى وفاة سيف الدولة الحمدانى بطل الجهاد الاسلامى ضد الروم فى مناطق الثغور •

بعد ذلك تناولت بالحديث فى **الفصل الرابع** الفترة التى جاءت بعد خلو المسرح العسكرى والسياسى فى بلاد الشام من شخصية سيف الدولة الحمدانى وجعلت عنوانها : « **جهاد المسلمين ضد الروم فى النصف الثانى من القرن الرابع** » فيما بين سنة ٣٥٦ هـ و ٣٩٤هـ / ٩٦٦ — ١٠٠٣ م أى حتى سقوط دولة الحمدانيين فى بلاد الشام •

وفى هذا الفصل تحدثت عن خلفاء سيف الدولة وموقفهم من الروم • كما أوضحت موقف الخلافة العباسية والقوى الاسلامية الاخرى من الاحداث الدائرة ، على مسرح المواجهة — بين المسلمين والروم — فى بلاد الشام • ونتائج هذا كله على العالم الاسلامى عامة ، موضحا العوامل التى ساعدت على تمكن الروم من رقاب المسلمين آنذاك •

ثم ختمت الكتاب بخلاصة استنتاجية لما سبق دراسته من تطورات وأحداث بين المسلمين والروم •

وقد زودت الكتاب بثبت للخلفاء العباسيين ، وآخر لأمراء الحمدانيين فى الموصل وحلب ، وثالث للأباطرة البيزنطيين ، وذلك ليسهل على القارىء متابعة وربط الأحداث •

كما وضعت فيه خرائط توضح أماكن الثغور الاسلامية فى الجزيرة وبلاد الشام ، ومناطق الثغور البيزنطية ، وذلك ليسهل على القارىء معرفة الأماكن والبقاع الوارد ذكرها فى ثنايا الكتاب •

وبعـــــــــد ...

فهذا جهد المقل ، وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى القاء الضـــوء على احدى الحقب التاريخية التى شهدت صراعا داميا ورهيبا ، قاده الروم ضد المسلمين فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وهى فترة هامة فى تاريخ العالم الاسلامى ، لما تخللها من مظاهــر عــديدة متباينة سياسيا وعسكريا فى كل من العالمين الاســلامى ، والبيــزنطى (المسيحى) ، فى شرق البحر المتوسط .

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد ، ليستبين للمسلمين مواطن الضعف فيتجنبوها ، ويتلمسوا مواضع القوة وأسبابها ، فيسعوا اليها ليتزودوا بها ، وما أظنها الا فى اعتصام المسلمين بدينهم — المــورد والمصــدر الرئيسى لقوتهم — وأن يكونوا كما قال الله فى صــفات من مع نبيــه محمد ﷺ « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

والله المستعان ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المؤلف

صــابر ديــاب

٢٧ رمضان ١٤٠٤هـ

٢٧ يونيو ١٩٨٤م

التمهيـــــد

الحدود العربية ــ البيزنطية

تمهيد

الحدود العربية ــ البيزنطية

١ ــ عن البنود البيزنطية بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين :

نالت منطقة سوريا والفرات اهتماما بالغا لدى الرومان منذ فتحهم لها ، بحكم موقعها الجغرافى ، ومتاخمتها لأعداء الدولة فى الشرق . وكانت القواعد العسكرية الرئيسية بشمالى سوريا فى مراكز مثل : انطاكية واللاذقية وكيرهوس (قورس (Cyrrhus والاسكندرونة Alexandrette[1] .

وقد قنع الرومان باعتبار جبال آسيا الصغرى الشرقية ، وبادية الشام تشكلان حاجزين طبيعيين ملائمين . واكتفوا ــ فى هذه المناطق ــ بانشاء قلاع موزعة فى مواقع معينة ، لحماية الطرق ، والجسور ، والممرات الطبيعية . وبذا أصبح حدهم الشرقى منطقة مراقبة محصنة تبدأ عند طرابيزون ثم تتجه جنوبا حتى مجرى الفرات الأعلى ، فمصب الخابور ، فحدود البادية حتى العقبة . وكان خط الدفاع الممتد نحو ٨٠٠ كم ــ بين قرقيسيا عند مصب الخابور وبين العقبة ــ يتألف من طريق معبدة موازية للحدود ، محمية من الجانبين بأبراج كثيرة عند مفارق الطرق . وكانت تدمر ، ودمشق ، والبتراء ، تدخل بقلاعها وحصونها والطرق الموصلة اليها فى هذا الخط الدفاعى[2] .

---

(١) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٨٧/٧٥ وعنه راجع :

Chapot : La Frontiere de l'Euphrate de Pompée a la Conquete Arabe, pp. 71 - 77.

(٢) اسد رستم : الروم ج ١ ص ١٩١ ــ ١٩٣ . و
Bury : Hist. of Later Rim. Emp. I, p. 945.

وقد والى الرومان والبيزنطيون اهتمامهم بتحصين المدن الهامة فى سوريا ، فبنوا لدمشق — مثلا — سورا أحاط بها منذ مستهل القرن الثالث الميلادى[١] • ثم اضطرت الدولة البيزنطية — فيما بعد القرن السابع الميلادى — الى اتخاذ وسائل حاسمة لحماية حدودها الشرقية لمواجهة هجمات كل من الفرس ، والعرب (المسلمون) • وزاد من أهمية هذه الوسائل ظهور القوة البحرية للدولة الاسلامية ، وتفوقها الظاهر فى أمواه البحر المتوسط ، لدرجة هدت الروم فى منطقة آسيا الصغرى نفسها ، وجزر الارخبيل ، وايطاليا ، وصقلية معا[٢] •

لذلك أقام الروم نظام البنود (الثيمات) البيزنطى • فظهر فى الشرق أربعة أقسام بيزنطية عسكرية حملت فيما بعد اسم البنود (الثيمات) Thema وهى بند ارمينية (Armeniaci / Armeniacoi) شمالى شرق آسيا الصغرى عند الحدود الارمينية ، وبند الاناضول (Anatolikoi) وبند الاوبسيكون (Opsikion) فى آسيا الصغرى حول بحر مرمرة لحماية العاصمة البيزنطية ، والبند البحرى كرافيزيوناروم (Caravisionarum) أو كيبرايورت أو كيرهايوتس (Cibyraiotte) على الشاطىء الجنوبى لآسيا الصغرى والجزر المجاورة • وكان قادة البنود يسمون استراتيجوى (Strategoi) مما يدل على الطابع الحربى لهذه البنود[٣] •

وفى مستهل القرن الرابع الهجرى كان تنظيم أقاليم الحدود البيزنطية يعتمد على تقسيم الاقليم البيزنطى الى دوائر اقليمية كبيرة يحكمها قائد عسكرى يسمى « استراتيجوس » يجمع فى يده السلطات المدنية والعسكرية معا • وكانت هذه الدوائر الاقليمية تسمى لواءات أوثيمات (Thèmes) أو ايالات • وهى كلمة كانت تطلق فى البداية على

---

(١) أسد رستم : الروم جـ ١ ص ١٩٣ .

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ٩٠ .

(٣) راجع العدوى : دراسات فى التاريخ البيزنطى (مقال بالمجلة التاريخية م ٢ ع ٢ أكتوبر ١٩٤٩) .

وحدة عسكرية كبيرة ، مستقرة فى منطقة ما ، تتكفل بالدفاع عنها [١] .

وكان الثيم (اللواء) ينقسم الى وحدات (Turmes) (وحـــدات تكتيكية) على رأس كل منها Turmarque (أى قائد وحدات ، يحـكم مجموعة من الوحدات التكتيكية (Turmes) . هناك بعض مناطق لهـ أهمية خاصة لانها تحرس ممرا جبليا (Clisure, Kleisura) وتتكفل بنع العدو من اجتيازه ، هذه أخرجت من مجموعة الثيمات ومنحت مرتبـة Cleisurarchies المستقلة [٢] .

وكما أن القسمين الكبيرين الأولين للحدود الشرقية وهمـا لواء (ثيم) الارمنيـاك (الارمن) Armeniaques ، ولـواء الأناضـول (anatoleques) جزءا مكونا من عدة لواءات جديدة . فكذلك انفصلت من هذا اللـواء (الثيمات) وحـدات من نـوع الـ Cleisurarchies وحولت بالتالى الى ثيمات [٣] .

على هذا النحو شهد القسم الأخير من القرن التاسع ، وأوائل القرن العاشر الميلاديين ، ظهور ثيمات (لواءات) جديدة على الحدود ، لم يكن من السهل فى كل الأحوال تحديد تواريخ ظهورها . ولكن ظهر بعضها فى عهد الامبراطور ليو السادس (الحكيم) (٨٨٦ — ٩١٢م) وكانت اسماؤها شـائعة طوال القـرن الـرابع الهجـرى (العاشر الميلادى) [٤] .

وكانت قوات الثيمات (الحدود أو الثغور) — أو كمـا عـرف بالجيش الثيماتى (الثغرى) — المكلفة بالدفاع عن الحـدود بصـفة دائمة ، الى جانب عمليات أخرى محدوده — تنضم لتنفيذ عمليـات على نطـاق واسـع ، الى مجموعـة من القـوات تسـمى تاجمـاتا

(١) Canard : Hist. de la Hyn. des Hamd., P. 727.

(٢) Canard : Ibid., P. 727.

(٣) Canard : Ibid., P. 727.

(٤) Brehiere : Le Monde. Byzantine, II, P. 121.

Tagmata أو Tagmes ، وكانت تقيـم فى القسطنطينيـة مشـكلة الحرس الامبراطورى . وكانت التاجماتا هذه من أشد وحدات الجيش البيزنطى صلابة . أما قائد التاجماتا — الاسكول - Scholes — ويسمى الدومستيق Denestique ، فقد تقدم فى النهاية على سائر القـواد العسكريين . وذلك رغم انه كان حتى القرن العاشر الميلادى — نظريا — أدنى مرتبة من الاستراتيجوس على لواء الأناضـول . وقـد ظهـر الدومستيق فى القرن العاشر ، قائدا عاما ، تسند اليه ادارة العمليات الهامة على الجبهة الشرقية (الاسلامية) بصفة رئيسية فى حالة عـدم قيام الامبراطور بادارة هذه العمليات بنفسه(١) .

على هذا الاســاس كانت ثيمــات وكليسورارشــيات الجبهــة البيزنطية من الشمال الى الجنوب(٢) هى :

١ — **خالديا أو كالديا** Chaldia عاصـمة طرابـزون . وكان اقليمها يمتد حتى جوار وادى الفرات الاعلى تجاه كيليكيا (قاليقلا) ، وكانت جزءا من كلتزين Keltzène قبل أن تندمج كلتزين فى لـواء الميزوبوتاميا (ما بين النهرين) .

٢ — **كولونيا** Coloneia وعاصـمته بنفس الاســم . وهى متفرعة من لواء الأرمن (الأرمنياق) Armeniaques وقد امتـدت هذه أيضا حتى الفرات . وربما الى ما بعده قليلا . وكان هذا الثيـم يشمل فى البداية كمخ Kamakh التى ضـمت بعـد ذلك الى لـواء الميزوبوتاميا .

٣ — **ميزوبوتاميا (بين النهرين)** : يقع فى الجنوب الشرقى من اللواءين السابقين . وهو يقع بين الفرات — قره صو — ونهر ارسناس

(١) Brehier : Monde. Byzantine. II. P. 121, 353.
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 728.

(٢) Brooks E.W. : Arabic Lists of Themes. P. 67.
(J. of Hellenic Studies, 21, 1901).

Arsanas • ومن ثم كان اسمها — وهو لا علاقة له بالجزيرة أو العراق فى منطقة درسم Dersim الحالية • وقد تشكل هذا اللواء باقليم دجيق Degik — أو تكيس Takes — الذى تنازل عنه مانويل الارمنى للامبراطور ليوا السادس (الحكيم) [١] •

وقد ألحق بهذا اللواء أو الثيم التيرمان — أى الوحدتان — المكونتان من كلتزين وكمخ (كمكا) Camacha أو Kamaci الذى كان تابعا فى البداية للوائى كالديا وكولونيا •

أما لواء تشمنشجزيك Tchinichgezek على الضفة اليمنى للنهر الذى يحمل نفس الاسم ، فكانت تابعة لاقليم خوزن Khozen الشرقى •

٤ — سنميساط (سبسطية) Sebastiea وبها عاصمة بنفس الاسم — وهى نفسها سيواس Siwas — وهذا اللواء (الثيم) كان تابعا فى البداية للواء الارمنياك (ق) ، الذى كان ملحقا به أقاليم منطقة أبرا Abara التى كانت تعرف فيما مضى باسم بوليشية Paulicienne ولا يعرف موقعها تحديدا • وكانت تمتد حتى عقفة نهر الفرات • اذ كانت (أبرا) على طريق سبسطية — ملطية ، عبر وادى فورتس QuruTchai (نهر جر جاريا) فى الشمال الشرقى من منطقة « حسن بطريق » • ويتبعها أيضا غربى هذا الموضع ، وجنوبى سيواس ، ولاريسا Larissa ، التى كانت على ما يحتمل ، فى منطقة نهر تخمة صو الأعلى Tokhama Su [٢] •

٥ — خارسيان (خرسيون أو خرشنة) : Charsiane

هذا اللواء تكون أيضا من تجزوء لواء أرمينيا (الأرمنياق) ، ولم يكن — على ما يبدو — متصلا بخط الحدود ، فى عصرنا الذى نحن

---

(١) Brooks, E.W. : Arabic Lists of Themes, P. 67 etc. and Canard : Hist. de la Hyn. des Hamd., P. 728 - 729.

(٢) Canard : Ibid., P. 729, Brehier : Le Monde Byz. II, P. 353.

بصدده ، الا من عند طرفه الجنوبى . وكان القسم الأكبر منه فى منعطف نهر هاليس Halys وفى الشمال يمتد شرقا على ضفة نهر هاليس العليا حتى صارخه Cârikha ، التى كانت على مسيرة يومين من كمكا (كمخ) والتى كانت تعتبر — فى منتصف القرن التاسع الميلادى — قلعة من قلاع لواء خارسيان (خرسيون) . وفى قسمه الشرقى كان اللواء مفصولا عن خط الحدود الصحيح بلواء ليكاندوس . أما قيصرية مازكا Cesaree Mazaka ، التى كانت جزءا من كبادوكيا فى البداية ، فانها التحقت فى هذا العصر بلواء خرسيون (خارسيان أو خرشنة)[١] .

٦ — **ليكاندوس** Lykandos : تكونت فى عهد ليو السادس فى المنطقة الواقعة شمالى عربسوس Arabissos ، حيث تلتقى بثلاث قنوات مائية ، فتكون نهر جيهان . وقد جعلت لواء فى مستهل عهد زوى Zoe وقسطنطين بورفيروجنتس (٩١٣ — ٩٥٩م) وقد سرد قسطنطين تاريخ انشاء هذا اللواء سردا تفصيليا[٢] . وكان يتبع اللواء أيضا من ناحية الغرب تزاماندوس Tzamanados ، والاقليم المسمى « صحراء سمبوزيون » الذى يذكر كنارد نقلا عن هونجمان أنه فى منطقة نهر تخمه صو الأعلى ، ومن الصعب تعيين حدود اللواء بالضبط »[٣] .

وكان تنظيم هذا اللواء وتهيئته لاغراض الدفاع — باعتباره موقعا شديد الأهمية — يرجع الفضل فيه الى القائد البيزنطى ملياس المعروف عند العرب باسم مليح الأرمنى ، الذى تذكره المصادر العربية والسريانية بتاريخ ٢٩٩ هـ / ٩١١ — ٩١٢ م على أنه صاحب قلعة هى اما قلعة

---

(١) Brookes : Arabic Lists of Themes, P. 69 +
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 729.
وراجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية : ٢٠٥ — ٢٢٥ .

(٢) راجع قسطنطين بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamh., P. 730

ترامندوس Tzamandos أوليكاندوس[١] . وقد سماه العـرب باسـم « صاحب الدروب » ، أى سيد منطقة المضايق (الدروب)[٢] . وقد ورد ذكره فى حملات ٩١٥ م ٣٠٢/٣٠٣ هـ و ٩٢٨ م ٣١٦ هـ . ومات عام ٩٣٤م — ٣٢٢هـ[٣] . وكانت ليكاندوس وترامندوس أيام الحمدانيين تتبعان بطريقا واحدا[٤] .

٧ — كابادوكيا : أو على الأصح كابادوكيا الصغيرة — Mikra Kappadokia

وكان هذا اللواء — فى البداية — كليسورارخى أو وحدة فى لواء الاناطوليك (الاناضول) . وكان فى قسمه الجنوبى ملاصقا للحـدود. عند مخرج بوابات كيليكيا Pyles Calyiennes

وكان يتبع كابادوكيا الصغيرة — فيما مضى — بعض المواقع التى فصلت منها ، ربما حينما صارت لواءا . من هـذه المواقع : قيصرية ، ونيسا Nyssa . أما عن الأماكن المجاورة لمخرج بوابات كيليكيا وهى رودنتن Rhodnton (فراشـة) ولولن Lulon — أو لؤلؤه — وحتى بودندوس Podandos بداخل المرتفعات ، فان بورفيرروجنتس يذكر بأنها واقعـة على حدود اللواء (لواء كبا دوكيا)[٥] ، وان كل ما هو موجود على الجـانب الآخر يتبع كيليكيا . وربما كانت هذه المناطق تكون وحدات مستقلة . وفى هذه الحـالة فان اللواء لم يكن يمتـد شرقا حتى طورس . أما من الناحية الشمالية فان اللواء كان يضم منطقة المطامير (وهى مساكن فى الكهوف) التى ورد ذكرها عند ابن خرداذبه .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٢٢٨٦/٣ — ٢٢٨٧ وعريب ، صلة الطبرى ٣٦ و قدامة بن جعفر : كتاب الخراج .

(٢) راجع ابن الاثير : الكامل ٣١٦/٨ .

(٣) راجع ابن الأثير : حوادث ٣٠٢ ، ٣٠٣ و ٣١٦هـ ٣٢٢هـ .

(٤) Canard : Hist de la Dyn. des Hamd., P. 730.

(٥) راجع بوفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٣١ و ١٨٩/١٩٠ والخرائط فى آخر الكتاب .

٨ — لــواء سيلوقيــة Séleukeia : يقع غربى كيليكيا العربية ونهر اللامش المار على الحدود الاسلامية — البيــزنطية • ولم تــكن سيلوقية حتى عهد ليو السادس لواء أوثيما • وانمــا كانت وحــدة حاضرتها مدينة سيلوقية الواقعة على نهر كاميكادنس Calycadnus [١]

عن البنود البيزنطية فى المصادر العربية :

ناجز المسلمون الروم فى الشام ، ودارت الحــرب ســجالا بين الفريقين عبر ممرات جبال طوروس • وعرف المسلمون شيئا مذكورا عن نظم الادارة والحرب عند عدوهم • من ذلك ما كتبه ابن خرداذبه — الذى ألف كتاب المسالك والممالك حول ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م) — نقلا عن « مسلم بن ابى مسلم الجرمى » ان اعمال الروم التى يوليهــا الملك عماله ١٤ عملا[٢] •

ثم جاء قدامة بن جعفر بعد ابن خرداذبه — حــوالى ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م — فأورد قائمة بأعمال الــروم ، خــالفت النسق الوارد — فى كتاب ابن خرداذبه — سواء فى الترتيب أو فى بعض التسميات • فالعمل الذى نقله ابن خرداذبه عن قائمة الجرمى « طافلا » ســماه قــدامة « طايلا » وسمى الافطى ماطى باسم « الابطباط » وجعــل اســم الناطلوس « الناطليق » ، كما أورد قدامة أيضا اسم خرشنة مقابلا لاسم خرسيون عند ابن خرداذبة ، وسمى خالديا باسم الخالدية[٣] •

كما ذكر قدامة ان القوة البيزنطية المرابطة فى كل بند أو عمــل كانت ما بين أربعة آلاف وستة آلاف رجل ، عدا عمل فلاغونية الذى

---

(١) Canard : Hist de la Hyn. des Hamd., P. 730 - 731.

(٢) ابن خرداذبة : المســالك والممالك ص ١٠٥ — ١٠٨ وفتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١/١٠٤ — ١٠٦ •

(٣) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ملحق بابن خرداذبة ص ٢٥٥ — ٢٥٨ (ضمن مجموعــة ذى غويــة : المجموعة الجغرافية العربية Bibl. Arab. — Geogr. ط • بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م) •

كان يرابط فيه عشرة آلاف ، وعمل الناطليق (الناطلوس) حيث رابط خمسة عشر ألفا لاهميته واتساعه . أما العاصمة فكان فيها نحو ٢٤ ألف[1] .

هنا ، ويذكر اليعقوبى أن « جميع جيش بلاد الروم من الجند الموظف على الرساتيق والقرى أربعين ألف فارس ، وليس فيهم مرتزق ، وانما هم — حينئذ — رجال يخرجون مع بطريقها وقت الحرب . فبعض البنود مثل خرشنه (خرسيون) وسلوقية قوتها ٥٠٠ فارس ، وتراقية قوتها ٥٠٠٠ فارس ، بينما كانت قوة مقدونية ٣٠٠٠ فارس »[2] . بينما يورد ابن خرداذبة « أن ديوان الروم مرسوم على ١٢٠ ألف رجل . وهناك ست بطارقة فى العاصمة ، وستة فى الأعمال عمورية وأنقرة والأرمسينياق (أرمينية) وتراقية ، وصقلية وسردينية » ، ويذكر أيضا أن « .. الخيل المقيمة على باب الملك (الأمبراطور) أربعة آلاف فارس ولمعسكر الملك مقيما كان أوراحلا — أربعة بنود عليها أربعة بطارقة فى الخيل ، كتيبه كل واحد منهم اثنا عشر ألفا : ستة آلاف مرتزق وستة آلاف شاجرد . فان خرج الملك نحو بلاد العرب عسكر بدروليه على مسافة أربعة أيام من قسطنطينية وهو مجمع العرب والروم[3] .

أما المسعودى (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) فيذكر لنا قائمة معدلة معرفا البنود بقوله : « أرض الروم واسعة فى الطول والعرض ، آخذة فى الشمال بين المشرق والمغرب ، مقسومة فى قديم الزمان على أربعة عشر قسما ، وأعمال مفردة تسمى البنود — كما يقال اجناد الشام : كجند فلسطين وجند دمشق ، وجند حمص ، وجند قنسرين — غير أن بنود الروم أوسع من هذه الاجناد وأطول . وهناك تسعة بنود دون الخليج ،

---

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج ص ٢٥٨ .

(٢) اليعقوبى : البلدان (ملحق بالاعلاق النفسية لابن رسته) ص ٣٢٣ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٠٩ — ١١١ وللمزيد عن تنظيم فرق الجيش البيزنطى : راجع بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ١٧١ — ١٧٣ .

مما يلى الثغور الشامية والجزرية وغيرها من بلاد الاسلام ، والمتسعة الباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية[١] •

٢ ــ مناطق الثغور والعواصم فى الدولة الاسلامية : (بين القرنين الثالث والرابع الهجريين) •

(أ) الثغور[٢] :

يعد اقليم الثغور خطوة جديدة وهامة فى التنظيم الادارى للدولة الاسلامية • وقد رأى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ ــ ١٩٣هـ) فصله عن جند نسرين ، لتأمين الحدود الاسلامية ، على غرار منطقة الاطراف البيزنطيــة التى كان يحكمهــا حكـــام الثغور (كليسوريارخى Kloisuriarchs)[٣] •

وقــد كانت الحدود بين المسلمين والروم حتى العصر العباسى الأول تتــألف من سلسلتى جبــال طــوروس ، وطوروس الداخليــة Anti-Taurus وكانت الثغور تمثل خطا طويلا من القــلاع يحمى ما وراءها • ويميل من ملطية على الفرات الأعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط • وقد تبودلت هذه القــلاع بين المســلمين والروم ، فكان الفريقان فيها بين كر وفر[٤] • وينقسم خط القلاع هذا الى مجموعتين : احداهما تحمى الجــزيرة وتسمى الثغور الجزرية ،

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥٠ ــ ١٥٣ .

(٢) الثغور : مفردها ثغر . وهى كل موضع قريب من ارض العدو . وهو مأخوذ من الثغرة أى الفرضة أو الفرجة فى الحائط . ومنه ثغر الشام ، وجمعه ثغور الشام . وهو يشمل بلادا كثيرة . ومن أهم المدن الثغرية ببلاد الشام : بياس ، المصيصة . عين زربة ، اذنه (أطنه) طرطوس ، الجوزات، اولاس ، الكنيسة السوداء ، الهارونية ، انظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٦ و جـ ٦ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ والبلاذرى : فتوح البلدان .

(٣) فتحى عثمان : الحدود ــ الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٣١ .

(٤) لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد) ص ١٦٠/١٦١ ،
Canard : Hist. de ta Dyn. de Hamd., P. 241 - 2.

وهى الشمالية الشرقية . والثانية تحمى الشام وتسمى الثغور الشامية وهى الجنوبية الغربية[١] .

وكان من ثغور الجزيرة : ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ، وبهسنا ، والحدث ، ومرعش ، والهارونية ، والكنيسة ، عين رزبة . ومن الثغور التى تحمى الشام — وكانت قرب الساحل الشمالى لخليج اسكندرونة — : المصيصة ، وأذنه ، وطرسوس[٢] .

أما لفظة « العواصم » فالمقصود بها سلسلة الحصون الداخليــة الجنوبية ، بطرقها الحربية . وسميت عواصم « لأنها كانت تحمى أو تعصــم الحدود وتعينها على صــد غارات الروم . ولذلك تتميز عن الحصون الشمالية الخارجة الملاصقة للحدود البيزنطية المسماة بالثغور .

ولم تكن الحدود الاسلامية البيزنطية خطا مفردا ، وانما كانت تخومهــا غير محدودة وليست ثابتــة . تمتد على عمق كبير أو يسير مسايرة فى معظمها منحنى جبــال طوروس ما بين البحر المتوسط حتى سلسلة طوروس الأرمينية . وكانت أرمينية تعد اقليم حدود بيزنطى ، وبخاصة منذ بداية القرن العاشر الميلادى (أواخر الثالث الهجرى) اذ ان الجزء الغربى من أرمينية فيما بين الفرات وأرسناس كان قد غدا اقليما بيزنطيا . وكان لدى المسلمين — فى المؤخرة — ممر حر يخترقونه فى أرمينيــة حتى منطقــة قاليقلا (ثيودوسيوبوليس أو أرضروم) التى فتحوها ، وارتبطوا مع أهل تلك البقعة — التى يخترقها الممر — بعهد يضمن لهم حرية المرور[٣] .

وقد عدد قدامة بن جعفر الثغور المختلفة ، التى تضمنتها مناطق الحدود بين المسلمين والروم ، وفرق بين الثغور والعواصم فقــال :

---

(١) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٣٢ .

(٢) فتحى عثمان : المرجع السابق جـ ١ ص ١٣٢ .

(٣) Canard : Ibid, 242.

« ان الثغور المقابلة لبلاد الروم — منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهـة البحر ، ومنهـا ما يجتمع فيه الأمران • • وعواصم هذه الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاسلام ، وانما سمى كل واحد منها عاصما لأنه يعصم الثغر ويمده فى أوقات النفير ، ثم ينفر اليـه من أهـل أنطاكيـة والجومة والقورس »[1] •

والجدير بالذكر أن اتساع نطـاق الدولة الاسلامية وفتوحاتها ، أدى الى لفت أنظـار المؤرخين المسـلمين الى أهميـة الجغرافيـة فى دراساتهم • فقدم البلاذرى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فى كتابه فتوح البلدان ايضاحات جغرافية قيمه • كما مزج المسعودى (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) فى كتابه التنبيه والاشراف بين التاريخ والجغرافية العلمية • فنراه يقدم ببيان لشـكل الأرض ، ومواقع المدن ، والظواهر الجغرافية الهـامة والمحيطات والانهار والجزر والبحيرات والمبـانى وما أصاب الأرض من تغييرات طبيعية وما الى ذلك[2] •

على أى حـال ، فان الثغور الجزرية والشامية ترتكز الى أرض الجزيرة فى شمال العراق من جهة وأرض الشام من جهة أخرى • كما تتصل من ناحية الشرق والشمال الشرقى بأرمينية ، ومن ناحية الشمال بآسيا الصغرى ، ويقع الى الغرب منها ساحل البحر المتوسط الذى سماه العرب « بحر الروم » • وكان اقليم الجزيرة وشمال الشـام يمثلان وحدة تتمم بعضها بعضا ، من حيث ارتباط حصونهما وتعرضهما لاغارات البيزنطيين • والجزيرة هى المنطقة الشمالية الخصبة بين دجله والفرات ، وتمتد الى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس كما تمتد الى جبـال فارس[3] •

---

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتاب ص ٢٥٣ (ملحق بابن خرداذبة ضمن المجموعة العربية الجغرافية ، نشر دى غوية ط : بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م) .

(٢) Rosenthal : A Hist. of Muslim Historiography, P. 94-96.

(٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٣٦، ١٤٢ .

وقد تهيأ — لاقليم الجزيرة — بحكم موقعها الجغرافى المتوسط ، وكونها معبرا بين العراق والشـام والامبراطورية البيزنطية وأرمينية واذربيجان ، وبحكم أنهارها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية ومدنها الاهلة — أن تكون ذات أهمية خاصة بين اقاليم الخلافة العباسية • فقد كانت الجزيرة — مع العـراق — بمثابة جسر أرضى يصـل بين طرق المواصلات البحرية فى جنوبى آسيا وطرق المواصلات البحرية فى جنوبى أوربا ، وذلك بحكـم الموقع بين البحر المتوسط والخليج الفـارسى • وكانت أهميتـه فى العصر العبـاسى كبيرة بالنسبة لتجـارة الشرق والغرب[1] •

أما بلاد الشـام فتكون معبرا بين البحر المتوسط والصحراء • ويدعوها البحر تارة للتجـارة والملاحة ، فى حين تخط دروب جبـال طوروس ممرات نحو آسيا الصغرى حيث الدولة البيزنطية • كما يفتح وادى الفرات طريقا للشام نحو الخليج الفارسى • وحد الشام « من الفرات الى العريش المتـاخم للديار المصرية ، أما عرضها فمن جبـل طىء — من نحو القبلة الى بحر الروم • • وبهـا من أمهـات المدن : منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت المقدس والمعرة[2] •

حلب Aleppo : فى جبهة الحدود الاسلامية البيزنطية :

(أ) حلب : يشير الاصطخرى وابن حوقل الى أهمية موقـع حلب « عاصمة اقليـم قنسرين على مدرج طريق العـراق الى الثغور وسائر الشامات »[3] وتجارتها رائجة وأهلها أثرياء • • • وهى مدينة

---

(١) راجع : د. عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ٢٠٧/١ — ٢١٠ وجاسـم الخلف : محـاضرات فى جغرافيـة العـراق ص ٨ — ١٦ و ٣٨٨ — ٣٩٠ و Canard : Ibid., P. 143. وابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٢٧/١ ، ١٠٦ وفتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١٤٢/١ — ١٥٩ ، وجود فروى ديمومبيين :
Le Monde Musluman, P. 40.

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية : ١٦٠/١ •

(٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٦ وابن حوقل : صـورة الارض •

حدود ، ومدينة اتصـــال . تلتقى بمنطقتها الوحدات الكبرى : سوريا وبلاد الرافدين والاناضول ، وتجتمع فى ارجائها مجموعات عرقيه هامه . وهى من اقدم المدن فى المنطقه[1] . قال فيها المقدسى[2] : « أما حلب فبلد نفيس ، خفيف ، حصين ، مبنى بالحجارة ، شربهم من نهر قويق يدخل الى البلد » . ولحلب سبعة أبواب حاول « لى سترانج » تحقيق اسماء الأبواب السبعة لحلب ومواضعها[3] ، وهذه الأبواب السبعة هى : **بـــاب حمص** (الآن يســمى بـــاب المقـــام نسبة لمقـــام ابراهيم) ، **باب الرقة** ، **باب قنسرين** وهو فى الطرف الجنوبى من الحائط الغربى وقد بنـــاه سيف الدولة الحمدانى ، باب اليهود (حاليا باب النصر) ويقوم هناك حى اليهود ، **باب العـــراق** (أو باب نيرب كمـــا سماه Russel) ، بـــاب دار البطيخ (لعله باب الجنـــان عند رسل وهو فى الحـــائط الغربى الى الشـــمال بقليل من باب أنطاكية ، **وباب أنطاكية** وهو ينفتح وسط الحـــائط الغربى الى الشمال من باب قنسرين وبينه وبين باب الجنان[4] .

وأهم مدن حلب كما يذكر المقدسى (ص ١٥٥) هى : أنطاكية ، بالس ، السويوية سميساط ، منبج ، بياس ، التينات ، شيزر ، وادى مرعش ، اسكندرونة ، أجون ، رفنية ، جوسيه ، حماة ، شيزر ، وادى بطنان ، معره النعمان معره قنسرين . وهذا التعداد تدخل فى مدن تعد من الثغور والعواصم . ويذكر لى سترانج أن افراد الرشيد (١٧٠ — ١٩٣هـ) العواصم كأقليم منفصل ، جعل جند قنسرين مقصورا على البلدان المحيطة بقنسرين وحلب ، مع اقليم المعرتين وسرمين[5] .

---

(١) راجع ســـليمان عادل عبد الحق وعبد العزيز عثمان : نزهات اثرية فى سوريا ص ٨٣ — ٨٥ .

(٢) المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم .

(٣) Le Strange : Pa'estine Under the Moslems, P. 360-7 + Canard : 220 - 224.

فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١/٢١٩ — ٢٢٠ .

(٤) راجع : Russte : Natural Hist., of Aleppo.

(٥) Le strange : Ibid., P. 36.

ب — العواصم :

١ — منبج Hierapolis

أهم العواصم هى : منبج ، وقد لعبت دورا تجاريا ودينيا هاما منذ القدم ، وظلت محتفظة بأهميتها فى العصور الوسطى بحكم موقعها كنقطة اتصال بين الثغور الجزرية والشامية ، ومجاورتها للفرات وحلب . ولم تقتصر مهمة منبج على حماية مواقع الحدود . بل اضطلعت بمراقبة صحراء الشام فى الجنوب حتى منطقة بالس . وبين منبج وبين الفرات ٣ فراسخ(١٢ ميلا تقريبا)، وبينها وبين حلب ١٠ فراسخ (٤٠ ميلا) وهى — كما قال ابن حوقل — قريبة الى الثغر منها الى الفرات مرحلة خفيفة ، والى قورس مرحلتان ، والى ملطية أربعة أيام[١] :

٢ — **فسايا** : بين منبج وحلب . وهى من أعمال منبج فى جهة قبلتها قرب وادى بطنان .

٣ — **بقعاء العيس** : من كور منبج ، وبقعاء ربيعة من كور منبج أيضا .

٤ — **بالس** : فى غربى الرقة عند حد أرض صفين ، حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب وهى تسمى Barbalissus عند الرومان . وكانت فرضة عظيمة لاهل الشام على الفرات ، ولذلك كانت مركزا لكثير من القوافل . قال عنها الاصطخرى « هى أول مدن الشام من العراق ، والطريق اليها عامر ، وهى فرضه الفرات لأهل الشام »[٢] .

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٢٧ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٦ — ٢٢٩ .

Canard : Ibid., P. 233.

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٦ .

٥ ـ **أنطـاكية** : Antioch يذكر ابن حـوقل والاصطخـرى أنهـا قصبة اقليم العواصم وهى انزه مدينة فى الشـام بعد دمشق . ويذكر ياقوت أن أنطاكية ظلت قصبة العواصم بين الثغور الشامية ، بينما ذكر فى موضوع آخر أن منبج مدينة العواصم . وذكر أن بينها (انطاكية) وبين البحر نحو فرسخين (٨ ميل) ، ولها مرسى فى بليـد يقال لها السويدية Soudin ، ترسو فيه مراكب الافرنج ، عنـد مصب نهر العاصى Orontes [١] .

وقد استمرت انطاكية بيد المسلمين الى أن ملكها الروم منهـم سـنة ٣٥٨/٣٥٩ هـ (٩٦٩ ـ ٩٧٠ م) . وقد احتفظت انطـاكية فى عهدها الاسلامى بمكانتها الدينية ، فضلا عن أهميتها العسكرية كقاعدة هامة فى الطرف الغربى لخط العواصم[٢] .

٦ ـ **حارم** : حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية « يحرمها العدو وتكون حرما لمن فيها » كما يذكر ياقوت . وهى نقطة استراتيجية هامة استفاد بها الروم عند غزوهم أنطاكية سنة ٣٥٨هـ[٣] .

٧ ـ **بغراس** : فى لحف جبل اللكام وهى Pagris القـديمة . وقد كانت فى العصور الوسطى على طرف الطـريق المؤدى الى مضيق بيلان . بينها وبين انطـاكية ٤ فراسـخ (١٦ ميلا) وهى على يمين القاصد انطاكية من حلب ، فى البـلاد المطلة على نواحى طرسـوس . وكانت لمسلمة بن عبد الملك ثم وقفها على سبيل البر . قال البحترى :[٤]

---

(١) الاصطخرى : ص ٤٦ وياقوت المعجم ٤٦/٢ .

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٢٨/١ ـ ٢٢٩ .

(٣) القلقشندى : صبح ١٢٤/٤ . و
Canard : Ibid., P. 217.

وياقوت : معجـم ١٩٩/٣ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٥ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٤) راجع ديوان البحترى .

سيوف لهـا فى كل دار غداردى وخيل لهـا فى كل دار غدا نهب
علت فوق بغراس فضاقت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

٨ — **دربساك** : قلعة من جند قنسرين شمالى حلب على نحـو ٣ أو ٤ مراحل منها ، ولها من شرقيها مروج متسعة كثيرة العشب يمر بهـا النهر الاسود • وهذا البلد ليس له ذكر فى الفتوح وانما جدد فى دولة الأرمن لمـا ملكوا الثغور كما يذكر ابن شداد[1] •

٩ — **حصن بوقا** : بوقا من قرى انطاكية ، أرسل اليها الزط مع جواميسهم فى عهد الوليد بن عبد الملك • وقد بنى هشام بن عبد الملك حصن بوقا ، وجدد من بعده[2] •

١٠ — **قـورس** Cyrrhus . تشرف على الطريق من انطاكية الى الفرات وحلب مارا بعـزار وقويـق • وهى خط دفاعى أمامى عن حلب وأنطاكيـة • وظلت بيد المسـلمين حتى أخذها منهم جوسـلين الفرنجى الصليبى ثم استردها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى اتابك دمشق وحلب •

١١ — **برزويه** : حصن قر بالسواحل الشامية على سن جبـل شاهق • وقد أخلى الحمدانيون كل القلاع التى تتحـكم فى طـريق اللاذقية ، خاصـة بروزيه وصهيون عند هجوم الامبراطور يوحنـا زيمسكس بسنة ٩٧٥م • وكانت بروزيه بيد الصليبيين بعـد ذلك الى فتحها صلاح الدين ٥٨٤هـ[3] •

---

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٠ — ٢٦١ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٢ . وابن شداد : الاعلاق الخطيرة .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٣٠٧/٢ — ٣٠٨ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٢ والبلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٤ وابن العديم : بغية الطلب ورقه ٢٨٠ و
Canard : Ibid., P. 229.

(٣) ياقوت : معجم ١٢٦/٢ ، ابن العديم ، بغية الطلب ورقة ٣٧٣ و
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, P. 152-3.

١٢ ــ **الجرجومة** : مدينة يقال لاهلها الجراجمة • كانت تقع على جبل اللكام بالثغر الشامى عند معدن الزراج ، فيما بين بياس وبوقة قرب انطاكية • وقد صالح المسلمون الجراجمة عند الفتح ، وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى[1] •

(جـ) الثغور الجزرية : أهمها :

١ ــ **شميشاط** : يسميها الروم Arsamosata وقد ذكر الاصطخرى أن شميشاط هى ثغر الجزيرة على الحقيقة ، معتبرا ملطيه من ثغور الشام •

٢ ــ **ملطيــة** : وهى Melitene عند الروم • وهى من أجل الثغور الاسلامية أمام الروم • قال عنها قدامة : « وهو خارج فى بلد العدو من جميع هذه الحصون وكل واحد بينه وبين العدو درب وعقبة ، وثغر ملطية مع بلد العدو فى بقعة واحدة • وكان يواجه هــذه الثغــور الجزرية ويقابلها من بلد الروم خرشنة (خرسيون) وعمل الخالدية » •

ويعتبر سهم ملطية نقطة التقاء طرق عدة ، ومفتاحا لمدخل آسيا الصغرى بالنسبة لجيوش المسلمين القادمة من الشرق ، ولمدخل الجزيرة بالنسبة لجيوش الروم القادمة من الغرب • وتمثل ملطية مركز تقاطع عدة طرق وأودية مثل وادى قباقب (تخماصو) Tokhma - Su ثم وادى الفرات ومعابره الى هانزيط أنزيتين Anzitene والجزيرة •

واقليم ملطية على رخاء واسع لجودة ريه كما يذكر ابن حوقل • وقد وصف الاصطخرى مدينة ملطية فى المائة الرابعة للهجرة « بأنها مدينة كبيرة تحف منها الجبال » ، وعدها من أكبر الثغور دون جبل اللكام ، كما اعتبرها ثغرا شاميا وليس جزريا • لذلك ذكر ياقوت انها : « بلدة

---

(١) البلاذرى : فتوح ١٦٦ وياقوت : معجــم ٣/٨٠ ــ ٨١ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٨١ •

من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين » . وقد ذكرها المتنبى فقال « ملطية أم للبنين ثكول » . وقد أخذها الدمستق سنة ٣٣٢هـ وهدم سورها وقصورها : ثم جاء المستوفى فذكرها — بعد ياقوت بقرن تقريبا — بأنها مدينة حسنة ذات حصن منيع .. مراعيها مشهورة يكثر فيها القمح والفواكه والقطن . ويسميها كنارد Canard جرجر Gerger أو كركر Kerkor [1] .

٢ — زبطره : عند الروم Zapetra أو Sozopetra تقع الى الجنوب الغربى من ملطية . وهى بين ملطية وسيمساط فى طريق بلاد الروم . ويحدد اندرسن Anderson موقعها حاليا بمدينة فيرانشهر قرب منابع نهر سلطان صو (قراقيس) ، وجوك صو جنوب النهر الأزرق ، وهو موضع يتفق مع ما ورد عند أبو الفدا[2] . وكان امتلاك زبطرة بمثابة المفتاح فى الطريق الى ملطية . وقد ذكر قدامة ابن جعفر أن زبطرة كانت تلى الثغور الجزرية . وحين زارها أبو الفدا (٧١٥ هـ) ذكر انها كانت خرابا . بينما ذكر ابن شداد أنها كانت فى عهده قرية . وأيا كان الأمر فقد احتفظت زبطرة بشىء من أهميتها ، الى أن أخذها الروم أيام الامبراطور باسيل الاول المقدونى ، وكانت لها أهميتها فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) [3] .

٣ — الحدث : Adata فتحها المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب . ويذكر البلاذرى أن درب الحدث سمى فى العصر الأموى بدرب السلامة توقيا للتطير والتشاؤم . وقد ذكر الاصطخرى انه كثير الخيرات . ونوه ياقوت انها قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور . وتسمى الحمراء اما لحمرة تربتها أو لتمييزها عن الحدث

---

(١) Canard : Ibid, P. 262, 264.

الاصطخرى : مسالك ٤٧ ، ٥٣ والبلاذرى فتوح ١٩٥ — ١٩٦ وياقوت : معجم ١٥٢/٧ ، ١٥٠/٨ ، وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٩٥ .

(٢) ابو الفدا : تقويم البلدان : ٢٣٤ .

(٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٤١/١ .

الاخرى الموجودة فى صحراء تدمر ، كما يذهب كنارد . وتسمى حدث الزقاق . وكان لسيف الدولة بها وقفات ، وقد خربته الروم فعمره سنة ٣٤٣هـ[1] .

٤ — مرعش : يسميها الروم Narasion ويقال انها قامت فى مكان جرمانيكا Germanica وهى مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم ولها سوران وخندق ، وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى بناه مروان بن محمد . ثم احدث الرشيد بعده سائر المدينة. وبها ربض يعرف بالهارونية وهو ما يلى باب الحدث وقد خربها الروم عدة مرات ، وبناها سيف الدولة سنة ٣٤١ هـ ، وأخذها الفرنج ١٩٤ هـ (١٠٩٧م) ثم صارت مدينة هامة فى مملكة أرمينية الصغرى[2] .

٥ — **بهسنا** : على أحد روافد الفرات اليمنى الذى يصب أسفل سميساط وهى غربى حصن منصور ورستاقها رستاق كيسوم ١ . وهى « قلعة عظيمة حصينة بقرب مرعش وسميساط » وقد ذكرت فى أخبار الحروب الصليبية ، كما وقال الجغرافيون أنها قلعة حصينة لا ترام حصانة فى الغرب والشمال من عينتاب . وقيل عنها « هى الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل فى جمرة الحروب ، وبها عسكر من التركمان والاكراد . ولا يزال لهم أثر فى الجهاد . ويحمون قرية من أعمال بهسنا من أعمال كيسوم بين الروم وحلب »[3] .

---

(١) البلاذرى : فتوح ١٩٧/١٩٨ ، ياقوت : معجم ٢٣١/٣ — ٢ ، الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٧ البكرى : معجم ما استعجم ٦٥٦/٢ ،

(٢) لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ١٦١ والبلاذرى : فتوح ١٩٦ — ١٩٧ وياقوت : نفسه ٢٥/٨ وابن الشحنة : الدر ١٩١ — ٢ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٨٥ .

(٣) راجع لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٦ وابو الفدا : تقويم البلدان : ص ٢٦٤ — ٢٦٥ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧١ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٣٧١ .

٦ ـ **كيسوم** : من أعمال سميساط فى جنوب بهنسنا على نهـر كيسوم على ٧ فراسخ (٢٨ ميلا) من الحدث • اعتبرها ابن خرداذيه ثغرا جزريا • وهى تتحكم فى الطريق الى بهسنا[1] •

٧ ـ **كركر** : حصن بين سميساط وحصن زياد (خرتبرت) شمال حلب على نحو ٥ مراحل . قال ياقوت : « وهى قلعـة حصينة شاهقة فى الهواء ، يرى الفرات منها كالجدول الصغير وهو منها فى جهة الشرق وكانت من أعظم الثغور زمن التتار »[2] •

٨ ـ **قلعة سميساط** : يسميها العام Samosta ، تقع على ضفة الفرات اليمنى ـ أى الشمالية ـ وعندها ينحـرف النهـر • وكانت حصينة • يذكر المسعودى أنها عرفت أيضا بقلعة الطين • أما ياقوت فيورد أنها « مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات • قال فيهـا المتنبى ودون سميساط المطـامير والملا وأودية مجهولة وهو أجل :

ويعتبر قدامة بن جعفر أن سميساط ثغرا بكريا ـ نسبة الى ديار بكر ـ وقد استعادها المسـلمون سـنة ٣١٨هـ • ثم أخذها الـروم ثانية[3] •

(د) الثغور الشامية : أهمها :

١ ـ **عين زربى** (عين زربة) عرفها الافرنج (الصليبيون) باسم Anazarbus وكانت عاصمة الاقليم الرومانى فى كيليكيا • قال عنهـا الاصطخرى · « بلد يشبه مدن الغور بها نخيل وهى خصبة » كان لها سور حصين فى المائة الرابعة للهجرة • وقد نقـل اليهـا الزط فى أيام المعتصم العباسى (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) فانتفع بهم أهل الثغر ، ثم أخذها

---

(١) فازيليف : العرب والروم (ترجمة شعيرة)ص ١٠٧ •

(٢) ابن عبد الحق : المراصد ١١٥٩/٣ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٤ ـ ٢٦٥ والقلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٢٠ •

(٣) قدامة : نبذة من كتاب الخراج (ملحق بابن خردانبة) ص ٢٥٤ Canard : P. 254 - 7.

الروم وخربوها • فانفق سيف الدولة عليها ٣ ملايين درهم لتعميرها ، ثم أخذها الروم ثانية • قال عنها أبو الفدا فى تقويمه « بلـد فى جبل ذات قلعة مستعلية عنها ، وهى على مسيرة يوم جنـوبى سيس وفى جنوبها نهر جيجان » • وقد صار اسمها فى القـرن الثـامن للهجرة « زاورزا » •

ومن أهم الثغور الشامية كذلك سيس أو سيسيه والهارونيـة ، والكنيسة السوداء • ونيكابوليس Nicopolis (اصلاحية حاليـا) على الجانب الشرقى من أمانوس •

٢ — **المصيصة** : Mopsuestia وهى من بناء الروم • « وهى من ثغور الشام بين انطاكية وبلـد الروم » وقد اطلق ابن شـداد على المصيصة اسم « بغداد الصغيرة » • وقد انتقلت الى ملوك (أرمينية الصغرى) •

وهناك من الثغور الشامية كذلك بياس (مدينة شرقى انطاكية) بينها وبين الاسكندرونة (٦ ميل / فرسـخان) ، قـريبة من جبـل اللـكام [1] •

٣ — **الهينات** : تجهز منها المراكب بخشب الصنوبر • وهى بين بياس والمصيصة وهى قريبة من ميدان معركة سوس كمـا يرى كنارد Canard [2] •

٤ — طرسوس : تقع قـرب مصب نهر البـردان فى البحـر المتوسط • وقد اشتهرت طرسوس فى العصر الاسـلامى ، لأهميتهـا الحربية وخصائص سـكانها • وكانت أجل الثغـور وهى تشرف على المدخل الجنوبى لدرب أبواب قليقية • ذكـر ابن حوقل ، أن عليهـا سورين من حجارة وبها مائة ألف فارس ، وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام • وهكذا كانت طرسوس حاجـزا بين

---

(١) البلاذرى : فتوح ١٧٢ — ٣ و Canard : Ibid., P. 281.

(٢) Canard : Ibid., P. 278.

العالمين الاسلامى والمسيحى • وحين زارها ابن حوقل (٣٦٧هـ/٩٧٨م) رأى المجاهدين الوافدين اليها من مختلف البلدان الاسلامية •

ويذكر ياقوت أن مدينة طرسوس أحدثت فى عهد هارون الرشيد على يد سليمان أحد خدامه فى سنة نيف وتسعين ومائة[1] أى قبيل وفاة الرشيد التى حدثت سنة ١٩٣ هـ • كما يقول عنها الهمدانى « وهى مدينة لثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم » • وبين طرسوس واذنه ست فراسخ (١٨ ميلا) وظلت بيد المسلمين حتى أخذها نقفور فوكاس سنة ٣٥٤ هـ بعد المصيصة •

ويقول عنها ابن العديم هى « مدينة قديمة من بلاد الثغور الشامية عظيمة ، وبها كان يقوم سوق الجهاد ، وينزلها الصالحون والعباد ، ويقصدها الغزاة من سائر البلاد » [2] •

وأبواب طرسوس خمسة هى : باب الجهاد ، باب الصفصاف ، باب الشام ، وباب البحر ، والباب المسدود • وهى — كما يقول ابن حوقل — فى غاية الخصب • ويوجد على مرحلة من طرسوس ناحية نهر اللامس Lamos الذى كان يمثل خدا اسلاميا بيزنطيا ، وتمت عنده الكثير من عمليات الفداء وتبادل الاسرى بين الجانبين الاسلامى والبيزنطى •

وأهم دروب جبال طرسوس درب الحدث فى الشمال الشرقى من مرعش الى « ابلستين » التى عرفت أخيرا باسم البستان Ablastha (البيزنطية) وباسم ارابيسوس Arabissus اليونانية (عربسوس)

---

(١) يذكر القلقشندى ان طرسوس بناها الرشيد سنة ١٧٠هـ اكملها ١٧٢ هـ . فاذا صح هذا ، يكون ما قام به خادمه سليمان ما هو الا التجديد والاستحداث لها . ولعل ما يدل على ذلك كلمة « احدث » . ياقوت : ج ٦ ص ٣٨ .

(٢) ياقوت : مادة طرسوس ٣٨/٦ — ٣٩ وابن العديم بغية الطلب ورقة ٢٣٥ ، ٢٧٥ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٤٨ — ٢٤٩ والقلقشندى : صبح ٤ ص ١٣٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠/١٨١ و
Canard ; Ibid., P. 282.

ويليه أهمية درب الابواب القيليقية الضارب شمالا من طرسوس الى القسطنطينية[1] •

وبعد هذا العرض السريع للعواصم والثغور الشامية والجزرية يجب أن نتساءل عن الوضع الاستراتيجى لحدود الدولة الاسلامية مع الروم ، والى أى مدى كانت حدود الدولة الاسلامية تحقق لها الأمان لان الاجابة على هذا السؤال ستوضح الى حد كبير مغزى اهتمامات المسلمين وبخاصة الحمدانيين بمناطق الثغور الاسلامية المتاخمة أو المطلة على بلاد الدولة البيزنطية •

وبادىء ذى بدء ، فمما لا شك فيه أن الدولة الاسلامية كانت تهدف دائما الى ازالة دولة الروم ، مثلما ازالت دولة الفرس لموقفها العدائى • كما أن الدولة البيزنطية (الرومية) لم تكن فى نواياها ومشاعرها أكثر صفاء للمسلمين ودولتهم • ولذلك فما من لحظة من لحظات الضعف يمر بها المسلمون ، الا وكنا نجد الروم يسارعون للانقضاض على أطراف الدولة الاسلامية ، منتهزين ما تعانيه الدولة الاسلامية من أوضاع غير مريحة سواء خارجيا أو داخليا • وقد انتهز الروم كل الفرص التى سنحت لهم منذ نهاية العصر الأموى ، وبداية العصر العباسى ، وفى أوقات ضعف الخلافة العباسية وتجزوء أقاليمها الى ولايات مستقلة ، لم يكن كل حكامها من طراز رجل مثل سيف الدولة الحمدانى أو نور الدين زنكى ، يصمدون للمطامع والطامعين فيصدونهم ويذودون عن العرين[2] •

وقد حرص المسلمون — وهذا أمر طبيعى — أن تحقق الحدود لدولتهم تأمينا كافيا ، لذلك اتجهوا لفتح اقليم الجزيرة وارمينية ، بعد أن أتموا فتح الشام[3] • وقد برزت قيمة وأهمية اقليم الجزيرة (أقور كما يذكر المقدسى) باعتبارها « ثغر من ثغور المسلمين ، ومعقل

---

(١) Le Strange : Palestine Under Moslems, P. 377 - 8.
بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٤ — ١٦٦ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠/١٨١ •

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١/٢٥٨ — ٢٥٩ •

(٣) الطبرى : الامم والملوك ٤/٥٧ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٩٥ •

من معاقلهم ، لان آمد اليوم — عصر المقدسى ٣٧٨هـ/٩٨٨م — دار جهادهم ، والموصل من أجل أنضادهم ، ومع ذلك (أى وفوق ذلك) هو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب فى الاسلام »[١] .

كذلك عمد المسلمون — تأمينا لوجودهم وحدود دولتهم — الى محالفة بعض الطوائف التى تحتل أماكن حساسة (هامة) على الاطراف . فتعاهدوا مع الجراجمة[٢] فى جبل اللكام ، كما تعاونوا مع البيالقة على اطراف الدولة البيزنطية ، القريبة من حدود المسلمين عند الفرات الاعلى[٣] .

ولعلنا نتساءل هنا عن الحمدانيين — أولا — الذين تصدوا ، ردحا من الزمن ، لهجمات الروم ، وخاضوا ضدهم غمار حروب ومعارك طاحنة ، زودا عن حياض دولة الاسلام وأمته . كما نتساءل عن سر شهرتهم فى الآفاق . تلك الشهرة التى لم يحظ بها مثلهم من الاسرات الحاكمة ، سواء فى عصرهم أو بعدهم فيما عدا بنى أيوب الذين قادوا المعارك — دفاعا عن العالم الاسلامى — ضد جحافل البغى الافرنجى القادمة من الغرب الصليبى .

فمن هم هؤلاء الحمدانيين ، وكيف نشأوا ؟ ، وبمن اتصلوا ؟ وكيف فرضوا أنفسهم على التاريخ ؟ وما هى الاحداث التى مروا بها أو مرت بهم ؟ وفى عهد من الخلفاء كانوا ؟ وما هو لون السياسة فى عهدهم ؟ . هذا ما سنحاول الاجابة عليه فى الصفحات التالية .

---

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٣٦ .

(٢) ينسب الجراجمة الى بلدتهم الجرجومة . ويسميهم المسلمون باسم « المردة » Maradate ، لكثرة تمرداتهم وثوراتهم . اذ كانوا عصاة لكل سلطة فى بلاد الشام منذ العصر الرومانى ، حتى اعتبرهم الرومان « اعداء دائمين » Hostis Perpetius وقد نجح الروم (البيزنطيون) فى جذب عناصر منهم بالمنح والعطايا ، لعرقلة حركة الفتح الاسلامى . وسماهم البيزنطيون «القضبان الحديدية» لاعتيادهم السير وفى يدهم قضبان حديدية . راجع : فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ٣٦٢ .

(٣) فتحى عثمان : المرجع السابق ٢٦١/١ .

عن الحمدانيين : تعريف بهم وبطبيعة عصرهم :

ينتسب الحمدانيون — كما يقول ابن خلدون[١] — « الى قبيلة تغلب — التى قامت بضواحى الموصل — وكان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار • وكانوا من نصارى العرب فى الجاهلية ، لهم محل فى الكثرة والعدد ، وكانت مواطنهم فى الجزيرة وديار ربيعة ، ثم رحلو مع هرقل الى بلاد الروم ، ثم رجعوا الى بلادهم وفرض عليهم عمر بن الخطاب الجزية ، فقالوا يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية واجعلها صدقة مضاعفة ففعل • وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن هرير من بنى مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب • ثم كان منهم بعد ذلك فى الاسلام ثلاثة بيوت : آل عمر بن الخطاب العدوى ، وآل هارون المغمر ، وآل حمدون بن الحدث بن لقمان ابن أسد » •

وهذا النص يدلنا على ان الحمدانيين بطن من بطون بنى تغلب ابن وائل ، وهم عدنانية ، يعنى عرب خلص ، ممن ولدت العربية فى كنفهم • وقد استمروا ينتقلون من تهامة الى نجد الى الحجاز الى أرض ربيعة الى ضفاف الفرات حيث انزلوا سهل الرقة الفسيح ، ثم انتقل حمدان بن حمدون منها الى الموصل[٢] •

وقد توافق ظهور الحمدانيين وبروز نجمهم مع ضعف الدولة العباسية ، وأفول نجمها : بحيث أصبحت الخلافة رسما فقط ، والخليفة لم يعد أمامه سوى أن يقنع بما يعطى له من راتب سنوى وما يسمح له بمزاولته من مهام ، وكان ذلك فى آواخر القرن الثالث للهجرة بحيث لم يعد الخليفة سوى رئيس دينى لا أمر له ولا نهى ، ولا وزير يعتمد عليه[٣] •

هكذا شهد الحمدانيون هذا التدهور فى صورة وسلطة الخليفة

---

(١) ابن خلدون : تاريخ العبر جـ ٤ ص ٢٢٧ .
(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٣١ — ٣٢ .
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى جـ ٣ ص ١١٥ (ط : ١٩٦٥) .

والخلافة ، لدرجة هزت الدولة الاسلامية هزة انتهت بانفراط عقدها ، وظهور دويلات وامارات مستقلة فى اقاليمها المختلفة .

كذلك شهد الحمدانيون تقلص النفوذ العربى وذوبانه تحت سيطرة العناصر غير العربية ، بشكل مزر . لذلك رأوا أن يقوموا بنصيبهم فى حمل هذا العبء ، صونا للتراث العربى ، وزودا عن الثغور الاسلامية من هجمات الروم . فجرت المنافع المادية بعضهم الى الهاوية حيث المنافع تغلى وتثور ، وارتفعت المبادىء السامية ببعضهم ممن كان دفاعهم عن العروبة والاسلام مجيدا .

ظهرت الأسرة الحمدانية ابان ارتقاء المعتضد دست الخلافة (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) الذى تسلمها وهى فى حالة من التفكك والانحلال لا يحسد عليه . وقد أراد المعتضد بالله العباسى معالجة الامور نهوضا بالدولة والخلافة ، بكل ما فى نفسه من حب الاصلاح ، وما فى شخصيته من سمات الحزم وقوة القلب وشجاعة الرأى . لكن الوقت كان متأخرا[١] .

ذلك ان اقليم الجزيرة كان يموج باضطرابات دامية ، وكان القرامطة يعيثون فى البلاد فسادا ويهزون العقائد هزا عنيفا ، وقد بدا الصراع بين العرب والترك للمرة الأولى فى عهد المعتضد . وكان تخلى العباسيين عن العرب ، وتمكينهم الاعاجم من السلطة فى الدولة العباسية ، مما دفع عرب الجزيرة — وبخاصة — ربيعة — الى المحافظة على استقلالهم ومن هؤلاء بنو شيبان الذين جرد لهم المعتضد جيشا لاخماد ثورتهم سنة ٢٨١هـ ساربه الى قلعة ماردين[٢] .

فلما علم حمدان بن حمدون بذلك ، انهزم وتراجع فى جوف الليل تاركا القلعة لابنه الحسين ، الذى استبسل فى الدفاع عنها ، مما دفع الخليفة المعتضد الى الرجوع للموصل ، فيكتب لحمدان بن حمدون يستحثه على اعلان الخضوع والاذعان فأبى حمدان ، لكنه سرعان

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ج ٣ ص ١١٥ (ط : سابعة ١٩٦٥) .

ما أستسلم عندما زحف اليــه المعتضد على رأس جيش لجب ثانية ، وهرب حمدان واختفى من المسرح • وقــد تمكن حمدان بن حمدون من العبور ، فى قارب كان له على ضفه نهر دجلة ، الى الجانب الغربى حيث ديار ربيعــة • فنزل هناك عند احد الخوارج طالبا حمايته ، دون ان يدرى أن هذا آلذى يستجير به سيسلمه للخليفــة المعتضد ، الذى سيزج به بعد ذلك فى غياهب السجون • وهكذا نرى ان جــد الأسرة الحمدانية تبدأ سيرته بثورته على الخــلافة ، وخوض معارك طاحنة ضدها ، ثم استسلام ، فسجن •

فى هذا الوقت (أواخر القرن الثالث الهجــرى) رأى الخليفــة العباسى ضرورة الاستعانة بالحمدانيين فى حربه ضد هارون الشارى احد الخوارج ، الذى كانت قواته قد الحقت بالقوات العباسية هزائم كبيرة • لذلك قرر المعتضد العباسى (٢٧٩ ــ ٢٨٩هـ) الاستعانة بالحسين ابن حمدان بن حمدون ، الذى وافق بعد تردد ، وشروط ثلاثة وضعها ان هو وفق فى مهمته • وقد صرح باحد هذه الشروط وهو « اطــلاق سراح والده حمدان بن حمدون » ، أمــا الشرطان الآخران ، فأجــل الحسين بن حمدان البوح بهما ، لحين الانتهاء من اخماد ثورة هارون الشارى الخــارجى واتباعه[1] •

وهكذا انخرطت الأسرة الحمدانية فى خدمة الخلافة العباسية ، وصــارت هــذه الأسرة دؤوبة على انتهاز الفرص ، لاثبات اخلاصها وولائها ، كلما امكنتها الظروف من ذلك[2] • وكان الحسين بن حمدان ، قد نال تقدير الخليفة المعتضد ، الذى خلع عليه[3] • واستجاب لطلبه بتكوين فرقة جيش نظامية ، تكون من بنى تغلب (قبيلة الحمدانيين) • وقد بلغ تعــداد تلك الفرقة خمســمائة فارس يتناولون أرزاقهــم من

---

(١) حسن ابراهيم : الاسلام الاسياسى ١١٥/٣ وسامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٦ •

(٢) الكبيسى : عصر الخليفة المعتضد بالله ص ٤٩٩ •

(٣) الطبرى : ج ٤ ص ٢١٥٠ ــ ٢١٥١ وابن الاثير : الكــامل ٨١/٦ والمسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ١٨٨ والكبيسى : المرجــع السابق ص ٥٠٠ •

الدولة ، وقيادتهم الى الحسين بن حمدان بن حمدون[١] .

ومنذ ذلك الحين بدأت شهرة الحمدانيين فى الظهور ، حيث قاموا بدور فعـال فى احداث ذلك العصر — (القرن الرابع الهجرى . . بدأت دولتهم ٢٩٢هـ وانتهت ٣٩٢هـ) — اذكرس الحسين بن حمدان نفسـه لحرب معارضى السلطة العباسية وبخاصة القرامطة . وقد أثبت الحسين ابن حمدان — من خـلال المهام التى اسندت اليه — قدرته العسكرية ، مما جعله مثار اعجـاب المسئولين فى الدولة العباسية ، حتى ليحكى أنه وجد فى خزائنه — بعد موته — أكثر من عشرين طوقا لفيف وعشرين فتحا بالمشرق والمغرب[٢] . مما جعله من رجالات الصف الأول فى الدولة العباسية ، منذ ذلك الوقت — خلافة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) — حتى بداية عهد المقتدر العبـاسى (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) .

ولقد كان طبيعيا ان ينضوى باقى امراء الحمدانيين تحت لواء الطـاعة للعبـاسيين ويعملون فى خدمتهم . وبذلك وصلوا الى ارفع المنـاصب ، حيث منحهم الخليفـة أمر الموصل ، فاستقلوا بها ، ثم سرعان ما مدوا نطـاق حكمهم الى منطقة ديار بكر وسورية واقليم الجزيرة فيما بعد .

ولمـا آلت الخـلافة العباسية الى المكتفى بالله بن المعتضد سنة ٢٨٩هـ — عقب وفاة والده — سار المكتفى على نمط والده ونهجه ، من حيث الثقة فى آل حمدان ، والاعتماد عليهم فى ادارة وتسيير شئون الدولة ، لأنه رأى فيهم عنصرا عربيا قويا ، يشارك الخلفاء العباسيين مشاعرهم واحاسيسهم[٣] . ولذلك ولى الخليفـة المكتفى أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون الموصل واعمالها سنة ٢٩٣هـ (٩٠٥م)[٤] .

---

(١) أبو فراس : ديوانه ص ١٢٨ ، ١٦٥ .

(٢) فيصل السامر : الحمدانيون جـ ١ ص ٨٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامـل جـ ٦ ص ١١١ وابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٤٧٨ — ٤٧٩ وسرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٧٢ وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ٣/١١٥ .

واستمروا كذلك الى وفاة المكتفى سـنة ٢٩٥هـ (٩٠٧م) حيث بـدأ الزمن يقلب ظهر المجن لهذه الأسرة مع الخلافة العباسية •

ذلك ان الحسين بن حمـدان (أخو أبو الهيجـاء) ــ كما يذكر المؤرخون ــ اعترض على تولى المقتدر السلطة لحداثة سنه ، وأنه ــ لذلك ــ شارك فى تخطيط استهدف عدم توليه المقتدر ، وتعيين عبد الله ابن المعتز خليفة[1] • بينما هناك رأى يقول ان الحسين لم يشـارك فى اختيـار المقتدر ــ لا تمردا عليـه واستصغارا لشأنه ــ وانما لأن الحسين عسكرى ، والعسكريون ابعدوا عن عملية الاختيـار نهائيا[2] ، وهذا أيضـا محل نظر •

ويدعم أصـحاب الرأى الأخير قولهم ، بتحليـل توقيت خروج الحسين بن حمدان على الخليفـة المقتدر ، بأنه جاء أو ظهر بعد تولى المقتدر الخـلافة العباسية سنة ٢٩٥هـ وليس قبل ذلك • ويعللون ذلك الخروج بأن الخليفة لم يعط العنـاصر العسكرية فى الدولة الأهميـة الواجبة أو المطلوبة ، من حيث الاستشارة فيما يعن للدولة من أمور • وأن ذلك دفع العنـاصر العسكرية للتآمر عليـه سنة ٢٩٦هـ ، والسعى لتولية عبد الله بن المعتز[3] •

على أى الأحوال ، فلقد فشل تآمر الحسين بن حمدان ومجموعته العسكرية ، مما دفعـه للسير هاربا الى الموصـل ، تاركا وراءه باقى عنـاصر التآمر ، ناجيـا بنفسه من مصير مؤلم حتما ينتظره لو وقع فى أيدى المقتدر ورجاله • أما شركاء الحسين بن حمدان فتم القبض عليهم ، وصاروا بين مقتول ومنفى وسجين ومصادر[4] • والحق ان

---

(١) السـامر : الحمدانيون ١٠٢/١ ــ والكبيس : عصر الخليفـة المقتدر بالله ص ٥٠١ ــ ٥٠٢ •

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٧٠ ومروج ٢٢٢/٤ وعريب القرطبى : الصله ص ٢١ والجوزى : المنتظم ٦٧/٦ ، وابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١١٧ •

(٣) ابن العبرى : ص ١٥٥ وابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٢ ص ٢٢١ وابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٠٧ •

(٤) عريب : الصلة ص ٢٨ وابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢٢ •

هروب الحسين ابن حمدان — بعد انفضاح أمر التآمر وعناصره — أدى الى أنهيار معنويات زملائه ، وتشككهم فيه ، واضطرابهم ، وتفكيرهم جديا فى الهرب ، معتقدين « ان الحسين بن حمدان قد عرف ما يجرى ، فهرب من الليل ، وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر »[١] .

واثباتا للحق ، فان هذا الاتهام تدحضه وتنقضه الوقائع التى حدثت بعد ذلك ، متمثلة بصفة أساسية فى جد المقتدر بالله العباسى فى البحث عن الحسين بن حمدان ومطاردته حيث أرسل قوة بقيادة القاسم بن سيما ، كما أمر ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان (أخو الحسين) والى الموصل بمحاربة الحسين بن حمدان — وهو أخوه — وطلب منه القبض عليه[٢] .

على ان ماالقيه أبا الهيجاء من ثقة الخليفة المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥هـ) ثم المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) ، أوغر صدر أخيه الحسين بن حمدان عليه . وقد تمكن أبو الهيجاء فعلا ، وبمساعدة القاسم بن سيما ، من أخيه الحسين فى جبل سنجار ، وأوشك ان يسلمه للخليفة المقتدر العباسى ، لتأديبه على اشتراكه فى المؤامرة ضده ، لولا توسط ابن الفرات وزير المقتدر للحسين بن حمدان[٣]. ثم لم يلبث الخليفة حتى خلع على الحسين بن حمدان ، ومنحه أعمال ديار ربيعة سنة ٣٠١هـ فيكون الحسين بذلك مشاركا أخاه أبا الهيجاء فى السلطة على اقليم الموصل ، الذى حكمه الأخير منفردا منذ ٢٩٣هـ ، مما أوغر صدره على أخيه الحسين بن حمدان . فهل كانت الخلافة العباسية تريد حقا منح الحسين مناطق ترضيه له وتأليفا لقلبه ؟ . وفى هذه الحالة كانت هناك مناطق أخرى يمكن ان تمنحه حكمها غير ديار ربيعة . أم كانت تريد — بعد أن أيقنت بخطر الحمدانيين عليها وبدأت تشك

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢١ والكبيسى : عصر المقتدر بالله ص ٥٠٧ .

(٢) الذهبى : دول الاسلام جـ ١ ص ١٣٢ وابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ١٠٥ ، ٣ ص ٧٥٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٨٢ .

Sourdel, D. Le Visirat Abbassid T. 2, P. 379.

فى ولائهم — أن تضرب أفراد الأسرة بعضهم ببعض لتفل حدهم وتكسر شوكتهم بما تبثه مثل هذه العمليـــة بين الأخوة من عداوة وشحناء • ؟ وهذا مالم يحدث أو يصـــل — على الاقل — الى المدى الذى ارادته الخـــلافة • ولذلك لم يعد مناص من المواجهـــة الحـــادة مع الأسرة الحمدانية « فازور (المقتدر) عنهم — أى تحول قلبـــه عنهم — وألقى القبض على أكثرهم وزجهم فى السجن » حيث ظلوا به حتى سنة ٣٠٦هـ حيث اطلق سراحهم[1] •

أما الحسين بن حمدان ، فقبض عليه ، وأودع السجن بدار زيدان القهرمانة ، وظل حبيسا الى أن مات ميتة غامضة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م — لحظة الافراج عن باقى أفراد الأسرة — مما يدفع المؤرخين الى القول أنه ذبح فى السجن ، وهو أمر غير مستبعد[2] •

أيا كان الأمر ، فقد وصلت الدولة العباسية فى عصر المقتدر الى مرحلة متنـــاهية فى الضعف والانحـــلال ، بظهور المتغلبين فى أطراف المملكة والثغور ، مع تصاعد حدة الخطر البيزنطى ، على حدود العالم الاسلامى فى أعـــالى بلاد الشام ومصر ومنطقـــة الجزيرة وأرمينية • ففى فارس قامت دولة بنى بوية ، وفى مصر قامت الدولة الاخشيدية سنة ٣٢٣هـ ، كما أعلن الفاطميون خلافتهم فى الشمال الافريقى سنة ٢٩٦هـ ، وسيطر القرامطة على منطقـــة هجر (البحرين) واستبد الديلم بجرجان وطبرستان ، وسيطر البريديون على واسط والبصرة ، وقام الحمدانيون فى الموصل وديار ربيعـــة وجزء كبير من العراق •

فكان هذا التشتت والتوزع الذى وقع فى كيان العالم الاسلامى ، مما اطمـــع البيزنطيين فى مهاجمـــة ثغور الدولة الاسلامية • فهاجموا كيليكيا وسورية بقيـــادة نقفور فوكاس مثلا ، الذى اشتبك فى معـــارك

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٨/٣٥ ، الكبيسى : عصر المقتدر بالله ص ٥٢٠ .

(٢) الذهبى : دول الاسلام ١٣٦/١ ، ابن الاثير : ١٦٢/٦، وعريب : الصلة ص ٧٧ وأبو المحاسن : النجوم ١٩٤/٣ .

طاحنة وضارية مع سيف الدولة على أبواب حلب . وهو ما سنفصله فيما بعد[1] .

وبوفاة الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠هـ يتولى أمر الخلافة القاهر ، ثم الراضى بالله الذى تولى السلطة سنة ٣٢٢هـ وظل خليفة حتى سنة ٣٢٩هـ . وكانت خلافة الراضى بالله تمثل فترة مليئة بالفتن والتوترات ، بسبب الصراع على السلطة بين كبار رجال العهد ، مما صرف الانظار والأهتمام عن الأخطار المحدقة بالدولة الاسلامية ، ممثلة فى تربص الروم على ثغور البلاد وحدودها[2] .

فى هذا الوقت يستقل ناصر الدولة بن حسين بن حمدان بالموصل ، غير عابىء بالخليفة . ثم يدخل هو نفسه فى صراع مع عمه أبى العلاء ابن سعيد بن حمدان . وقد ترتب على استقلاله بالموصل وقوع توتر فى جو العلاقات بين الأسرة الحمدانية والخلافة العباسية . هذا التوتر سرعان ما ينتهى بوفاة الراضى سنة ٣٢٩هـ واعتلاء المتقى لله عرش الخلافة . ثم يسيطر سيف الدولة على حلب الشهباء ، تاركا أخاه ناصر الدولة يدعم نفوذه فى منطقة الموصل[3] .

وبينما كان سيف الدولة يؤسس ملك بنى حمدان فى حلب — بعد أنهيار قوائم ملكهم فى الموصل بعد انتصار توزون التركى أمير الأمراء عليهم — أواخر أيام أخيه ناصر الدولة — كان ابناء ناصر الدولة يتقاتلون على السيادة والمال ، وقد اساءوا الى أبيهم ، وانضموا الى غيرهم من الطامعين فى الأرض التى احتفظ بها أجدادهم الحمدانيون نحو أربع وسبعين سنة . وكان خلافهم ، وقيام بعضهم على بعض ، مما دفع عضد الدولة البويهى للتقدم ، وطرد أبا تغلب بن ناصر ، وبسط نفوذه فى البلاد . وبذلك تنطوى راية الحمدانيين فى الموصل وديار بنى ربيعة لتخفق من جديد راية دولتهم فى حلب الشهباء على يد سيف الدولة[4] .

---

(١) سامى الكبالى : سيف الدولة ص ٤٤ .
(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٤٤ .
(٣) سامى الكيالى : ص ٤٤/٤٥ .
(٤) سامى الكيالى : ص ٤٥/٤٦ .

فلماذا اختار سيف الدولة أرض حلب • ؟ هـــل فيها مناعة المدن الحصينة التى تصد هجمات العدو ؟ الواقع انها تقوم على سهل منبسط فسيح وكثيرا ما تغنى الشعراء بجودة تربتها وطيب هوائها ، وجمال سمتها ، وبساتينها الفيحاء التى بزت غوطة الشـــام • وكانت قلعتها الأثرية التى تجثم فى قلب البلد ، وقد عرفت عمر الزمن وخلود الحياة ، موضع اعجاب ودهشة الفاتحين الغزاة • فهل كانت قلعتها هذه سببا فى اختيـــار سيف الدولة لحلب ليبذر فيها بذور دولته •

فى الحقيقة ربما كان سيف الدولة يرى ضرورة المقـــام فى حلب ليرصـــد منهـــا تحركات الروم — وهم وهو فى حلب قريبون منه — ولاغرو فالروم كان يمضهم الشوق الى تلك البلاد التى ضـــاعت منهم منذ عهـــد الراشدين • فلـــم يتركوا فرصـــة الا وأغاروا على ثغور المسلمين محاولين اخذها • مما يبرر نظرة سيف الدولة فى الوقوف هنا ليصد هجمات الروم المتربصين بالمسلمين شرا ، فبنى مملكته الجديدة فى أرض الشهباء المتاخمة لأرض الروم •

على أى حـــال ، فلقد دخـــل سيف الدولة حلب ســـنة ٣٣٣هـ ، فأخذها من يد أحـــد قواد الاخشيد حاكم مصر • وكانت حلب فى عهد سيف الدولة ، عاصمة دولة تمتد من الموصـــل حتى تكريت[١] • ومن عانه على الفرات حتى البحر المتوسط ، مشكلة — على وجه التقريب خطا مستويا يمر من جنوبى حمص • وقد امتدت ممتلكات الحمدانيين شمالا ، حتى منطقة كيليكيا وملطيـــة وديار بكر حتى مدينـــة أخيلات (خـــلاط) الواقعة على بحيرة وان Wan •

ولقد ظلت الدولة الحمدانية مدة تنيف على السبعين عاما (٣٢٣ — ٣٩٤هـ) ثم انتهت كما بدأت ضعيفة تارة وقوية تارة أخرى • على أن نفوذها لم يقو الا فى عهـــد سيف الدولة الذى رفع من شـــأنها وخلد ذكرها ، مما يجعلنـــا نقدر باطمئنان أنه اذا ذكرت الدولة الحمدانية فليكن معروفا ان سيف الدولة هو الذى خلقها وفرض اسمها فى التاريخ •

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٥٢ •

الفصل الأول

الأوضاع السياسية فى أرمينية

بين القرنين الثالث والرابع

بعد الهجرة

(ا) بنو الساج فى أرمينية وأذربيجان
(٢٦٦ — ٣١٨هـ — ٨٧٩ — ٩٣٠م) .

(ب) الامارات العربية الأخرى فى أرمينية .

(جـ) الممالك الأرمينية فى مستهل القرن الرابع الهجرى .

الأوضاع السياسية فى أرمينية

(ا) بنو الساج فى أرمينية وأذربيجان (٢٦٦—٣١٨هـ / ٨٧٩—٩٣٠م) :

اتحدت منطقة أذربيجان[١] مع اقليمى الجزيرة (ما بين النهرين) وأرمينية[٢] — فى معظم الأوقات — تحت سيطرة حكم واحد . وفى نهاية

---

(١) ذكرها فى الأصل البستانى فقال : « قال ملطبرون (رحالة) فى جغرافيته وكانت — أى اذربيجان — تسمى عند الاقدمين اطروباطينة ... ومعنى اذربيجان أو اطروباطينة أرض النار ، اما لكون عبادة النار ظهرت ونشأت فيها ، أو لكونها كانت عرضة لهيجان جبال النار . . وهى أراضى جبلية يابسة منتشرة فيها أودية خصبة كثيرة الفواكه . . . . » .
راجع : السيد محمــد أمين الخانجى : منجم العمران فى المستدرك على معجــم البلدان (بــاب الهمــزة والذال ومــا يليهمــا) ص ١٨٤ . واذربيجان اقليم شمالى ايران يحدها شمالا ومن الشمال الشرقى أمــلاك روسيا ، ومن الشرق جيــلان Jilan ومن الجنوب كردستان الفارسية والعراق العجمى ومن المغرب (كردستان التركية وأرمينية . مساحتها نحو ٣٠ الف ميل مربــع) . . أكبر أنهارها نهرا قرصو والرس . . وهواؤها غالبا معتدل وصيفها حار جدا ، وشتاؤها فى غاية البرد . وبها بحيرة أرمية الكبيرة المشهورة . . وعلى الجملة هى بلاد قديمة العهد جدا . أنظر نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .
وكانت تتداولها ولاة من المسلمين . فقد وليها سنة ١٣٢هـ أبو جعفر المنصور العباسى (الخليفــة بعد ذلك) كما وليها الرشيد سنة ١٦٤هـ أيام أبيه الخليفة المهدى ، واقطعها المتوكل ابنه المعتز سنة ٢٣٥هـ . ثم اتصلت سنة ٢٨٨هـ الى يوسف بن الساج وكانت بيد أخيه محمد . وان كان ابن الأثير يذكر ان يوسف وليها سنة ٢٩٦هـ ، ثم نزعت منه أيام المقتدر على يد مؤنس الخادم سنة ٣٠٥هـ ثم تداولها أصحاب ابن أبى الساج .
راجع الخانجى : منجم العمران المستدرك ص ١٨٥ — ١٨٧ .
(٢) أرمينية : صقع عظيم واســع يمتد شمالا الى جبــال القيق (القوقاز) والبحر الأسود . وبعض اقليم الجزيرة جنوبــا . وبحر الخزر (أو قزوين) Caspian وهضبة اذربيجــان شرقا ، وآســيا الصــغرى والجزيرة غربا . وتشتمل أرمينية على الأراضى الجبلية التى تخترقها أنهار عظيمة أهمها : الدجلة والفرات فى الجنوب ، ونهر الكر Kyros ونهر الرس أراكس Araxes فى الشمال . وكان يســكن هذه البلاد شعب آسيوى مجهول الأصل يعرف باسم الأرمن . وقد اعتنق الارمن المسيحية فى وقت مبكر ، كما ظهرت شخصيته الشعب الأرمنى متميزة عما جاورها من شعوب . كذلك عاش فى أرمينية جماعات من اليهود والمجوس ، دفعت الى هذه البلاد من البلاد المجاورة . راجع المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٧٣ — ٣٧٤ وصــابر ديــاب أرمينية ص ١ — ٥ . وط
Sterck Art. Armenia (Ency of Islam I. P. 637. ط . عربية وفتحى عثمان :
الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ و ١٩٦ — ١٩٨ .

القرن الثالث الهجرى (بداية العاشر الميلادى) كانت أذربيجان ضمن منطقة نفوذ الأسرة الساجية (بنو الساج)[١] . وقد حكمت هذه الأسرة الساجية منطقة أرمينية — التى كانت وقتذاك تابعة لاقليم الجزيرة — بالاشتراك مع عيسى بن الشيخ وحلفاؤه من بنى سيبان وابن كنداج . وانتهى بنو الساج من أرمينية وأذربيجان باغتيال « أبو المسافر فتح بن أفشين » بيد أحد غلمانه، ومغادرة آخر أفراد الأسرة الساجية البلاد الأرمينية ، ليصبح مجرد ضابط فى الجيش العباسى تحت أمرة ابن رائق[٢] .

والحق أن الأسرة الساجية مرت — بعد سنة ٣١٧هـ — بفترة مشوبة بالاضطرابات والفتن . وكل ما نعلمه عن هذه الفترة الحرجة فى تاريخ بنى الساج بأرمينية هو أنه تعاقب على حكم أذربيجان اثنان من غلمان بنى الساج هما : وصيف شيروانى و « مفلح » الذى ورد ذكره عام ٣١٩هـ (٩٣١م) ، ضمن ذكر اغارة على البلاد الأرمينية[٣] . وان كان من غير الواضح كم من الوقت استمر حكمهما .

والثابت ، أنه فى عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) حصل مرداويج بن زيار الديلمى سيد أو حاكم طبرستان واقليم الجبل — من الخليفة العباسى المقتدر بالله (٢٩٥—٣٢٠هـ) — على عهد متوليته اقليم أذربيجان والبلاد الأرمينية ، الى جانب طبرستان والجبل[٤] . ولم يثبت ما اذا كان مرداويج بن زيار قد توجه الى هناك ليدير هذه المناطق ، أو أنه أرسل أحد ممثليه ليحكم هناك نيابة عنه . بل أن المرجح أن اقليم أذربيجان ، كان — وقتذاك — لا يزال فى يد ديسم بن شاذلويه الكردى أحد ضباط

---

(١) بنو الساج : هم اسرة تنتسب الى ضابط تركى من ضباط الخليفة العباسى المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧هـ) . وقد قتل احد أفرادها البارزين عام ٣١٥هـ (٩٢٧م) اثناء القتال ضد القرامطة . راجع : زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى . جـ ٢ ص ١٧٧ وابن حوقل : صورة الأرض ٢٣٨

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 454.

(٣) Canard : Hist. de la dyn. des Hamd., P. 454.
Defermery; Sajides (J. Asiatique, 1947, X P. 436).

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٣٢ .

يوسف بن أبى الساج[1] . فلما قتل مرداويج بن زيار الديلمى أوائل عام ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) ، واصل أخوه وخليفته « وشمكير » المناداة بمطالبه فى أذربيجان[2] .

وهكذا يتضح أنه منذ وفاة آخر أمراء الأسرة الساجية فى أذربيجان — وهو أبو المسافر فتح بن أفشين سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩م) انتقلت الأمور فى هذا الاقليم الى أيدى مختلف القادة والضباط الساجين الذين بذلوا جهودا كبيرة لاحكام السيطرة على أرمينية ، حتى دون اذن الخليفة العباسى ، علما بأنهم لم يقوموا بأكثر من اغارات على أرمينية لم تسفر عن نتيجة تذكر[3] .

والواقع أن عملية اسلاس قياد منطقة أرمينية لم تكن بالأمر اليسير ، وذلك لعدة عوامل أهمها : تضاريس البلاد وصعوبتها . وكان المتعارف عليه بين الأرمن ، أنه اذا أمكن لأحد أن يتوغل فى أرمينية ويحصل على موافقة أمرائها ، وقبوله أميرا عليهم ممثلا للخلافة العباسية ، أصبح من الميسور بعد ذلك أن ينال من الحكومة العباسية عهدا بتوليته على البلاد ليصير بذلك واليا شرعيا على أرمينية .

وفى هذه الاثناء كان ناصر الدولة الحمدانى — الذى خلف عيسى ابن الشيخ الشيبانى — فى ديار بكر يأمل فى ضم أرمينية لتصبح ضمن الاقاليم التى قلده الخليفة أمر ولايتها وادارتها[4] .

ولما كان ما يحكمه ناصر الدولة من بلدان يقع فى مواجهة أراضى الامبراطورية البيزنطية عبر ديار بكر ، ومطلوب منه الدفاع عن منطقة

---

(١) كان والد ديسم بن شاذلوية من أنصار هارون الشارى الخارجى . فلما قضى على هارون وحركته بواسطة حسين بن حمدان ممثلا للخليفة العباسى المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥هـ) هرب شاذلويه الى اكراد اذربيجان .

راجع : ابن مسكوية : تجارب الامم ٣٢/٢ — ٣٣ و ٣٨٨/١ و ٤٠٤ وابن الأثير : الكامل : حوادث عامى ٣٢٥هـ و ٣٣٢هـ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ١١٨٥ مادة وشمكير .

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 463.

(٤) Canard : Ibid, P. 463.

ما بين النهرين (الميزوبوتوميا) • فقد صار من أهم مصالحه السيطرة على بعض الأماكن أو المواضع الرئيسية ، مع ضمان سلامة حركة المواصلات مع مدينة قاليقلا Qaliqala في قلب أرمينية[1] •

ويسمى كنارد هذه الفترة السابقة لعام ٣١٩ هـ وحتى سنة ٣٣٣هـ بالفترة « القبل سيفية » ، أى الفترة السابقة على ظهور سيف الدولة الحمدانى ، كأمير مسئول مسئولية مباشرة عن مواجهة الروم • كما أنه لم يكن قد لقب بعد بلقب « سيف الدولة » • وكان لايزال مجرد حاكم على مجموعة أقاليم حدودية ثغرية ثم يستدرك موضحا سمات هذه « الفترة الارمينية الميزوبوتامية » من الحرب ضد الروم • وقد سماها كذلك نسبة الى المسرح الذى جرت عليه المواجهة بين المسلمين من ناحية ، والروم والأرمن ومن ولائهم من ناحية أخرى[2] • وهو ما سنفصله بعد ذلك فى موضعه وحينه •

الامارات العربية فى أرمينية أبان القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) :

فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى وجدت فى أرمينية عدة أمارات عربية مستقلة ، فى منطقة الاباهونيك ، وبحيرة فان • وقد انعزلت هذه الامارات العربية الأربع عن الخلافة العباسية ، منذ ازدياد قوة جيرانها الأرمن ، وسعت بالتالى ، الى التكيف مع هذا الوضع ، باذلة جهودا كبيرة لصد محاولات الغزو من جانب كل من البيزنطيين ، والأردذرونيين حلفاء بيزنطه[3] •

وعلى الرغم من التضامن الذى كان قائما بين المسلمين هناك ، فلسوف نرى أن أمراء العرب فى أرمينية ، كانوا يلقون من الحدانيين نفس المعاملة التى كانوا يعاملون بها أمراء الأرمن ، وأنهم — أى

---

(١) Canard : Ibid, P. 463/4.

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 463/4.

(٣) Runciman : Ibid., P. 160

أمراء العرب — كانوا يعتبرون أنفسهم كالأرمن الى حد ما ، حتى أنهم خضعوا فى النهاية للنفوذ البيزنطى[١] .

وقد وجد فى القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) عدد كبير من الجاليات الحضرية والامارات العربية المستقلة ، فى أرمينية ، وجورجيا . وألبانيا . وقد استمرت هذه الجاليات العربية ، منذ القرن التاسع الميلادى كما يذكر المؤرخ البيزنطى ثبود شيان Thopdschian — تقيم فى مدن مثل دوين Dwin ، وظلت فيما يبدو محتفظة باستقلالها ، مع تناقص فى عدد الامارات العربية الأرمينية[٢] . من ذلك مثلا امارة أرزن Arzan التى امتدت فى عهد موسى بن زرارة الذى كان ينتسب بالمصاهرة الى الأسرة الباجراتية — وفى عهد ابنه « أبو المجرا » (المجرع) —Abul-Magra الذى يبدو أنه كان يبطن المسيحية حكم حتى «بتليس» وحدود الطارون ، الى أن دمرها « عيسى ابن الشيخ » . ومع هذا فان الأسرة لم تنقرض تماما الا فى القرن العاشر الميلادى ، حين استولى جاجيك أردزرونى على آخر موقع كان فى يدها هذه الأسرة العربية فى الجنوب الغربى من البحيرة (فان) ، لتضم ارزن الى ديار بكر[٣] .

كذلك نجد من الاسرات العربية المستقرة فى أرمينية الاسرة القيسية (أو القيسيين) ، والعثمانيين[٤] بنو خزيم ، والجحافيين Jah'hafides وهى فيما يبدو فرع من القيسية عرب الشمال ، أو بصفة خاصة قبيلة سليم التى لا يعرف متى بدأت اقامتها فى أرمينية .

ومما يذكر أن العثمانيين سيطروا فى القرن التاسع الميلادى على مدينة « بيركرى » وحصن أميوك الواقع غربى

---

(١) Brosset : Ibid., P. 244 - 246 + Canard : P. 471 - 2.

(٢) Canard : Ibid., P. 472.

(٣) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٣ ص ١٩٩١
Laurent : Les Bagratuni Sout Goergie de la IX Siede P. 326.

(٤) نسبة الى عثمان بن عمارة بن خزيم ، الذى حكم أرمينيا خلال عام ١٦٦هـ ، ١٦٧هـ/٧٨٣م . راجع البلاذرى : انساب الاشراف . وفتوح ص ٢١٠ .

بحيرة (فان) ، الذى ظل فى يدهم حتى انتزعه منهم جاجيك الاردزونى فى مستهل القرن العاشر الميلادى ، ونجح فيما فشل فيه أسلافه أشوط ديرنيك . لكن سمباط البجراتى لم يرض عن هذا الاستيلاء، وذلك لأن العثمانيين كانوا يدفعون له الجزية فى ذلك الوقت . وفى سنة ٣/٩٠٢ م كان العثمانيون ما يزالون يسيطرون على بيركرى ، وكانوا فى صراع ضد أمير منزيكرت (ملازكرد) ، التى كانوا منذ ثلاثين سنة مضت (منذ نحو سنة ٨٧٢م/٢٥٩هـ) طفاءها ضد الملك الأرمنى أشوط الاردزرونى . وفى الحملة التى شنتها أسرتا البجراتين والاردزرونيين — سنة ٩٠٢م ضد أمير منزيكرت سيد الاباهونيك وقف أمير بيركرى العثمانى فى جانب الأرمن وهو عثمانى عربى مسلم وهو مالم نعد نسمع عنه بعد ذلك شيئا ، حيث انتقلت السيادة على بيركرى الى أيدى الأسرة الحاكمة فى منزيكرت(١) .

ومما يدل على أهمية حكام منزيكرت القيسيين (من بنى سليم) وتأثيرهم فى تاريخ تلك المنطقة ، فى السياسة البيزنطية ، انهم حظوا بعناية الامبراطور قسطنطين بورفيروجنتس ، فى دراسته التى وضعها عن الامبراطورية البيزنطية بعنوان « ادارة الامبراطورية البيزنطية » وهى الدراسة التى اهتم بها المؤرخ مركفارت(٢) فيما بعد .

ومن المهم أن ننقل الاجزاء الرئيسية فى نص قسطنطين بورفيروجنتس : حيث يقول : « انه قبل عهد اشوط البجراطى (٨٦٢ — ٨٩٠ م) أمير الامراء ، كانت المدن الثلاث : بيركرى (بركرى بالعربية) وشليات Chiat (بالعربية خيلات) . وأردزيس Ardzes (بالعربية ارجيش) فى يد العرب . لكنها كانت تابعة لملك أرمينية . وكذلك مدن طيبة Tibe وهى بالأرمينية «دوين» وبالعربية «دابيل»، وشرت Chert بالأرمينية : هير وبالعربية خوى ، خواى) ، وسلاماس Salames والاخيرتان — أى خوى وسلاماس — تقعان فى اقليم اذربيجان . أما مدينة منزيكرت (مانزيكرت أو ملازكرد) فكانت

---

(١) Canard : Ibid., P. 437.

(٢) Canard : Ibid., P. 474.

فى يد « ابى الورد » (مالافرنجيـــة ابلكـــرت أو ابلبـــرت) ــ وهو « عبد البر » وهذا الراجح عند مركفارت وكان خاضـعا لسيادة أشوط البجراطى . وقد منحه اشوط حكم مدن : شـلبات (خيلات) وأردزيس (ارجيش) وبيركرى (بركرى) ، فظل يحكمها ، ثم خلفه ابنه عبد الحميد بن عبد البر أو (أبـو الورد) ــ وتسـميه المراجع الاجنبية Abul Chamit ــ ثم خلف هذا ابنه « أبو سوادة » ابن عبـد الحميد بن عبد البر (أبو الورد) وهو أيضا الذى تسميه المراجـع الاجنبية Aposebatas أى « أبو سوادة »[1] .

وبعد وفـاة الملك البجـراطى « سـمباط » سنة ٩١٤م ، تمكن « أبو سوادة بن عبد الحميد بن عبد البر القيسى ى (من بنى سليم) من الاستقلال بحكم وادارة مانزيكرت ، وكل ما تحت يده من أملاك . وقد تعرضت أملاكه فى عهده لهجوم ونهب الدمستيق (الديموستيكوس) البيزنطى ، فى عهد الامبراطور البيـزنطى « رومانـوس ليكابينوس » (٩١٩ ــ ٩٤٤ م) ، نتج عنه خضوع أبو سوادة وأخويه : أبا الأسود وأبو سالم (بالافرنجية أبو الشفت ، وأبو سلمس) وقبولهـم دفـع الجزية للامبراطور ، الى جانب جـزية أو ضريبة أخـرى سنوية له ، تعبيرا عن هذا الخضوع واثباتا للولاء . وبذلك جمع أبو الأسود بين ولاءين : ولاء لبيزنطة ، وولاء للحاكم البجراطى ، الذى كانت المدن التى يحكمها أبو الأسود فى نطاق اقليمه ، وهى المدن المذكورة سابقـا مضافا اليها مدينتى « هرق » Hark (شركا) Charaka وكوريه Kord (الورك) Al-Warak [2] .

والجدير بالذكر أن قسطنطين بورفيروجينتس اعتبر ــ فى كتابه ــ أن كل هذه المدن التى فى يـد القيسية وسـلالتهم ، ضـمن املاك الامبراطورية البيزنطية ليس فقط لأن امراءها كانوا خاضعين سياسيا للامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس ، ولكن أيضا لأن سيدهم

---

(١) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ١٦١ ، ١٦٥ .

(٢) Canard : Ibid., P. 474.

الأول البجراطى (اشوط الثانى ٩١٤ — ٩٢٩م) كان تحت السيادة والحماية البيزنطية[١] .

ثم يضيف بورفيروجينتس الى ذلك أن أبا الاسود ، أخا أبو سوادة ، وابن عمه احمد (الذى لم يذكر اسم أبيه) (وتسميه المصادر الافرنجية انبسيوس) ، استوليا على « خيلات » (شلبات) وارذريس (أرجيش) والتركية ، واعترفا بالسيادة للامبراطور البيزنطى مثلما فعل أبو الاسود من قبل[٢] .

أما عن الأخ الآخر (أبو سالم) — أبو سلمس — فوضع يده على « تزيرمانتزو Tzermatzou »[٣] — أو بالاصح سرمانتزو — الواقعة شمال غرب « هرق » ، والأراضى التابعة لها وخضع لسيادة الامبراطور — البيزنطى أيضا .

ولما مات « أبو سوادة » خلفه ابنه « عبد الرحيم بن ابى سوادة ابن عبد الحميد ابن عبد البر القيسى » ، ثم خلفه من بعده عمه « أبو الاسود » ، الذى سيطر على الأمور فى مانزيكرت وأماكن أخرى ، ثم اعقبه أخوه أبو سالم[٤] .

وكان لابى سوادة ابن آخر اسمه « ابو المعز » (وربما عبد المعز) . ولما لم يكن لأبى الأسود ابناء ، فانه تبنى ابن عمه احمد .

بينما كان لأبى سالم (اخو أبو الاسود) ابن عبد البر الثانى أو (أبو الورد الثانى) . وقد حكم هذا فى مانزيكرت كما يذكر بورفيروجنتيس . بينما أبعد ابو المعز (عبد المعز) عن السلطة لحداثة سنه بعد وفاة والده « أبو سواده » وعمه « أبو الاسود[٥] » .

---

(١) Canard : Ibid., P. 474.

(٢) Canard : Ibid., P. 229.

(٣) Canard : Ibid., P. 230.

(٤) Canard : Ibid, P. 475.

(٥) راجع قسطنطين بورفيرجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية .

أما أحمد بن ابو الاسود (بالتبنى) ، فتـولى فى عهـد والـده (بالتبنى) حكم خيلات وارجيش والتريكية (ذات الجوز) ، واحتفظ بولاية هذه المدن فى عهد أبو سالم ، مع اسـتمراره فى دفع الجزيـة للامبراطور البيزنطى عن هذه المدن الثلاث • غير أن عبد البر الثانى ابن أبو سالم اغتاله واحتل المدن الثلاث ، التى طالب بهـا الامبراطور البيزنطى مدعيا تبعيتها له •

والجدير بالذكر أن مؤرخى الأرمن زودونا بمعلومات عن هذه الاسرة القيسية • حيث يظهر عبد البر (أبو الورد) معاصرا للملك البجراطى اشـوط الاول ٢٤٨ — ٢٧٦ هـ كمـا ورد فى كتاب تاريخى وضـعه « توماس أردزرونى » فذكر اسمه « ابلير » وانه سـيد الاباهـونيك ومانزيكرت فيما بين سنتى ٨٦٨ و ٨٨٧ م (٢٥٤ — ٢٧٤ هـ) •

وفى مستهل القرن الرابع الهجرى / القـرن العاشر الميـلادى (٢٨٩هـ — ٩٠٢م) ثار القيسيون (من بنى سليم) على الملك سمبات البجراطى (٢٧٦ — ٢١٠ هـ — ٨٩٠ — ٩١٤ هـ) الذى كانوا يعترفون الملك الأردزرونى المعاصر — حمله عسكرية أخمدت تمرد القيسية ، وان لم يتمكن من الاستيلاء على مانزيكرت • وقد سـمى الكاتب المؤرخ توماس اردزرونى هؤلاء القيسية باسم « أبناء عبد الرحمن »[1] •

وهو اسم لم نجده فى تاريخ بورفيروجنتيس • ويعتقـد ماركفارت انه

(١) يظهر اسم عبد الرحمن فى نص لابن الأزرق ، على انه أبو شخص يدعى «أحمد» فينطبق على اسم أحمد الذى أورده قسطنطين بورفيرجنتس • لكنه لم يذكر اسم أبيه (والد عبد الرحمن) • ولمـا كان احمد هذا قد ذكره بورفيروجنتس على انه ابن عم « أبو لسفت » (عبد الحميد) ، احد ابناء (ابن عبد البر) فاننا نخلص من ذلك الى أن عبد الرحمن هو ابن عبد البر واخو عبد الحميد وهذا يدل ايضا على أن اسم عبد الرحمن كان شائعا فى الأسرة • وان احد الاجداد كان يحمل هذا الاسم • ومن ثم كان ورود اسم ابناء عبد الرحمن فى تاريخ توماس اردزرونى •
راجع :

Canard : Ibid., P. 475.

يوجد خلط في الاسماء في تاريخ توماس أردزرونى[1] . أما عن القيسية في أرمينية بعد هذه الفترة فليست لدينا عنهم معلومات .

وليس هناك شك في أن مدينة بيركرى ، قد انتقلت الى أيدى القيسيين ، عقب ضعف سلطان الاسرة البجراتية ، بعد وقوع سمباط (٨٩٠ — ٩١٤ م) في يدى يوسف بن ابى الساج . كما لا يجب — في الواقع — أن نعطى أهمية لما أكده قسطنطين بورفيروجنتس من أن الملك اشوط البجراطى ، منح أبا الورد (ابليرت) مدن بيركرى وخلات (شسيلات أو خلاط) ، وأرجيش كاقطاعيات له . اذ لو افترضنا — جدلا — أن أشوط البجراطى كان في حالة تسمح له بهذا العمل ، فانه كان من الاولى به أن يحتفظ بهذه المدن لنفسه ويتولى هو حكمها . ولكن يبدو أن بورفيروجنتس أراد — بتأكيد هذا الأمر — أن يكشف عن رغبته في اظهار تبعية هذه المدن للامبراطورية البيزنطية قانونا . لانها كانت تابعة للمملكة البجراتية ، التى أصبحت منذ عام ٩١٥ م خاضعة أو تابعة للامبراطورية البيزنطية[2] .

وهكذا يتبين أن أبناء عبد الحميد أبو الورد ، كانوا معاصرين للامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس . (٣٠٦ — ٣٣٣ هـ ، ٩١٩ — ٩٤٤ م) ، وأنهم — بلا شك — قاموا بدور ما في عام ٢٨٩ هـ/ ٩٠٢م وكان « أبو الورد » الثانى يتولى الحكم ابان كتابة بوفيروجنتس لتاريخه — أى بين عامى ٣٣٨ — ٣٤٢ هـ ، ٩٤٩ — ٩٥٢ م) .

وعلى هذا يمكن القول أنه في الوقت الذى تدخل فيه الحمدانيون في شئون أرمينية ، كانت منطقة الأباهونيك ، والضفة الشمالية لبحيرة (فان) Van في أيدى القيسيين ، أى أيدى أمراء عرب تابعين بدرجة ما للملك البجراطى والامبراطورية البيزنطية .

أما الجحافيون (بنو جحاف) — ويشتركون مع القيسية في أصل قبلى واحد — فهم ينتسبون الى جحاف السلامى (من قبيلة سلام) ،

---

(١) Canard : Ibid., P. 475 - 476.

(٢) Canard : Ibid., P. 476.

الذى تزوج سيدة أرمينية ، هى ابنة الأمير موشغ الذى قتل فى تمــرد سنة ٧٧٢م (١٥٥ هـ) الذى قام ضد العرب فى أرمينية • كما لعب دورا هاما فى أرمينية أبان عصر المأمون ، حيث ثار على واليه العباسى هناك ، واستولى على مدينة دوين مقر الحكم الاسلامى بأرمينية[١] •

وقد بسط « جحاف السلامى وأبناؤه سيادتهم ، على اقليم شاسع يمتد من أرشاروتيك (منطقــة نهر الرس جنوبى بحيرة قارص) حتى بحيرة فان واقليم طارون • كما سيطر على مدينتى منزيكرت وخيلات• ويذكر المؤرخون العرب والأرمن بعض أبناء جحاف السلامى » بأسماء عبد الملك ، وعبد الله وعبد الحميد والد « سوادة » ، الذى دان لخالد ابن يزيد بن مزيد الشيبانى ، فى أواخر حكمه ، الذى تعاون مع والى اذربيجان وأرمينية وقتذاك « ابو ســعيد محمد بن يوســف مروازى (٢٣٥ هـ / ٨٤٩م) »[٢] •

على أننا نفتقد الاثر التاريخى لهؤلاء الاشخاص فى أرمينية (فى أواسط القرن التاسع الميلادى / أواسط الثالث الهجرى) • فقد ذكــر الطبرى ابن سواده ــ ويدعى جحاف فى حوادث سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥ م على أنه قائد للقوات الاسلامية فى ملطية Malytaia • ويبدو أنه ــ فى هذه الفترة انتقلت الاقاليم التى كانوا يملكونها أو يحكمــونها ، الى أيدى اسرة سلامى آخر ؛ لابد أنه كان من أقرباء أبو الورد (عبد البر) التى كان ابناؤها يحملون بنوع خاص اسم « القيسيين » ، لكن سوف نتبين أن هؤلاء الجحافيين ظلوا يملكون اقليما ما فى أرمينيــة ، حيث كان بعضهم على علاقة بسيف الدولة الحمدانى عام ٣٢٨ هـ ، دون ذكر أو تحديد للاقليم أو المدينة التابعة له[٣] •

---

(١) Canard : Ibid., P. 477.

(٢) Canard : P. 477.

(٣) Canard : P. 477 - 478.

(جـ) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) :

كان يوجد بأرمينية منذ القرن التاسع الميلادى (النصف الثانى منه بخاصة) مملكتان تعلوان على مختلف الامارات الاقطاعية الأرمينية هذا فضلا عن الامارات العربية الاسلامية التى كانت هناك فى نفس الفترة • وقد حاولت مملكتان أرمينيتان ممارسة نوع من السيطرة والسيادة على الامارات العربية الاسلامية آنذاك • هاتان المملكتان الأرمينيتان هما : مملكة البجارطه (البجراطيون) فى شمال أرمينية ، والمملكة الاردزرونية فى جنوب البلاد [١] •

ومن ناحية أخرى تعرض النفوذ العباسى — فى مستهل القرن التاسع الميلادى — فى اقليم القوقاز للزوال • وذلك بسبب التمرد الخطير الذى قام به اسماعيل بن شعيب أمير تفليس على عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) • هذه الثورة تم سحقها واخمادها بمساعدة أمراء الأرمن • كما شهدت سنة ١٩٧ هـ (٨١٣ م) حركة تمردية أخرى قامت فى مدينتى دبيل (دوين) وبرذعه ، فضلا عن قيام المسلمين فى تفليس سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) بالتمرد ثانية على أميرهم وقتذاك محمد بن حطب • كما هزمت القوات العباسية فى مدينة كاختى Kakhti سنة ٢٢٦ هـ (٨٤٠ م) و ٢٢٨ هـ (٨٤٢م) من جانب قوى أرمينية محلية ، وفى سنة ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) تمرد أمير تفليس ، ورفض السماح لقوات الخلافة العباسية بقيادة « بغا الكبير الشرابى » بالتدخل للقضاء على محاولة جعل مدينة تفليس مركزا لدولة اسلامية فى اقليم القوقاز [٢] •

أما عن الوضع بالنسبة للجانب البيزنطى ، فقد تأثر موقفهم بتفجر النزاع الدينى الأيقونى مرة أخرى ، فى نفس الوقت الذى كانت الخلافة العباسية تعانى من متاعب داخلية كثيرة • كما منيت بيزنطه

---

(١) Allen, W.E.D. : Hist. of the Georgian People, P. 81 - 82.

(٢) Allen : Ibid., P. 82.

حين حاولت التدخل فى شئون بلاد الابخاز بكارثة وهزيمـــة ملحقة سنة ٨٤٢م (٢٢٨هـ)[١] •

ومع استمرار تدهور أوضاع كل من القوتين المتنافستين وقتـــذاك (العباسية — والبيزنطية) ، برز البيت البجراطى رافعا لواء التمرد ، معبرا بذلك عن تلك الروح الجبلأة الصرفة لسكان أرمينية ذات الطبيعة الجبلية الجافة • كما نصب أشوط الاردزرونى نفسه ملكا على اقليم الفاســبوراكان جنـــوبى بحيرة (فان) Van • أما باقى المنـــاطق الأرمينية ومعظم منطقة جورجيا فقد توزعتها أجنحة البيت البجراتى• وكان أكثر أفراد هذا البيت عقلا وحكمة وشجاعة وحنكة ، فى مواجهة أزمات القرن التاسع الميلادى المحدقة بأرمينية ، هو أشوط البجراتى امير شيراك Chirak الذى حقق نصرا على العرب الموجودين هنـــاك، فعينه نبلاء الأرمن عليهم ســـنة ٨٨٦/٨٨٧م (٢٧٣ — ٢٧٤هـ) ملكا ومنحـــوه لقب « ملك ملـــوك الأرمـــن » (أو شـــاهنشاه الأرمـــن) Armen = Arkhôn Arkhonton Armenôn ويستمر ملكا على الأرمن دون منازع حتى سنة ٨٩٠ م[٢] •

والجدير بالذكر أن كلا من المملكتين الأرمينيتين كانتا من صـــنع المسلمين أنفسهم ، الذين أرادوا — بمساعدتهم لاقوى وأكبر أسرتين اقطاعيتين فى أرمينية — اســـتغلال نفـــوذهما لصـــالح دولة الخلافة العباسية • ولا غرو ، فقد باتت دولة الخلافة تشعر — منـــذ النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى أواخـــر القـــرن الثالث الهجـــرى — بالحاجة الماسة الى مصانعة الأرمن ، لكى تكسبهم — ولو بطريق غير مباشر — الى جانبها فى صراعها ضد الروم ، الطامعين فى فرض نفوذهم وبسط سيطرتهم على البلاد الأرمينية[٣] •

---

(١) Allen : Ibid., P. 82.

(٢) Allen : Ibid., P. 82.

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 463.

ففيما يتعلق بالملكة البجراتية (البجراطونية) ، قـرر الخليفة العباسى المتوكل على الله سنة ٢٤٦/٢٤٧ هـ (٨٦١ — ٨٦٢ م) منـح لقب « أمير أمراء أرمينية وجورجيا وبلاد القوقاز » لأحـد أفـراد هذه الاسرة وهو أشوط الأول Achût I بن سمباط Sombat • فلمـا رأت الامبراطورية ذلك ، قررت الرد على المبـادرة العباسـية تجاه البجارطة ، بمنح أشوط الأول نفسه لقب ملك Rex [1] •

ولقد سعت المملكة البجـراتونية الأرمينية الفتيـة ، الى دعـم نفوذها وسلطاتها ، على حساب كل من الامـراء الأرمن ، والأمـراء العرب المسلمين المستقرين فى مختلف مدن أرمينية وأقاليمهـا • وكان التوفيق حليف هذهالاسرة الملكية الاقطاعية•ذلك أن مدينة دوين Dwin أو دابيل Dabil عاصمة أرمينيـة الاسـلامية ، اعتـرفت بسلطة وسيادة الملك البجراطى أشوط الأول بن سمباط[2] •

غير أن الأمور لم تستقم على هذا الوضع • اذ حدث نوع من رد الفعل العنيف ضد تنمية أو تقوية نفوذ المملـكة البجـراطية فى عهـد سمباط بن أشوط الأول (٨٩٠ — ٩١٤ م / ٢٧٦ — ٣٠١ / ٣٠٢ هـ) • وكان رد الفعل هذا من جانب بنى الساج أمراء أذربيجـان ، والقائد أفشين التركى ثم خليفته يوسف بن أبى الساج ، اللذين كانا يتوليان أمور أرمينية وآذربيجان ، مؤسسين بذلك أسرة حاكمة صغيرة شـبه مستقلة عن الخليفة العباسى[3] •

اتجهت سياسة كل من الأفشين بن مازيار التركى ، ويوسف ابن أبى الساج نحو تشديد القبضـة على أرمينية ، وذلك دون التقيـد بالالتزامات المتفق عليها بالنسبة للأرمن منذ بـداية العصر الاسلامى بها ، وهى الالتزامات التى طالما أوفى بها أسلافهما[4] • وكان يوسف

---

(١) Laruent : Les Bagratuni sont en Georgie de le IX Siecle, P. 128, 267/8, 282 + Runciman, Romanus Lepapenus, P. 152.

(٢) Runciman : Ibid., P. 152 + Laurent : Ibid., P. 282.

(٣) Laurent : Les Bagratuni, P. 282 + Runciman : Ibid., P. 152.

(٤) Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 464.

ابن أبى الساج كثيرا ما يخرج على طاعة الخليفة العباسى • وانتهى الأمر بأن وقع سمباط ابن اشوط الأول (٨٩٠ — ٩١٤ م / ٢٧٦ — ٣٠١ هـ) • أسيرا فى يد يوسف ابن الساج سنة (٣٠١هـ/٩١٤م) ، الذى لم يلبث أن أعدمه بعد تعذيبه[1] •

اعتلى أشوط الثانى بن سمباط « التعيس » عرش أبيه بعد مقتله سنة ٩١٤ م ، وتولى حكم أرمينية باسم البجارطة فيما بين سنتى ٩١٥ م ، ٩٢٩ م — (٣٠٢ — ٣١٦ هـ) • لكنه لم يتمكن من بسط سيطرته الملكية على كل الأراضى الارمينية ، وذلك بسبب قيام أحد اقربائه الأسبارابت (القائد العام) أشوط ، بالسيطرة على جزء من أرمينية بمساعدة يوسف بن أبى الساج ، الذى ألبسه التاج الملكى ، ونصبه ملكا على أرمينية فى دوين حاضرة الحكم الاسلامى هناك ، وذلك لكى يضارب به أشوط الثانى[2] •

انصرف يوسف بن أبى الساج — بعد تتويج القائد العام أشوط ، أحد أقارب الملك البجراطى أشوط الثانى بن سمباط التعيس — باهتمامه لحسم الموقف مع الخلافة العباسية . اذ خرج محاربا جيش الخلافة فى اقليم الجبل • وعندما تم أسره سنة ٣٠٧ هـ (٩٢٠ م) وسيق مكبلا الى عاصمة الخلافة (بغداد) حل محله فى عمل أرمينية عامله ومولاه سبك Subuk — بالأرمينية Spuk ومع هذا لم يتمكن أشوط الثانى من السيطرة على دوين عاصمة الحكم الاسلامى فى أرمينية[3] •

لم يمكث يوسف بن أبى الساج فى أسره بدار الخلافة أكثر من ثلاث سنوات ، اذ عاد بعدها سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) الى عمله فى اذربيجان ، حيث اطلقت الخلافة العباسية سراحه بعد تفاهم ما تم بين الطرفين[4] • اذ يبدو أن دولة الخلافة رأت وقتذاك من المفيد مصالحة يوسف بن أبى الساج ، والاعتراف بسلطانه على ما تحت يده من

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ . Defremery : art. : Sajides : Ency. of Islam, Vol. IX, P. 369, 409 + Laurent : Ibid., P. 268 + Runciman : Ibid., P. 152/3.

(٢) Defremry : Ibid., TX, P. 409.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ — ٢٤٦ و Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 465.

(٤) احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية جـ ١ ص ٢٦٧ .

بلاد ، ومنحته مزيدا من السلطات فى ادارة ما تحت يـده من بلـدان وأقاليم ، وذلك مقـابل قيام يوسف بن أبى السـاج بمهمة صد خطر القرامطة عن دولة الخلافة . ومما يؤكد ذلك أنه بعد نحو أربع سنوات من عودة يوسـف بن أبى الساج الى دوين كلفه الخليفـة العباسى (المقتدر ٢٩٥ — ٣٢٠هـ) ٣١٤هـ — بمحاربة القرامطة . فينفذ ابن أبى الساج ما كلف به ، ويغادر اذربيجان لهذا الهدف ، لكنه لم يعد اليها ابدا بعد ذلك ، لأنه قتل سنة ٣١٥هـ (٩٢٨م)[١] .

ومن ناحية أخرى فقد تمكن أشوط الثانى بن سمباط التعيس من احلال الهدوء والأمن فى البلاد الأرمينية ، التى كانت خاضعة لسلطانه. كما تمكن من عقد الصلح مع الأمراء الأرمن ، بحيث اعترف له خصومه وأنداده — وبخاصة أمراء أسرة أردزرونى — بالسيادة عليهم[٢] .

ويبدو أن المملكة البجراطية فى عهد أشوط الثـانى ، لم تنشغل كثيرا بخليفة يوسف بن أبى الساج ، حيث ظلت دوين فى دائرة النفوذ الاسلامى ، تحت حكم واليها العربى المسلم نصر السبكى Nacr Subuki أحد غلمان سبك فيما يرجح — ثم مات أشوط الثانى سـنة ٩٢٩ م (٣١٦ هـ) ، ليخلفه أخوه عباس (أباز) Abas فى حكم أرمينيـة لمدة ثلاثين عاما (٩٢٩ — ٩٥٨م)[٣] .

وفى عهد عباس ابن سمباط التعيس (٩٢٩ — ٩٥٨ م) عاشـت المملكة البجراطية أزهى وأقوى فترات حياتها ، حيث اعتبرت أقـوى سلطة فى أرمينية ، وذلك على الرغم من أن رئيس هذه الأسرة — الملك عباس — لم يتمتع بسلطة ملكية حقيقية على كل أرمينية . اذ كان عليه

---

(١) Derfermery : Sajides. Ency. of Islam IX, P. 409 + Canard : Ibid., P. 465.

(٢) Runciman : Romanus Lecapenus 132 - 15 + Laurent Les Bagratuni, P. 292.

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamh., P. 465 No. 206.

ويذكر جروسية ان ابا (عباس البجراطى) توفى . حـوالى عام ٩٥٢م أو ٩٥٣م مستندا على رواية ازوليك .. راجع :

Grousset : Hist. de la Armenie, P. 478.

مراعاة واحترام نفوذ الاسرة الملكية الاقطاعية الارمينية الاخـرى • وكانت فترة حكم عباس هذه معاصرة لكل من ناصر الدولة وسـيف الدولة الحمدانيين • كما اتسمت الى حد ما باستمرار وجود نوع من الفوضى الاقطاعية — سواء بصـورة مباشرة أو غير مباشرة — بفعـل الأمراء الاتباع أو الاحلاف الأرمن • وقد شملت هذه الفوضى مناطق: ترويبران Turuberan — فيما عدا منطقة الاباهونيك — ومنطقة حوض نهـر الـرس الاعلى والأوسـط ، والبـانيا الغـربية ، بين نهـرى كر (كور) ، والرس Arax — وشمالى أرمينية[1] •

كذلك كانت لاباز (عباس) سيادة أسـمية فقط على منطقـة جورجيا — أى منطقة تفليس Tiphlis وكور العليـا — ، والطايق Taiq — (أى المنطقة الشرقية لتشوروخ الوسطى ، حيث يحـكم هناك أحد فروع الأسرة البجراطية) ، كما شـملت سـلطته منطقـة الطارون Taron التى كانت فى يـد بعض أفـراد الأسرة البجراطيـة كذلك[2] •

وكان حاكم منطقة جورجيا يذكر اسمه عادة مع لقب كوربولات Curopolate أى حاجب البلاط — الـذى كان يمنحه له الامبـراطور البيزنطى • وبعد وفاة الكوربولات اترنرسيه الثـالث Aternerseh III فى عام ٩٢٣ م — خلفه ابن عمه «اترنرسيه الرابع» على حكم منطقـة جورجيا حتى عام ٩٤٥م ، ثم اعقبـه ابنه أشوط الثانى بن اترنرسية الرابع ، الذى مات عام ٩٥٤م[3] •

ومن ناحية ثانية كان أمير اقليم طارون — فيما بين ٩١٤ و ٩٣٦ م (٩١٤ — ٩٢٩ م) فى عهـد اخيـه وخليفتـه (٩٢٩ — ٩٥٨ م) —

---

(١) Canard : Ibid., P. 465 - 466 No., 207.

(٢) Canard : Ibid., P. 466.

(٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٦٥ والبـلاذرى : فتوح ص ١٩٤ و

Brosset : Hist. des Ardzrounis, P. 191, N. 3 + Hist. de la georgie I, P. 280 + Runciman : Romanus le Lecapenus P. 167/1 + Laurent : Bagratuim, P. 99.

هو جريجوريك — أو كريكوريكوس — الذى مات فيما يرجح قبل عام ٩٣٦ م ، فقسمت — بوفاته — منطقة جورجيا بين كل من ابنه الأكبر طورنيق Torniq ، وابن ابو غانم Apoganem آخى جريجوريك[١].

لقد كان أمراء طارون Taron — شأنهم شأن سائر أمراء أرمينية — على علاقة وطيدة ببيزنطه . ويبدو أن جريجوريك كان قد تنازل عن حقوقه اسميا فى ذلك الاقليم بالاعتراف بالسيادة الاسمية للامبراطور البيزنطى ، وذلك مقابل تلقيه معاشا شهريا بصفته السابقة حاكم اقليم الطارون Magister Stratège ، بينما ، احتفظ فعلا باستقلاله[٢].

وتمشيا مع هذا التصرف من جريجوريك فقد منح الامبراطور البيزنطى لقب حاكم — استراتيجوس — لبجارات بن جريجوريك أما أشوط Achot الابن الطبيعى لجريجوريك ، فمنحه الامبراطور لقب بطريق Patrice ولما كان كل من الأخوين أشوط وباجارات ابنا جريجوريك يطمعان فى نصيب ابن عمهما طرنيق (تورنيك) Torniq فى الميراث ، لذا قرر أشوط التنازل للامبراطور عن اقليمه الواقع فى القسم الغربى من الطارون ، مقابل الاقامة فى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية . لكن المنية عاجلت تورنيك قبل سفر أشوط الى العاصمة البيزنطية[٣].

وبهذا يكون الجو قد خلا لكل من باجارات وأشوط ، لكى يستوليا على ممتلكات (طورنيق) Torniq وذلك بالتنسيق والاتفاق مع الامبراطور البيزنطى ، مقابل تنازلهما عن منطقة اوغنوت Oghnut وما جاورها فى الحد الغربى من اقليم طارون . ويبدو أن حكم باجارات لاقليم الطارون استمر حتى عام ٩٤٠ م فقط ، ثم خلفه أخوه

---

(١) Canard : Hist. de la dynastie de Hamd., P. 466/467.

(٢) Canard : Ibid., P. 467.

(٣) Brosset : Hist. des Ardzrounis, P. 101, No. 3.

أشوط الذى مات عام ٩٦٦/٩٦٧ م حيث آل اقليم الطارون بعـــده الى الادارة البيزنطية مباشرة[١].

أما فيما يتعلق بالملكة البجراتية نفسها ، فقد كانت هناك علاقات بين أباز (عباس) والحمدانيين . وبالنسبة للعلاقات بين بنى الساج وأباز فى اذربيجان فلم يتوافر لنا قدر كاف من المعلومات . وان كان من الثابت أن أمراء بنى الساج ـــ حكام اذربيجان ـــ كانوا يرنـــون بناظرهم الى أن تصبح أرمينية كلها تحت سيطرتهم ومع ذلك لم تستمر دوين ـــ عاصمة الحكم الاسلامى فى أرمينية ـــ فى يد أمير عربى واحد كما كان قبــــلا[٢].

ففى سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) قام القائد المسلم « مفلح الساجى » غلام يوسف ابن أبى الساج ـــ سيد اذربيجان ـــ بحملة انتقامية ضد الروم ، والأرمن الموالين لهم ، عقابا لهم على حملتهم التدميرية ضـــد المسلمين المقيمين فى منطقـــة بحـــيرة (فان) Van ، أو Wan وهذه الحملة هى التى اصبح بعـــدها مفلح ســـيد اذربيجـــان دون منـــازع[٣].

هذا فى الوقت الذى كانت بيزنطه ، قد بدأت طورا جـــديدا من أطوار المواجهةمع المسلمين،وذلك بتولى رومانوس ليكابيونس Romanus Lecapenus الحكم (٩١٩ـــ٩٤٤م) . وان كانت توليته أعقبهـــا على الفور تغيير ملحوظ فى الموقف على الجبهة الاســـلامية ، خاصـــة وان الحرب بين البلغار والروم ظلت مضطرمه بعض الوقت . وايا كان الأمر فلم يكن حظ الروم فى البداية سوى هزائم متتالية ، فيما عدا انتصار بحرى أحرزه أسطولهم ضـــد القائد المسلم أبو الحارث غلام ظرافه المنطلق بقواته البحرية من طرابلس حول سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١/٩٢٢م) .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٤ و

Brosset : Hist. de la Georgie, I, P. 280 + Runciman : Ibid, P. 167/8.

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 468.

(٣) Canard : Ibid, P. 468.

هذا ، فضلا عن محاولة بيزنطية فاشلة ، كانت قد جرت فى أرمينية فى العام التالى لتولى رومانوس ليكابينوس العرش — أى سنة ٩٢٠ م — لانتزاع دوين Dwin — المدينة الاسلامية فى أرمينية — من يد حاكمها سبك Subuk غلام يوسف بن أبى الساج(١) .

ولقد أظهرت هذه المحاولة اهتمام الامبراطور الجديد رومانوس ليكابينوس — الأرمنى الأصل — بشئون أرمينية اهتماما خاصا ، فضلا عن اهتمامه بصفة عامة بالحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية، وذلك على الرغم مما يحدق بدولته — من أخطار من جهة الغرب(٢) . واستمرت الحملات العربية الاسلامية تنطلق برا من ملطية ، وبحرا من طرسوس ، كان منها حملة قادها القائد ثمال (ثمل) الطرسوسى Thamal فى عام ٣١١هـ/٣١٢هـ (٩٢٣—٩٢٤م) . وهى الحملة التى اتصل خلالها الطرسوسيون والبلغار ، الذين ركب بعضهم سفن المسلمين وعادوا معهم الى طرسوس(٣) .

والجدير بالذكر انه كان هناك فى ذلك الوقت (أوائل القرن الرابع الهجرى) ثمة مشروع لتحالف بلغارى — اسلامى ، سعى البلغار الى تحقيقه فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ، حين فكر الملك البلغارى ذو البأس سيميون ، فى غزو القسطنطينية عاصمة الروم ، متطلعا الى تتويجه ملكا (قيصرا) للبلغار والروم معا(٤) . ولما كان من العسير — ان لم يكن مستحيلا — غزو القسطنطينية برا ، لذلك احتاج

---

(١) ابن الأثير : الكامل : حوادث ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق حوادث ٣١٠ — ٣١٢هـ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ٢/١٦ — ١٨ وابن الأثير : الكامل : جـ ٨ ص ٤٥ حوادث ٣١١ ، ٣١٢هـ ، على انه ليس من المعروف ما اذا كان هؤلاء البلغار هم بلغار سيميون حسبما يرى فازلييف وكنارد ، أم أنهم بلغار الفولجا كما يرى آخرون مستندين فى ذلك الى رواية المسعودى . وما اذا كانت ثمة مفاوضات قد جرت بين الطرفين للتحالف ضد الروم أم لا ؟
راجع : المسعودى نفس المصدر والصفحة .
Vasiliev : Byz et les Arabes II, P. 222 + Canard : Arabes et Bulgares, P. 213 + Runciman : Romanus Lecapenus, P. 90 No. 3, P. 116-117.

(٤) صابر دياب : أرمينية ص ١٥٤ .

سيمون — لتنفيذ فكرته ، الى عون بحرى فعال ، وهو ماحاول الحصول عليه من الفاطميين فى بلاد المغرب ، فضلا عن بعض عرب المشرق . لكنه لم ينجح فى مسعاه لأن سياسة بيزنطه كانت تركز جهودها على الحيلولة دون لقاء البلغار فى تحالف مع الفاطميين أو التعاون معا ضدها ، لادراكها خطورة مثل هذا التحالف أو التعاون لو تم[١] .

وقد حدثنا المؤرخ كنارد[٢]— نقلا عن كدرينوس Cedrenus — عن مشروع التحالف البلغارى الفاطمى . لكن من المؤسف حقا ان المؤرخ كدرينوس لم يحدد لنا زمان أو تاريخ حدوث هذه المفاوضات أو الاتصالات البلغارية الفاطمية التى أجريت للتفاوض لعقد التحالف . وانما اكتفى بقوله فقط ان سيميون البلغارى كان تواقا الى غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها . فأوفد بعثة دبلوماسية الى ملك الافريقيين (يقصد الفاطميين) فى هذا الشأن[٣]. غير ان هذه المساعى البلغارية باءت بالفشل ، لوقوع البعثة البلغارية والوفد الفاطمى معا فى قبضة احدى سفن الأسطول البيزنطى — عند عودة البعثة الى بلادها — وأسرهم ، ثم أطلق الروم سراح الفاطميين — اصطناعا لخليفتهم ودولتهم — مما كان له أثره الطيب فى نفس الخليفة الفاطمى وقتذاك . وبذلك تكون قد فشلت المحاولة البلغارية للتحالف مع احدى القوى الاسلامية لضرب الروم فى عقر دارهم ، مما لم يجد معه سيميون بدا من اظهار المسالمة — مضطرا — للروم والاتفاق معهم على وقف الغارات .

---

(١) صابر دياب : ارمينية ص ١٥٤

Canard : Arabes et Bulgares, P. 214 +

(٢) Canard : Ibid., P. 215.

(٣) من المحتمل ان يكون هذا الاتصال تم بين البلغار والفاطميين حول سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) أى فى خلافة عبد الله المهدى (٢٩٦ — ٣٢٢هـ) راجع : Canard : Ibid., 215, 16, 20, 22.

وكان سيميون البلغارى قد احتل عام ٣١١ هـ (٩٢٣م) مدينة أندرينوبل البيزنطية ، ثم اضطر لاخلائها ، حتى يتفرغ لمواجهة ثورة كانت قد نشبت وقتذاك فى منطقة الصرب Serbia . وفى عام ٩٢٤ م (٣١٢هـ) تم لقاء بين كل من الامبراطور رومانوس ليكابينوس وبسيميون البلغارى ، تحت أسوار عاصمة الروم (القسطنطينية) . وهذا اللقاء وان لم ينته الى نتائج سريعة ملموسة ، الا أنه أسفر عن تجمد الموقف فى الجبهة البلغارية — البيزنطية حيث توقفت الحروب فيها وقتيا[1].

على أن الموقف تحسن — بعد ذلك — بين الروم والبلغار ، بعد وفاة سيميون وتولية ابنه بطرس أمر الأمة البلغارية . اذ عقد بطرس معاهدة صلح مع بيزنطة سنة ٩٢٧م (٣١٥هـ) . وفى نفس الوقت فان ما نجم عن هذه المعاهدة من توقف الهجوم البلغارى ، جعل الامبراطور رومانوس يلقى بثقله على الجبهة الشرقية معلنا الحرب ضد المسلمين المجاورين لحدود امبراطوريته من جهة الشرق (بلاد الجزيرة والشام وأرمينية) . وكان مما هيأ الجو لهذا الاتجاه تعيين يوحنا كوراكوس Jean Domestias Corcuas — القائد البيزنطى الأرمنى الأصل — قائدا عاما « دمستق » للقوات البيزنطية آنذاك[2].

وهكذا نجد أن رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩هـ—٩٤٤م) واصل سياسة بيزنطة العدائية تجاه المسلمين ، مما مهد الطريق للانتصارات التى أحرزها الروم فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) . وقد عاونه فى هذا السبيل هؤلاء القادة الروم ، الذين كانوا من أصل أرمينى مثل الامبراطور نفسه . اذ وجه هؤلاء القادة اهتمامهم صوب كل من اقليم الجزيرة (الميزوبوتاميا) وأرمينية وكان من أبرز هؤلاء القائد : ملياس Melias [3] — مليح الأرمنى عند العرب ، وكان قائدا (استراتيجوس) وحاكما للواء ليكاندوس Lycandus

---

(١) Runciman : Romanus Lecapenus, P. 112-115.

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. de Hamd., P. 726, 727.

(٣) عن مليح الأرمنى : (ملياس) راجع .
Gregoire : dans Byzantion, S. 1933. PP. 83-87.
Grousset : Hist. de la Armenie, P. 477.- 478.

وصاحب الدروب . هذا فضلا عن يوحنا كوركواس (جورجين) قائد اقليم الاسكول Scholes اعتبارا من سنة ٩٢٣م (٣١١هـ) ، وأخوه تيوفيل Theophile استراتيج (حاكم) لواء خالديا (كالديا أو كلديا) وهو جد يوحنا تزمسكيس . وكان يوحنا كوركواس خاصة ، هو صاحب الفضل الأول فى اتساع الامبراطورية وامتداد أطرافها تجاه الشرق . مما جعل المؤرخين البيزنطيين يسمونه « شبيه تراجان » أو بليزاريوس القائد المحنك[1].

وعلى الرغم من أن الحكام العرب أوقعوا ببيزنطه — أثناء تولى يوحنا كوركواس قيادة قواتها — بوجه عام — ضربات قاصمة ، وتوغلوا فى احدى حملاتهم حتى عمورية Amorium وأنقرة[2]، فان انتصاره عزز — بوجه عام — موقف الروم ، وجعلهم يصمدون فى وجه المسلمين الذين نالت الخلافات من قوتهم ووحدتهم . هذا فضلا عن ما أصاب الخلافة العباسية والسلطة المركزية للدولة من تدهور وانهيار . فالقرامطه يتهددون العراق وعاصمتها بغداد[3]، وثورات الأمراء ، واضطرابات القصر الخليفى ، كل ذلك ساعد جيوش الروم ، وأجهد القوة الاسلامية وشل فعالياتها وقدرتها على العمل تجاه عدو شرس[4].

ففى بداية عام ٣١٤هـ (٩٢٦م) بدأ هجوم الروم على الثغور والعواصم الاسلامية ، مدركين مدى الضعف الذى كان المسلمون يعانونه . وقد أنذر المسلمين — قبل الهجوم — طالبا أن يدفع مسلموا الثغور الشامية لبيزنطه الضريبة اذا أرادوا ألا يخرب بلادهم . فلما رفض العرب ، دخل الروم بقيادة مليح Meleh الأرمينى ضواحى مدينة ملطية ، وخربوا ما جاورها من قرى ورساتيق . مما دفع السكان الى ارسال وفد لبغداد طلبا للنجدة ، دون جدوى . وذلك بسبب انشغال

---

(١) Canard : Hist. de la Dynastie, P. 731, No. 33.

(٢) ابن الأثير : الكامل حوادث ٣١٩هـ (عن ثمال وحملتيه الناجحتين).

(٣) ابن مسكوية : تجارب ١/١٤٥ — ١٤٦ وعريب : صلة ١٢٣ وابن الأثير : حوادث ٣١٢هـ ، المسعودى : حوادث سنة ٣١٣هـ .

(٤) ابن مسكوية : تجارب ١/١٥٩ .

العباسيين بالخطر القرمطى ، الذى لم ينتهى الا فى عام ٣١٦ ﻫ (بداية ٩٢٨م)[1].

كذلك قام الروم — بعد ابرامهم معاهدة الصلح مع البلغار عام ٩٢٧م (٣١٥ﻫ) بهجمات متواصلة على المنطقة الوسطى من الحدود العربية البيزنطية ، فضلا عن الحملات التى أرسلوها الى أرمينية لمساندة الأرمن ، فى محاولة من الادارة البيزنطية لاجتذابهم للسيادة البيزنطية والولاء للامبراطورية ، كما كان الهدف من هذه المساعدات — الى جانب ذلك — أن يجعلوا من الأرمن مصدر خطر وتهدد دائم لشمال اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) أو الميزوبوتاميا ومنطقة (هنزيط) L'Anzitene وحصن زياد ، وشميشاط Chimchât وسطقة سمسطه Samosata جنوبى ملطية فى نفس العام ٣١٥ﻫ (٩٢٧م)[2] .

وفى العام التالى (٩٢٨م/٣١٦ﻫ) حاول الروم بقيادة مليح (ملياس Melias) الأرمنى الاستيلاء على مدينة ملطية ، ولكن دون جدوى . وأصبح الوضع حرجا سنة ٣١٧ﻫ (٩٢٩م) — بالنسبة لكل من ملطية وآمد وأرزن وميافارقين ، لعدم حصول اهاليها على مايدعم صعودهم امام الهجمات البيزنطية الملحة والمحتملة بقيادة « مليح الأرمنى » . ولعل ذلك الوضع أدركه جيدا القائد البيزنطى فزحف سنة ٣١٨ﻫ (٩٣٠م) على منطقة سمسطة فى اقليم الجزيرة[3] .

ومن ناحية أخرى كان الوضع مختلفا الى حد ما فى جبهة الثغور الشامية . ذلك أن أهل طرسوس Tarsiotes شنوا حملتين — ضد الروم فى عامى ٣١٤ — ٣١٥ﻫ (٧/٩٢٦ — ٩٢٧/٨م) فشلت احداهما ونجحت الأخرى . كما شنوا حملتين اخرتين سنة ٣١٩ﻫ (٩٣١م) بقيادة ثمال Thamel الطرسوسى : احداهما كانت فى الربيع ، والأخرى

---

(١) Canard : Ibid., P. 732.

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق حوادث ٣١٥ﻫ وابن مسكوية : نفس المصدر والصفحة .

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie, P. 732/733.

فى الصيف ، فضـــلا عن حملة شنها بعد ذلك بقليل سعيد بن حمدان بن حمدون[1] .

ومما يروى ان الروم تمكنوا سنة ٣١٩هـ (٩٣١م)من احتــلال مدينة ملطية للمرة الأولى[2] . وان كان تحديد هذا التاريخ غير مؤكد بصفة قاطعة . ذلك ان رواية ابن الأثير توضح ان أبا العــلاء سعيد بن حمدان تولى فى هذا العام (٣١٩هـ/٩٣١م) حكم الموصل وديار ربيعة ، ثم تلقى أمرا من الخليفة المقتدر العباسى (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) باستعادة المدينة (ملطية) التى كان قد اخذها الروم . وهو ما يفهم منه أيضــا ان المدينة استسلمت ليوحنا كوركواس قبل هذا العام ، أى فى العـــام الســابق مثلا (٣١٨هـ/٩٣٠م)[3] . فيقول ابن الأثير أن « عســاكر الروم سارت الى سميساط (شميشاط) فحصروها ، فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان » والى الموصل وديار ربيعة ، الذى اشترط عليــه الخليفــة — العباسى — المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠) عند توليته ، أن بغزو الروم ، ويستنقذ منهم ملطيــة ، التى كان أهلها قــد ضعفوا ، فصــالحوا الروم ، وســلموا مفــاتيح البلد اليهــم ، فحكموا على المسلمين »[4] .

تجهز سعيد بن حمدان وسار الى سميساط لاجلاء الروم عنها . فلمــا قاربها هربوا الى ملطية ، التى كان بها جمع من الروم ، وعسكر القائد البيزنطى مليح الأرمنى (ملبيــنس) يؤازره بنــاى بن نفيس الخــارج على الخلافة العباسية ، الذى تمرد على المقتدر وتنصر اثناء

---

(١) عريب القرطبى : صلة الطبرى ص ١٤٦ و
Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 230, 232.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٢٠ و
Canard : Hist. de la Dyn. P. 733 No. 40.

(٣) كانت ملطية تحت سيطرة حاميــة بيزنطية ومتمرد عربى يدعى « بناى بن نفيس » الذى كان قد فر من بغداد بعد فشل انقلاب على الخلافة اشترك فيه سنة ٣١٧هـ . راجع : ابن الأثير حوادث ٣١٧هـ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٢١٧ (حوادث ٣١٩هـ)

مقــامه مع الروم . فلما أحس الروم بمقدم سعيد بن حمدان اليهم وهم فى ملطية ، خرجوا منهــا ، « خشية ان يدركهم سعيد وعسكره من خــارج المدينة ، ويثور أهلهــا فى الداخــل على الروم فيهلكوا ، ففارقوها « ودخل سعيد بن حمدان ملطية ، ثم استخلف عليها أميرا ؛ وعاد منها الى غزو بلد الروم وكان دخوله بلد الروم فى شوال سنة ٣١٩ ، حيث قدم بين يديه سريتين تمكنتا من العسكر البيزنطى فى البلد ، فقتلوا منهم خلقا عظيما قبل دخوله اليها »[1] .

وقد أورد أبو فراس الحمدانى فى احدى قصائده ثلاث اشارات بشأن حملة سعيد بن حمدان هــذه على الاقليم البيزنطى . وتعطينا احدى هذه الاشارات أو التعليقات تأريخا للحملة بأنها كانت سنة ٣٢٩هـ (ولكن صحته ٣١٩هـ حيث توفى سعيد بن حمــدان ســـنة ٣٢٣هـ) اما التعليق الثانى — وهو خلو من أى تاريخ — فيبين أن سعيد بن حمدان قام من ملطية وفى صحبته سيف الدولة ، وأنه وصــل الى ليكاندوس (لوقاندو Luqandu) وسمندو Samandu أو ترامندوس ، والصفصــاف Ac-Cafcat ووادى صبور . وعلى الرغم مما قيل فى شأن هذه الحملة من أنهــا انطلقت من حلب — وهو أمر مستحيل بالنسبة لتــاريخ وفاة سعيد بن حمدان وهو سنة ٣٢٣هـ — ، الا أن من الراجح جدا ان تكون هذه العملية هى عملية سنة ٣١٩هـ . أما التعليق الثالث فيذكر فقط مرور سيف الدولة مع عمه سعيد بملطية عام ٣١٨هـ (والصحيح ٣١٩هـ)[2] . وهذا بلا شــك كان أول عمل يشترك فيــه سيف الدولة ، وكان عمره وقتها ١٥ عاما (خمس عشرة سنة فقط) .

أما الرواية الاغريقيــة التى يوردها كنارد فتؤكد على حقــائق

---

(١) ابن الاثير : المصدر نفسه ٢١٧/٦—٢١٨ ، وابن حوقل صورة الأرض ص ١٢٠ ، و

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 733 No. 40.

وسيستولى الروم على ملطية ثانية ٣٢٢هـ بواسطة يوحنا كوركواس، وتبقى فى يدهم حتى عام ٣٨٩هـ (١٠٠١م) كما سيتضح فيما بعد .

(٢) أبو فراس الحمدانى : ديوانه (نشر الدهان) ص ١٣٦ ونسخة برلين ورقة ٣٧ .

أخرى ، أهمها أن أمير ملطية العربى المسلم « أبو حفص » Apochaps من ذرية عمرو بن عبيد الله الاكتع ، ومعاونه أبو الصلت دخلا فى مفاوضات مع يوحنا كوركواس ، لأنهما شعرا — فيما يبدو — بأن بغداد لا تعنى بهما • وان يوحنا كوركواس احتفى بهما ، وأرسلهما الى القسطنطينية ، حيث عقدا معاهدة تحالف رسمية مع الامبراطور البيزنطى رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩ — ٩٤٤م) — الذى شارك قسطنطين السابع بورفيروجنتس الحكم ٩١٣ — ٩٥٩م — وقد عاد بعد عقد المعاهدة الى بلدهما ، حيث حاربا فى صفوف القوات البيزنطية • ثم ظهرا فى القسطنطينية كمنتصرين يقودان أسرى المسلمين • وان المعاهدة ظلت سارية حتى مات أبو حفص فنقضها أهالى ملطية • كما يذكر كنارد أنه ليس من المؤكد ماذا كان الموقع الذى حرره سعيد بن حمدان قبل ملطية هو شمشاط أم لا ؟[1] •

على أى حال ، لقد تخلصت ملطية من الروم مرة أخرى • ومن المحتمل أن يكون الروم قد قاموا — بعد قليل — بمحاولة جديدة لغزو المدينة • ففى سنة ٣٢٠هـ (٩٣٣م) حين كان مؤنس الخادم فى الموصل — متمردا على الخليفة العباسى — علم ان الروم يزحفون على ملطية ، فأتصل مؤنس بناى بن نفيس الذى بقى على صلة طيبة بالروم • فاقنعهم بناى بالكف عن الهجوم تلك السنة[2] •

ثم عاود الروم محاولتهم لغزو ملطية سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م بقيادة القائد البيزنطى — الأرمنى الأصل — يوحنا كوركواس ، الذى صحب معه القائد مليح الأرمنى أيضا وجنوده الأرمن ، وكان جملة تعداد قوات كوركواس حول خمسين ألف مقاتل • وفى البداية حاربت حامية المدينة مدافعة عنها خارج أسوارها ، ولكن كثافة الجند البيزنطى اضطرتهم الى الانسحاب والتحصن داخل المدينة لتقع بعد ذلك تحت حصار شديد للروم ، ترتب عليه وقوع مجاعة بين أهلها وانتهى

---

(١) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 734-735.

(٢) عريب : صلة الطبرى ص ١٧١ .

الأمر باضطرار حامية المدينة الى التسليم فى غرة يوم الاثنين جمادى الاخرة ٣٢٢هـ (١٩ مايو ٩٣٤م)[١]. وسلم الأهالى جميعا . وقد نبه الروم بأنه على كل من يريد البقـاء فى ملطيـة مع أسرته وأمواله ان يتنصر (يتحول للمسيحية) . اما من بقى على اسلامه فتم ترحيلهم الى الأراضى الاسلامية[٢].

وقد تعرضت ملطية ، بعد اقتحام الروم لها واستسلام حاميتها واذعان أهلهـا لحكمهم ، لتخريب وتدمير شديد . وأصبحت بذلك من أمـلاك الادارة البيزنطيـة Curatore ، وظلت كذلك حتى سـنة ٤٩٤/٤٩٥هـ (١١٠١م)[٣] .

الاستيلاء على شميشاط :

تمكن الروم من الاستيلاء على سميساط (شميشاط أو اسمسوساط) فى نفس الوقت الذى سقطت فيه ملطية سنة ٣١٩ فى يد الروم . لكن استيلاء الروم على سميساط هذه المرة لن يكتب له الاستمرار ، وانما سنرى الروم يتمكنون . فيما بعـد ، سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٦م) فيقومون بالاغـارة على آمـد وسمسطة ، وأن سمسطة مونهـا سيف الدولة الحمدانى ، ولم يتمكن الروم من فتحها الا فى سنة ٣٤٧هـ (٩٥٨م)[٤].

ولقد نتج عن فتح الروم لملطية ، أنهم فتحوا المنـاطق التابعـة لها وهى هنزيط (يذكرها كنارد انزيتين Anzitene) وشميشاط . وقد أورد ابن حوقل فى كتابه عن المسالك والممالك خبر استيلاء الروم على

---

(١) الهامى : التوفيقات الالهامية ص ٢٤٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٤ (حوادث ٣٢٢هـ) والمسعودى : التنبيـه والاشراف ص ١٨٣ ، وياقوت : معجم البلـدان جـ ٤ ص ٦٣٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ١٩٧ .

(٣) مختار الهامى : التوفيقات ص ١٦١ . وقد أورد أنه فى ٤ يناير ١١٠١م الموافق غرة ربيع الأول ٤٩٤هـ وقعت فى يد الفرنج أيضـا مدن : سروج من ديار الجزيرة وارسوف بساحل عكا ، وقيسارية .

(٤) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 736.

ملطيـة وحصن زياد وشميشاط . والراجـح أن المسلمين تمكنوا من استعادة شميشاط من الروم ثانيـة سـنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م) ذلك أن سيف الدولة — بعد أن حاصر حصن زياد ، الذى كان تابعا لبيزنطه ، انسحب منهـا فى نفس السـنة الى شميشاط — التى كانت تابعـة لبيزنطه[١] .

نتائج سقوط ملطية وشميشاط :

استمر الوضع فى هذه المنطقة غير مستقر لبضع سنوات الى أن ضمت هذه الاقاليم لبيزنطة ابان عهد الأمبراطور رومانوس ليكابينوس (٩١٩ — ٩٤٤م/٣٠٦ — ٣٣٢هـ) . حيث ألحقت هنزيط (أو خنزت Khanzit أو أنزيتين) ، ورومانوبوليس الى اقليم الجـزيرة (ما بين النهرين — الميزوبوتيميـا) كما أنشىء من ناحيـة أخرى — لـواء سميساط[٢] . والحق ان ذلك كله يعتبر صـدى لسقوط ملطيـة فى يد الروم . وان كان ذلك لا يعنى ان عمليـة ضم هذه المنـاطق (هنزيط ورومانبوليس) والانشاء (انشاء لواء شميشاط) تمت جميعها عقب استيلاء الروم على ملطيـة مباشرة[٣] .

كذلك كان من نتـائج سقوط ملطيـة وشميشاط فى يد الروم ، انتقال قبيلة بنى حبيب — وهى قبيلة منافسة لبنى حمدان — التى كانت تقيم فى منطقة نصيبين ، الى الاقاليم البيزنطية . وهذه القبيلة كانت منذ زمن بعيد فى نزاع مع الحمدانيين ، ولذلك انحازت الى جانب على ابن مقلة الوزير العباسى : فى حربه ضد ناصر الدولة الحمدانى ، الذى كان يهدف الى استعادة الموصـل من القوات العباسية . وقد احتدم الصراع بشـدة بين أسرة بنى حبيب وبين الحمدانيين ، الى ان حسم بسقوط مدينة « السميعية » عاصمة بنى حبيب وتدميرها تماما عـام ٣٢٣هـ/٩٣٥م[٤] .

---

(١) Canard : Ibid, P. 737.

(٢) قسطنطنين بورفيروجنتس . ادارة الامبراطورية ص ٢٢٦ .

(٣) Canard : Hist. de la dynastie des Hamd., P. 737.

(٤) Canard : Ibid., P. 737/8.

وقد حرص ناصر الدولة على تلقين بنى حبيب درسا قاسيا لا ينسى ، فضيق عليهم ، حتى اضطرهم للتخلى عن أراضيهم الخصبة الغنية ، بعد أن جعل حياتهم قطعة من العذاب . فرحلوا مع قطعانهم الى الاقاليم البيزنطية للاقامة فيها ، واعتنقوا النصرانية ، ثم سرعان ما اندمجوا فى آله الحرب البيزنطية ، وأصبحوا من أكفأ العسكريين فى القوات البيزنطية ، بعد أن كانوا من أخطر أعداء الروم[١].

والجدير بالذكر أن قبيلة بنى حبيب هذه التى كانت من القبائل ذات الشأن الكبير ، حيث كانت نديدة لبنى حمدان ، وكان لديها من الفرسان مايربو على العشرين ألف فارس ، هذا عدا أفراد أسرهم أو عبيدهم ، وكلهم على مسيوى عال من الدربة والتجهيز — لقيت حفاوة بالغة منجانب السلطات الأمبراطورية البيزنطية.وقد نهجنهجهم بعض أفراد من قبائل أخرى هربا وفرارا من بطش الحمدانيين المتوقع بهم لعمالاتهم بنى حبيب . ابان صراعهم ضد على بن مقلة[٢].

واذا كان ابن ظافر قد أورد قصة بنى حبيب مع الحمدانيين ، فان ابن حوقل ذكرها بمزيد من التفصيل فى الفصل الذى أفرده فى كتابه للحديث عن اقليم الجزيرة . فابن ظافر تحدث عن التنافس بين العشيرتين وهو ما بحدثنا عنه أيضا أبو فراس فى ديوانه . بينما يزيد ابن حوقل شارحا العوامل التى دفعت بنى حبيب للهجرة ، قائلا ان الحمدانيين انقضوا على البلد وارهقوه بكل ضروب الظلم . . » وحدد أبن حوقل لذلك سنة ٣٣٠هـ تقريبا وهو ما يتوافق الى حد ما مع رواية ابن ظافر عن هذه الحادثة[٣].

---

(١) Canard : Ibid., P. 737/8.

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة . تحقيق روزنتال ص ١٠٣—١٠٥
Canard : Op. Cit., P. 738.

(٣) ابن حوقل : ط ١ ، ص ١٤٠ وما بعدها و ط ٢ ص ٢١١ وما بعدها .

وابن ظافر : الدول المنقطعة ص ١٠٣—١٠٥ تحقيق روزنتال

أما روزنتــال Rosenthall فيربط بين هجرة بنى حبيب للاقاليم البيزنطية ، وبين استيلاء الروم على ملطية ، كنتيجــة لهذا الاستيلاء والحق ان صدى هذا الغزو كان قويا بلا شك ، ولابد أنه قد أثر بطريقة أو بأخــرى فى القرار الذى اتخــذه بنو حبيب بالهجرة — من نصيبين والسميعية ومنطقة الجزيرة بأكملها — الى الأراضى البيزنطية[1].

لكن كنارد Canard يذكر ان ظاهرة انتقال الجماعات من دولة الى أخــرى وتحولهم من ديانة الى أخــرى ، آنذاك ، كانت من الأمــور المعتادة ، لكثرة حدوثها خلال العلاقات العربية — البيزنطية ، أكثر من ارتباطها بالموقف العسكرى ، وما ينجم عن الصدام بين المسلمين والروم فى ميدان القتال . ألا أن هذه الظاهرة — انتقال جماعات وقبائل عربية الى أراضى بيزنطه وتنصرهم هناك — كانت مما شجع الروم على التوغل أكثر فأكثر فى الأراضى والبلدان الاسلامية ، واحراز النجاح فى منطقة الجزيرة (ما بين النهرين) فيما بعــد[2].

---

(١) ابن حــوقل : ط ١ ، ص ١٤٠ ومابعــدها و ط ٢ ، ص ٢١١ وما بعدها .

وابن ظافر : الدول المنقطعة ص ١٠٣ — ١٠٥ .

(٢) Vasiliev : Arabes et le Byzance, II., P. 120, 121, 419 - 421.

Canard : Hist. de la dynastie des Hamdanides, P. 737-739.

الفصل الثاني

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم قبل سيف الدولة

«الفترة السورية الجزرية»

(٣١٩ ـ ٣٣٣هـ / ٩٣١ ـ ٩٤٥م)

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم قبل سيف الدولة

(٣١٢ ــ ٣٣٣هـ / ٩٢٤ ــ ٩٤٤م)

(أ) مرحلة المواجهة الأولى فى ثغور الجزيرة وأرمينية :

تعرف هذه الفترة من فترات المواجهة الاسلامية ــ البيزنطية ، باسم « الفترة القبل سيفية أو الفتره الأرمينية الميزوبوتامية »(١) . فقد أهتم الحمدانيون منذ بداية حكمهـم فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) بمنطقة أرمينية ، باعتبارها تابعة لسيادة الخـلافة العباسية . وكانوا يتطلعون الى أن يصبح هذا الاقليم تحت سيطرتهم المباشرة ، لاعتقادهم باحقيتهم فى الاعتراف بهم كولاة على أرمينية ، تماما فى ذلك مثل الولاة العباسيين على منطقة اذربيجان . ومما شجع الحمدانيين على التطلع لبسط نفوذهم وسيادتهم على أرمينيـة وادخالهم ضمن نطـاق سلطانهم انهم كانوا يحكمون منـاطق ديار بكر ، وبخاصـة منطقـة ارزانين Arzanene ــ المتاخمة لأرمينية ، فضـلا عن بعض المواقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة Tigris فى مقاطعات قرد Qarda وبازبدا Bazabda المتاخمتين لمناطق زاوازان انتزيفاتسك(٢) .

وسعيا وراء الوصول لهذا الهدف ، فقد شيد حمدان ابن حمدون مؤسس هذه الأسرة ــ سورا حول مدينة ملطية أنفق على بنائه ما بين ٧٠ ، ٩٠ ألف دينـار . كما أوصى للمدينة ــ عن طريق الوقف ــ بحصة تقدر بأربعمائة فرس من اصطبلاته . وسجل هذه الذكرى بنقش على هذا السور ، شهده سيف الدولة الحمدانى فيما يرجح بعد ذلك عـام ٣١٩هـ/٩٣١م ، ونوه به أبو فراس الحمـدانى حين دخـل ملطيـة عام ٣١٩هـ ، أى بعد الحملة البيزنطية عليها التى هاجمتها سنة ٢٩٩هـ (٩١١م) بنحو عشرين عاما ، وشكا منها سكان ملطية للحمدانيين(٢) .

---

(١) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 463.

(٢) أبو فراس : ديوانه (الدهان) ص ١١٠ .

على أن هناك روايات ترجع هذا الحدث الى سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) وليس سنة ٣١٩هـ • لانه فى هذا التاريخ (٣١٤هـ/٩٢٦م) يورد ابن الأثير قصة وفد قدم من ملطية الى بغـداد لطلب النجدة ، من الخليفة العباسى • فهل كان حمدان آنذاك (٣١٤هـ) لايزال على قيد الحيـاة الأمر مشكوك فيـه • لأن قوات الخليفة كانت قد أسرت حمدان بن حمدون منذ عـام ٢٨٢هـ/٨٩٥م ، وكان وقتها بالتأكيد فى سن كبيرة ، ومن المؤكد انه توفى سنة ٣١٤هـ • ولذلك نتساءل مرة أخرى فنقول : هل من الممكن ان نحدد لهذه الواقعة تاريخا أقدم من ذلك ، فى الفترة التى حاصر فيها الامبراطور باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م) مدينة ملطية مرة فى سنة ٨٧٢/٢٥٩هـ ، وأخرى سنة ٨٨١/٢م ٢٦٨هـ[1] •

على أى حـال ليس هنـاك ما يشير الى اشتراك الحمدانيين فى الحرب ضد الروم قبل عـام ٣٠١هـ/٩١٣ — ٩١٤م • ومع ذلك ينبغى لنا ، لكى نفهم جيدا وضع البيزنطيين والعرب ، ازاء بعضهم بعضا فى الفترة التى بدأ فيها الحمدانيون — وبخاصة سيف الدولة — أن نعرض أهم الاحداث فى أواخر القرن الثالث وبداية الرابع الهجريين (التاسع / العاشر الميلاديين)[2] •

فبالنسـبة للروم ، لم يكن ليو السـادس (الحكم) (٨٨٦ — ٩١٢م) ، موفقا فى قيادته للروم فى حربهم ضد المسلمين لأنه لم يكن أصلا راغبا فى الحرب • وكل ما فعله هو تحمل رد الفعل العنيف الذى أحدثته هجمات المسلمين فى جزيرة صقلية والشرق ، وفقد مدينة طبرمين عـام ٢٨٩هـ/٩٠٢م • كما لم تسمح الحرب التى اشتعلت من جديد فى أوربا مع البلغار ، للجيوش البيزنطية فى أول الامران تقـاتل على

---

(١) عن غزو ملطيـة ٢٥٩هـ (٨٧٢م) و ٢٦٨هـ/٨٨١/٢م راجـع فازلييف :
Vasiliev : Arabes et le Byzance, P. 40.
وقد أورد الطبرى فى الجزء الثالث من تاريخه (ص ٢٠٢٦) ذكر هجوم ٢٦٨هـ •

(٢) Vasiliev : Arabes et le Byzance, 2, P. 103 - 191 +
Dstrogorsky + Brehier : Vie et mort de Byzance. PP. 149/55.

جبهة المواجهة الاسلامية فى الشام والجزيرة فضــلا عن أرمينيـــة . بل ان الاسطول البيزنطى منى بهزيمة فادحة عام ٢٨٥هـ/٨٩٨م ، أمام القوات العباسية بقيــادة الخصى يازمان Yazman وبعض الامـــراء العرب[1] . كما هزم ســنة ٢٩١هـ (٩٠٤م) على يد القوات البحرية الاسلامية بقيادة أبو الحــارث غــلام ظرافة (ليو الطرابلسى) التى استولت على الثغر الحـــربى البيزنطى الكبير الواقــع على الســاحل الجنوبى لآسيا الصغرى ، والمعروف باسم اطاليا أو انطاليا Anatalia على ثغر تساليا (تسالونيك) الذى كان لسقوطه صدى مؤلم فى نفوس الروم[2] .

والحق ان هــذه الهزائم التى منى بهــا البيزنطيون (الروم) آلمتهم لدرجة اثارت فيهم روح الانتقام . لكنهم مع ذلك لم ينجحوا فى وقف التقدم ، الذى كان المسلمون يحرزونه برا وبحرا . ولذلك حفلت الفترة من ٢٩٦هـ حتى ٢٩٩هـ (٩٠٩ — ٩١٢م) بحملات اسلامية عديدة موفقة ، قامت بهــا القوات الاسلامية برا وبحرا من ملطية وطرسوس واستطاعوا ان يلحقوا بالاسطول البيزنطى هزيمة ساحقــة فى موقعــة أمام جزر ساموس فى صفر ٢٩٨هـ (اكتوبر ٩١١م)[3] .

لقد ترتب على هــذه الهزائم التى منيت بهــا القوات البيزنطية أواخر القرن الثالث الهجــرى (التاســع الميــلادى) ، أن اصبح من المستحيل عليهم مساعدة الأرمن . وبالتالى عدم الوفاء بالاتفاق الذى التزموا به تجاه أرمينية سابقا منذ عام ٨٩٣م (٢٧٩م) ، بين ليو السادس (الحكيم ٨٨٦ — ٩١٢م) وبين سمباط الأول البجراتى (البجراطونى ٨٩٠ — ٩١٤م) الملقب بالشهيد والتعيس . مما اتاح ليوسف بن أبى

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك جـ ٣ ص ٢١٨٥ (نسخة بريل ، ليدن ، ١٩٦٨) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٢٥٠ و صــابر دياب ، سياسة الدول الاسلامية (عن النشاط الحرى الاسلامى فى العصر العباسى) و
Vasiliev : Arabes et le Byz, P. 138.

(٣) الطبرى : نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٢٨٤ — ٢٢٨٧ و
Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 723.

انساج غزو أرمينية وأسر سمباط (التعيس) الذى انتهى امره بالموت مقتولا سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م[١] فيما يرجح ، كما أسلفنا قبل .

على انـه لا يجب ان يتبـادر للذهن ان فترة حكم الامبراطور البيزنطى ليو السادس (الحكيم) التى اعقبتها فترة حكم أخيه السكندر (٩١٢ — ٩١٣م) — القصيرة الامد — لم تشهد فيهـا الامبراطورية سوى هزائم لاغير ، على حدودها الشرقية (الثغور الاسلامية) . بل انها شهدت عملية تنظيم لمنـاطق الثغور والحدود البيزنطية ، وانشاء اقسام اقليمية جديدة بهدف ضمان الدفاع عن حدود الامبراطورية[٢] .

وفى سنة ٣٠١هـ (اغسطس ٩١٣ — ٩١٤م) قامت حملة حمدانية بقيـادة حسين بن حمـدان — والى ديار ربيعة — بدأت من ملطيـة ، واستولى على عدة قلاع ، ثم عاد عن طريق طرسوس[٣] . وظل الروم عاجزين عن احراز أى نصر على المسلمين ، حتى كانت ثورة حسين بن حمدان على الخليفـة العباسى ، وانشغال افضل قادة الدولة العباسية بالقضـاء على هذه الثورة . مما مكن للروم من أن يحرزوا نجاحا على المسلمين فى حملة قامت بقيـادة احد قادتهم وهو « ملياس الأرمنى » Melias — عند العرب مليح Meleh — الذى كان يحكم منطقـة لواء ليكاندوس البيزنطى Lykandos[٤] .

لكن بيزنطة لا تلبث ان تتعرض للانتكاسة امام العرب مرة أخرى ، بسبب الاضطرابات الداخلية الناجمة عن محـاولة قسطنطين دوكاس Ducas الاستيلاء على عرش الامبراطورية ، واندلاع الحرب من جديد مع البلغار ، الذين طرقت جيوشهم أبواب القسطنطينية ، وما تعرض له الوجود البيزنطى من متـاعب بسبب اضطرابات منـاطق ابوليا ، وكـلابريا Calabria (قلوربة فى صقلية) مما اعاق الامبراطورية عن التصدى بصورة فعالة وقوية لحملات المسلمين البرية والبحرية[٥] .

---

(١) الطبرى : المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٢٨٧ .

(٢) Canard : Ibid., P. 724.

(٣) الطبرى : ٢٢٨٩/٣ و Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 202.

(٤) Canard : Ibid., P. 724.

(٥) Vasiliew : Ibid., 2, P. 197 - 199.

ومع ذلك لم تغب اهداف السياسة البيزنطية عن الانظار • ففى هذا العصر — فيما يرجح — ساعدت بيزنطة أشوط البجراتى فى أرمينية على اعادة ملك الأسرة البجراطيـــة • وكانت أرمينية وقتذاك مهددة — منذ وفاة سمباط — بالاغراق فى مرحلة فوضى شـــاملة ، خشيت معها بيزنطة ان تؤدى الى وقوعها كاملة فى أيدى المسلمين • ولذلك كان كل ما تهدف اليـــه بيزنطة من مساعدتها لأرمينية ، هو الحيلولة دون بسط النفوذ الاسلامى هناك • اذ ستصبح أرمينية فى يدهم مصـــدر خطر يهدد امن الامبراطورية البيزنطية • وقد استعاد أشوط فعـــلا عرش الأسرة البجراطية ، التى أعلن امراء الأرمن ولاءهم لهـــا ، بما فيهم عميـــد آل اردرزونى • وهذه الاحـــداث سيكون لهـــا فيمـــا بعـــد اهميتها ، لانهـــا تحدد بداية سياسة بيزنطية فعالة (ايجابية) تجـــاه أرمينية ، حـــاول سيف الدولة جهده فيما بعد ان يكافحها فى أرمينية نفسها[1] •

(ب) النشاط البيزنطى فى أرمينية بين سنتى ٣٠٣ — ٣٢٣هـ/٩١٥ — ٩٣٥م :

عهد الامبراطور رومانوس الأول (ليكابينوس) ، الى القـــائد الأرمنى يوحنـــا كوركواس Jeam Curcuas بمهمة قيـــادة العمليـــات القتاليـــة ضد المسلمين الموجودين فى أرمينية ، وذلك لمســـاندة الامير البجراتى ؛ الذى كان الامبراطور ليو الســـادس (الحكيم) قد وعده بالمســـاعدة منذ ٨٩٣م (٢٧٩/٢٨٠هـ) ، ولـــم تتمكن الامبراطورية وقتهـــا ، بسبب هزائمها المتتـــالية فى شرق البحر المتوسط وصقلية • وكان الامير البجراتى أشوط الثانى (٩١٤ — ٩٢٨م) يشعر بالخوف من سبك Subuk أمير اذربيجـــان المسلم ، وخليفتـــه يوسف بن أبى الساج ، الذى كانت قواته — مع غـــلامه نصر — تسيطر على مدينـــة دوين (اردبيل)[2] •

---

(1) Grousset, R. : Hist. de la Armenie, P. 443, + Runciman : Romanus Lecapenus, P. 131, 249 - 51

(2) Vasiliev : Byzance et les Arabes, II, P. 231.

وفى سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م) قامت حملة بيزنطيــة كبيرة بقيــادة يوحنا كوركواس بالزحف على مدينــة دوين — مقر الحكم الاسلامى فى أرمينية — وكانت حملة مجهزة تجهيزا كبيرا ، كان له اثره الوقتى فى النيــل من عزم المسلمين هناك آنئذ[1] • وقد خربت هذه الحملة — أثناء زحفها على دوين — منطقة فازيان (كاسيان Phasian) الواقعة شرقى قاليقــلا ، عند منابع نهــر الرس (اراكس Arax) ، وهــذه المنطقــة كانت بيد المسلمين كذلك • وعندما وصلت القوات البيزنطية الى مدينة دوين ، نجحت فى احداث ثغرة (ثلمة) فى أسوار المدينة ، نفذت منها الى داخلهــا • ومــع ذلك صمد الســكان ، بعد ان ذهب عنهــم هول كثافة الروم ، وتمكنوا من طرد قوات الروم ، وكان ذلك فى نفس سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م)[2] •

لكن ، على الرغم من الاخفاق الذى حل بهذه الحملة — الكثيفة التجهيز عددا وعدة — فان الروم جهزوا حملة أخرى ، فى السنة التالية مباشرة (٣١٦هـ/٩٢٨م) ، انطلقت من جنوب أرمينية لمهاجمة الامارات الاسلامية العربية فى منطقــة بحيرة فان Van المتاخمة لاقليم الجزيرة (ما بين النهرين الميزوبوتوميا)[3] •

لقد حاصرت القوات البيزنطيةفىهذه الحملة مدينتى خلاط (خيلات) وبتليس اللتين استســلم أهلهمــا لهم • كمــا دب الذعــر فى قلوب اهــالى أرزن Arzan وسائر المدن الأرمينية المتاخمة لاقليم الجزيرة • وكان صدى تلك الحملة سريعا فى نفوس الأرمن والمسلمين على السواء • فاستنجدوا بالخليفة العباسى فى بغداد[4] • ولكن استغاثتهم ذهبت صرخه فى واد دون جدوى • بسبب ما كانت الخلافة تعانيــه وقتذاك من مظــاهر ضعف وانهيار فى سلطتها • وفى ذلك يذكر ابن الوردى

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ •

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 739.

(٣) ابن الوردى : تــاريخ ابن الوردى (تتمة المختصر) ص ٣٨٨ (تحقيق احمد رفعت البدراوى)،ط : دار المعرفة — بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م

(٤) Canard : de la Dyn. P. 739 - 740.

أن الدمستق (القائد البيزنطى) « صالحهم على ان يقلع منبر الجامع ، ويعمل موضعه صليب ، فاجابوا وفعلوا ذلك ، وفعل ببدليس (بتليس) كذلك »[١] .

وفى سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) قامت حملة بيزنطية أخرى بقيادة يوحنا كوركواس أيضا بالهجوم على مدينة دوين . لكن أمير اذربيجان مفلح الساجى تمكن من التصدى لها ودحرها . فعاود الروم الهجوم على مناطق اسلامية أخرى فى أرمينية بعد ذلك بعامين (أى سنة ٣١٩هـ/٩٣١م) . وهذه المناطق هى : بيركرى (بركرى) وخلاط (خيلات) وما جاورهما . وقد تمكن الروم فى هذه الحملة من رقاب المسلمين فقتلوا منهم عددا كبيرا ، كما اسروا كذلك عددا آخر .

ولما كانت هذه الحملة البيزنطية سنة ٣١٩هـ/٩٣١م ، وسابقتها التى تمت سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) ، قد دفع اليهما وحرض عليهما ملك اقليم الفاسبوراكان « جاجيك بن جريجور درنيك » (المعروف بابن الديرانى فى المصادر العربية) — لذلك صمم مفلح الساجى أمير اذربيجان على الثأر منه لدماء من مات من المسلمين على يد القوات البيزنطية . فجهز حملة كبيرة هاجم بها فى رمضان / شوال ٣١٩هـ (سبتمبر / اكتوبر ٩٣١م) — اقليم الفاسبوراكا كان انتقاما لموقف ملكه جاجيك بن الديرانى[٢] .

والجدير بالذكر . أنه على الرغم من تذرع الروم وادعاؤهم المحافظة على مصالح الشعب الأرمنى كمبرر لتدخلهم فى الشئون الأرمينية ، وتجريد حملاتهم لمناهضة الوجود الاسلامى فى هذه البلاد ، الا ان الشعب الأرمنى ، لم يغب عنه مطلقا الاهداف البيزنطية التوسعية فى بلادهم . ولذلك لم يمدوا للروم يدا بمساعدة أو عون من أى نوع كان فى حروبهم للمسلمين هناك . وكان موقفهم

---

(١) ابن الوردى : المصدر السابق ١/٣٨٨ .

(٢) Vasiliev : Byz. et les Arabes, P. 231, + Macher : Erzerouni, P. 223, by Canard : Ibid., P. 740.

هذا محـل تقدير كبير من الامراء والحكام المسلمين فى كل من أرمينية واذربيجان ، وسببا فى معاملتهم بما يتفق مع موقفهم الطيب هذا[١] .

وايا كان الامر ، فلقد نتج عن هذه الحملات البيزنطية المتتالية ضد المناطق التى يوجد فيها المسلمين فى أرمينية — وهى حمـلات سنوات ٣١٥،٣١٦،٣١٧،٣١٩هـ — ما يشبه التعويق لعملية بسط النفوذ الاسلامى والثقافة العربية هناك . مما أثر فى قوة موقف أمراء العرب والمسلمين تأثيرا سيئا ، لدرجة أن اصبحت الممتلكات والاقاليم الاسلامية الواقعة فى المنـاطق التى تحت السيطرة البجراتيـة والاردزرونية عارية عن أى حماية تقف فى وجه المطامع البيزنطية[٢] .

فقد اخبرنا قسطنطين بورفيروجنتس ان الامراء الذين كانوا من قبل تبعا لسمباط البجراتى ، اضطروا — نتيجة لضعف موقفهم — الى الاذعان بدفع الجزية للامبراطور البيزنطى ، مع الاقرار له بالتبعيـة ، كما فعـل امراء طارون وجورجيا والبجراتيون الأرمن انفسـهم . لذلك كان على سيف الدولة الحمـدانى ان يواجه مثل هـذا الموقف المتدهور الذى كان يعانيـه الوجود الاسلامى فى هذا الصقع والذى أصبحت آثاره غير قاصرة على المنـاطق الأرمينيـة ، بل صـار من المحتمل جدا امتدادها بتأثيراتها الى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) نفسه[٣] .

رد الفعل الحمدانى : أولى عمليات سيف الدولة ضد الروم فى أرمينية :

لقد باشرت بيزنطة نشاطها — بنوع خاص على الجبهة الأرمينية الميزبوتامية — طبقا لخطه مد الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية ، التى طبقت منذ عهد باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م/٢٥٣ — ٢٧٣هـ) . وقد اهمل الروم الجزء الجنوبى فى الجبهة لصالح القطـاع الشمالى .

---

(١) Makler : Erzerouni, P. 223.

(٢) Canard. : Ibid., P. 740.

(٣) بوروفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطيـة ص ١٥١ وما بعدها .

ولذلك باشر الامراء العرب وبخاصة حكام طرسوس عملياتهم من هذه الناحية • كما تصدى — من ناحية أرمينية — « ممنح » الساجى لهجمات يوحنا كوركواس مرات عديدة • اما عن النشاط الحمدانى فى ملطية ، فلم يكن هناك نشاط عسكرى حمدانى ذا بال ، سوى الحملة التى قام بهـا سعيد بن حمدان السابقة الذكر[١] •

وحين استتب الامر للحمدانيين فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين : الميزوبوتوميا Mesopotomia) • التزموا جـانب الدفـاع عن هـذا النطـاق من الثغور الاسـلامية ، « الثغور الجزرية » ، نيـابة عن الخـلافة العباسية التى كانت عاجزة وفى حالة لا تسمح لها بتحمل مسئولية المواجهـة ضد الروم فى منـاطق الثغور الاسلاميـة ، سواء الشاميـة أو الجزرية[٢] •

وقد عهد ناصر الدولة الحمدانى الى اخيه على (الذى سيعرف فيما بعد بسيف الدولة الحمدانى) ، بتولى مسئوليـة حكم منطقـة ديـار بكر ، التى تم انتزاعها من احـد الامـراء المتمردين بمساعدة وتحريض امراء اقليم طارون الأرمنى • وكان هذا الامير الحمدانى الشاب « على » (سـيف الدولة فيما بعـد) ، قد اشترك منذ عـام ٣١٩هـ (٩٣١م) — كما رأينـا — فى حمـلة على الاقليم البيزنطى ، واصبح بذلك يمثل خطرا يتهـدد الوجود البيزنطى ونشـاط ونفوذ القـائد البيزنطى يوحنا كوركواس[٣] •

كذلك اشترك ناصر الدولة فى هذه المواجهـة ضد الروم ، ولكن بنصيب أقل من نصيب أخيه على • كما تدل على ذلك ابيـات اوردها أبو فراس الحمدانى • وربما كان ذلك فيما بعد فى حمـلات ٣٢٣ أو ٣٢٤هـ ، اذ أورد أبو فراس هذه الابيـات عقب الابيـات التى تتحدث عن نجاح الصراع ضد بنى حبيب — ذلك الصراع الذى نعلم انه انتهى اواخر عـام ٣٢٣هـ (نوفمبر ٩٣٥م) — وانه داس بحوافر خيله أرض

(١ ، ٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 741.

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 741.

قلعتى وارتنس Wartanis ، وعاد مع الاسرى الذين جمعهـم ، والذين كانت الاصفاد ترن فى أرجلهم وأيديهم ، ووطلقهم كالماشية على مرج قليز . وقد اورد ياقوت فى معجمه ان الحملة كانت ضد وارتنيس التى خضعت لسيف الدولة ، ثم يذكر فى موضـع آخر شيئا مخـالفا حيث يقول ان سيف الدولة توجه بحملته الى كولونيا[١] .

على اية حـال ، بمكن ان نستنتج من ذلك ان الحملة وقعت فى اقليم ما بين النهرين (لواء الميزوبوتاميا) ، وذلك اذا كانت وارتنيس تطابق — كما ذكرنا قبـلا — الموضعين اللذين يحمـلان اسم فاردنق Vardenik فى هذه المنطقة الأرمينية البيزنطية . فهل كان ابن الأزرق يقصد هذه الحملة حين قال « ان ناصر الدولة استرد فى عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م ملطية وكل الاماكن المحيطة بها ، ودخل الخيزرانى وطارده حتى أطراف اقليمه »[٢] . وهذه هى العبارات القليلة الوحيدة التى تحدثت عن ناصر الدولة[٣] بخصوص المواجهة مع الروم ، فضـلا عن بيت من الشعر ورد فى ياقوت وردت فيه اشارة الى حصن زياد[٤] .

(ب) مرحلة المواجهـة البيزنطيـة — الحمدانيـة فى ثغور الجزيرة وبـلاد الشـام :

(٣٢٤ — ٣٣٢هـ/٩٣٨ — ٩٤٤م)

تمكنت القوات العباسية بقيـادة الوزير على بن مقلة فى سـنة ٣٢٣هـ (٩٣٥م) من طـرد ناصر الدولة الحمـدانى — الذى لم يكن حتى ذلك الوقت ملقبا بهذا اللقب — من الموصل . فالتجـأ « ناصر الدولة » الى جبـال زوازان بأرمينيـة ، ريثما يتمكن من العودة إليها ثانية . على انه خـلال اقامته القصيرة هناك — التى لم تتجاوز شهرين على الاكثر — تمكن من جعـل بعض امراء الأرمن يقبلون بسـيادته

(١) ياقوت : المعجم جـ ٤ ص ١٦٨ .

(٢) ابن الأزرق : تاريخ ميافارقين (تاريخ الفارقى) و Canard : Ibid., P. 742.

(٣) هو ناصر الدولة الحسن بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون راجع زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة جـ ٢ .

(٤) ياقوت : نفس المصدر جـ ٤ ص ٩١٩ .

عليهم ، بل ويسلمون له بدفــع الجزية السنوية التى كانوا يدفعونها للخليفـــة العباسي فى بغداد[١] .

اصبح نـــاصر الدولة فى حكـــم الوالى (الامير) على قســـم من أرمينية — وليس على كل أرمينية كمـــا اشار لذلك بعض المؤرخين — وذلك لان العمـــل الذى قام به ناصر الدولة الحمدانى ، لم يمتد الى العديد من نطـــاق اقليم الفاسبوراكان ، وربمـــا لم يتجـــاوز منطقة الزوازان[٢] .

وفى سنة ٣٢٤هـ (٩٣٦م) يتغير موقف الخـــلافة من ناصر الدولة الحمدانى ، اذ يصدر الخليفة العباسي الراضى بالله (٣٢٢ — ٣٢٩هـ) قرارا إعترف فيه بناصر الدولة واليا على اقليم الجزيرة كله ، بما فيه ديار مضر . وكان ذلك فى الوقت الذى ثار عليه احد اتبـــاعه فى أرزن وهو على بن جعفر الديلمى[٣] .

وعندما كلف ناصر الدولة اخاه الاصغر على — المعروف فيما بعد بسيف الدولة — بالقضـــاء على ثورة على بن جعفر الديلمى ، استنجد هذا الخـــارج المتمرد بابن طرنيق[٤] (ابن الديرانى) واشراف هـــذا

---

(١) ابن الأزرق : تـــاريخ الفـــارقى ص ١١١ والذهبى : تـــاريخ الاسلام ورقم ١٠٧ .

(٢) Canard : Ibid., P. 478.

(٣) الذهبى : المصدر السابق ، ورقة ١٠٧ — ١٠٨ وابن الأزرق : نفس المصدر ص ١١١ .

(٤) بالطبع لا يمكن ان يكون ابن درنيك (طرنيق) ملك أرمينية هو اباز (عبـــابس) البجراتى بل الراجح أن يكون ابن طرنيق هذا هو أمير اقليم الطارون القريب من ديار بكر ، والذى ربما يكون قد حمـــل لقب « ملك » الذى تأكد فيما بعد لاحد خلفائه . ولعل استجابة ابن طرنيق لاستنجاد على ابن جعفر الديلمى ، مرجعه خوفه من أن يسلك الحمدانيون (حكام ديار بكر) نفس المنهج الذى سلكه احمد بن عيسى بن الشيخ (من بنى شيبان) الذى امتدت سيطرته الى اقليم الطارون . كما لا يمكن ان يكون ابن طرنيق هذا ابنا لطرنيق بن ابو غانم وابن عم الاخوين بقراط (بجارات) واشوط ابنـــا جريجوريك الذى سبق ذكره قبلا . ويبدو ان تسمية المصادر العربية لابن طرنيق بهذا الاسم ، لها قيمة عرقية أو جنسية ، تماما كعبارة ابن الديرانى التى قصدوا بها درنيك ملك الفاسبوراكان . وابن طرنيق هذا اسم احد الاخوين بجارات او اشوط الذى حكم فى اقليم طارون عام ٩٣٦م (٣٢٤هـ) وهو بجارات فيما يرجح .

البلد مصـــورا لهـــم الامر على انـــه اذا تمكن الحمدانيون من البلد ، فسيكون فى ذلك خطرا يهدد امنهم وسلامتهم[١] .

وعلى الرغم من كل ذلك ، تمكن سيف الدولة من احبـــاط خطـــة الثائر على بن جعفر الديلمى وحلفائه من الأرمن ، وأخمد تمرده . وربما يكون سيف الدولة قد انســـاح بقواته — بعد اخمـــاد تمرد الديلمى وحلفـــائه — حتى وصـــل الى اقليم الطـــارون نفسه . لكن من غير المحتمـــل — كما يذكر ابن ظـــافر وهو الوحيد الذى تحدث عن هـــذه الواقعة — ان يكون سيف الدولة ، قد سيطر على كل الاقاليم الأرمينية الى جانب البـــلاد المتاخمة لديار بكر فى مثل هذه الظروف . بدليـــل انه بعد رحيـــل ســـيف الدولة استولى الروم على سمسطه دون ان يمســـوا الســـكان — هذه المـــرة — بأذى — كما يذكر الذهبى وابن ظـــافر[٢] .

لم يعاود سيف الدولة الجهاد ضد الروم ، الا فى عـــام ٣٢٦هـ (٩٣٧/٩٣٨م) ، حيث تمكن من احـــراز أول نصر له على الروم ، فى منطقـــة انزيتين البيزنطية النفوذ . وتقدمت القوات الحمدانية حتى دادم . (دارم Darim دادم Dadim) الواقعـــة جنوبى حصن زياد فى منطقـــة تل هنزيط . وكان ذلك فى شـــهر ذى القعدة ٣٢٦هـ (سبتمبر ٩٣٨م) ومن هناك أرسل فرقة من جيشه بقيادة الحسن بن على قواس ، ســـارت حتى وصـــلت الى تـــل ارســـناس غـــربى حصن زيـــاد (أو تلنزيت Tilenzit)[٣] شرقا . ثم مضى ســـيف الدولة لحصـــار حصن زياد ، فاستولى عليـــه ، ومكث به سبعة أيام ، فلمـــا وصـــل الروم فى قواتهم الكثيفة (التى قيل انها بلغت مائتى ألف مقـــاتل ؟) انسحبت القوات الحمدانية شرقا ، فى اتجـــاه شمشاط ، بينما تعقبتهم

---

(١) Canard : Ibid., P. 479.

(٢) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعـــة وابن الأزرق : تـــاريخ ميافارقين ص ١١١ الذهبى تاريخ الاسلام ص ١٠٧ .

(٣) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/١٥٤ — ١٥٥ .

خيـالة الروم ونزل قلعة تسمى بـ « المقدمية » وهم ان يناجز الروم منها ، ثم تركها لتطيره[1] منها .

التقى الجمعان — البيزنطى والحمدانى — فى معركة طاحنة كان مسرحها فى المنطقـة بين حصن زياد وحصن سـلام . وكانت نهـاية المعركة نصرا مؤزرا احرزه الحمدانيون بقيـادة سيف الدولة ومعـه غلمانه يمالك Yamak وعبد الاعلى بن مسلم . حيث تمكن يمالك من دحر فرقة بيزنطية كبيرة من مجموع القوات البيزنطية ، بلغ عدد افرادها عشرون الفـا . واستولى الحمدانيون على المنصـة والعرش اللذين اعتاد الدمستق (القـائد) يوحنا كوركواس ان يجلس عليهما ، ليشرف منهـا على حركة قواته وسـير المعـارك[2] . وكانت هذه الموقعـة فى العـاشر من شهر ذى الحجـة ٣٢٦هـ (الموافق ٩ اكتوبر ٩٣٨م) . وقد برز فيهـا غلمـان الامير الشاب سيف الدولة الحمدانى . ومنهم يمالك التركى الذى توفى بعد ذلك عـام ٣٤٠هـ (٩٥١ — ٩٥٢م) وزميله عبد الأعلى بن مسلم[3] وقد نسب أبو المحاسن هذه الموقعـة — خطأ — الى ناصر الدولة الحمدانى[4] .

وقد ابرز أبو فراس الحمدانى — ابن عم سيف الدولة — هـذا الانجـاز الرائع ، الذى ورد عنـه ان الدمستق وصـل ومعه نحو ثمانين الف رجل ، بينما كان سيف الدولة معسكرا امام حصن زياد ، وان قوات الامير الحمدانى حوصرت فى مكان يسمى سلام (أى حصن سلام) ، وأن سيف الدولة ، الذى كان بامكانه ان يفر ومعـه ماخف حمله من المتاع والمـال ـ رفض ، واشتبك مع العدو ، وهزم الذومستيق (القائد) البيزنطى وجموعه . ومما يذكر ان الأمير الحمدانى — سيف الدولة — نفذ حتى وصل الى المكان الذى كان فيـه يوحنا كوركواس ،

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص ٥٥ .

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص ٢/ب — ٢٣ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ورقة ١٠٧ وما بعدها و ابن الاثير : الكامل ٨/٥٥ وما بعدها .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص ٢٦٣ .

وان المعـــركة التى جرت بين الفـــريقين كانت على ضـــفاف نهـــر الارسناس[١] • وقد كان عـــدد قتلى الروم كثيرا جدا • ومع ذلك لم تسفر عن توطيد للنفوذ العربى الاسلامى فى شميشاط وقتذاك[٢] •

ومن جهـــة أخـــرى ، فبينمـــا المعركة محتدمة ، بين الحمدانيين والروم ، على أرض شميشاط وعلى ضفاف نهر الاسناس ، كانت هناك مفاوضات دائرة بين محمد بن طفـــج الاخشيد والخليفة العباسى من جهة ، والامبراطور البيزنطى من جهـــة أخرى ، لتنفيذ عمليـــة فداء الاسرى بين الجانبيين — العبـــاسى الاخشيدى والبيزنطى — وكانت بيزنطة حريصة على ذلك لعقد هدنة مع الاخشيد حاكم مصر وجنوب الشام ، ليتسنى لها تركيز قوتها والتحرك بحرية تجـــاه اقليم الجزيرة ومنطقـــة أرمينية ضد الحمدانيين هناك[٣] •

كما أدرك الامير سيف الدولة الحمدانى ، ما ينطوى عليه وضع مناطق الثغور فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) من خطر نتيجة ضم منطقتى ملطية والانزيتين للسلطة البيزنطية ، هذا فضـــلا عن خضوع بعض الأسرات العربية فى أرمينية للسيادة البيزنطية • لذلك نرى سيف الدولة يقرن — فى السنوات التالية لسنة ٣٢٦هـ — حمـــلاته ضد الروم فى اقليم الجزيرة ، بعمليـــات أخرى كان مسرحها الأراضى الأرمينية • ولم يكن ذلك سوى بمثابة اجراء وقائى قام به سيف الدولة ، لحماية النفوذ الاسلامى (الحمدانى) على أرض أرمينية ، وليدعم موقفه فى مواجهة الروم سواء فى الشام أو الجزيرة •

والجدير بالذكر أن هذا النشاط الحربى الحمدانى فى البـــلاد الأرمينية ضد الروم ، لم يكن له ايـــة انعكاسات ، أو وردود فعـــل سيئة لدى الشعب الأرمنى وحكامه على اختـــلاف اسراتهم • ولعل ذلك كان راجعا بالدرجة الأولى الى اطمئنان الأرمن — شعبا وحكومة —

---

(١) أبو فراس : ديوانـــه ورقـــة ٣١ ، ١/٣٩ (مخطوطه برلين) وص ١١٦ ، ١٤١ نسخة محمد سامى الدهان •

(٢) Canard : Ibid., P. 473.

(٣) Vasiliev : Byz. et les Arabes, II, P. 241 - 244.

الى نوايا الحكم الاسلامى بصفة عامة ، فضـلا عن بغضهم للعمليات البيزنطية التى اتسمت بنوع من فرض الوصاية على هذا الشعب . هذا الى جانب أنفقة الشعب الأرمنى نفسه من التدخـل البيزنطى ، لتشككه فى نوايا الامبراطورية تجـاه بلادهم ، مع الوضع فى الاعتبار ثقة الشعب الأرمنى المفرطة فى نفسه . بدليل نجاح اطوم بن جورجين أمير منطقـة الزوازان سنة ٣٢٦هـ (٩٣٧ — ٩٣٨م) فى التخلص من لشكرى الديلمى — حين اساء السيرة — بيسر وسهونة[1] .

ولعل هذا الحدث — عزل لشكرى الديلمى — كان من المؤشرات التى نبهت سيف الدولة الى ضرورة العمل على تأمين طريق يمر منـه عبر أرمينية ، لتكون تحت سيطرة السيادة المبـاشرة للحمدانيين — ، وهو ما فعله سـنة ٣٢٨هـ (٩٣٩ — ٩٤٠م) . وقد رافق عمله هـذا بعمل مضـاد للروم ، باعتبارهم المحرك الرئيسى والاساسى لكل ما من شأنه زعزعة الوجود الاسلامى فى تلك البلاد[2] .

اما ناصر الدولة ، فكان منذ سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥ — ٩٣٦م) يطمع أن يكون له حكم اقليم اذربيجـان ، الذى لـم يرد له ذكر فى عهـد التولية الصادر له فى المحرم ٣٢٤هـ (ديسمبر ٩٣٥م) من الخـلافة فى عهـد الراضى بالله العبـاسى (٣٢٢ — ٣٢٩هـ)[3] . وكان الخليفـة العباسى قـد أسند ادارة اقليم اذربيجـان الى احد ضباط بنى الساج ويدعى ناطف[4] . وكان اقليم اذربيجـان وقتها تحت حكم وادارة ديسـم بن ابراهيم بن شاذلوية . ولكن ليس من المعـروف ولا من الواضح ما اذا كان ناطف قد اصطدم هناك بالحـاكم السابق عليـه

---

(١) Canard : Une lettre de Moh. b.' Tugj, P.189 - 195.

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 480.

(٣) الاصفهانى : الاغانى جـ ٩ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) هو احد الضباط الذين عملوا مع الأسرة الساجية فى اذربيجان . وقد لجأ سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ، الى الموصل هربا من الاجراءات الصارمة ، التى اتخذها الوزير ابن رائق ضد بنى السـاج ، وكل من يمت لهم بصلة أو يلوز بهم معـا .

فى اذربيجان وهو ديسم بن ابراهيم ؟ ام ان السلطة انتقلت اليه بهدوء ودون صدام ؟ أو بأى كيفية امكن لناطف الساجى ان يستقر فى اذربيجان ؟ وذلك لان قسما منها — وقتئذ — كان تابعا بشكل أو بآخر لاحد الحمدانيين • وهو ما يحتمل ان يكون القسم الواقع جنوبى بحيرة أرمية Urmia الآهلة بالاكراد الذين كانوا على صلة بالحمدانيين[1] •

على اية حال ، فانه يبدو أن ناطف لم يطرد من اذربيجان الاعلى يد لشكرى بن مردى الديلمى ، الذى استطاع أن يستعيد المنطقة الى سيطرته وازاحة ديسم بن ابراهيم منها ، اذ يخبرنا الذهبى[2] ، فى تاريخه — أن ناطف انهزم امام لشكرى بن مردى الديلمى • وكان هذا الديلمى قائدا من قواد وشمكير وعامله على اقليم الجبل • وكان يسعى — كغيره من القواد الديالمه — الى تكوين امارة مستقلة • وقد استولى لشكرى الديلمى على البلاد ، وأجبر ديسم ابن ابراهيم على الالتجاء الى وشمكير ، الذى كان وقتذاك فى منطقة « الرى » باقليم الجبل • وكان ذلك فيما بين سنتى ٣٢٦ ، ٣٢٨هـ (نوفمبر ٩٣٧ — ٣٠٨ اكتوبر ٩٣٨) •

كما سار لشكرى بن مردى الديلمى الى أرمينية ، التى توغل فيها حتى وصل الى أقليم الجزيرة ، حيث كان يطمع فى ثروات الموصل وديار ربيعة ، التى لم يكن لديها آنذاك حامية قوية تدافع عنها لقلة سكانها • اما ديسم بن ابراهيم فقد وصل الى منطقة انتزيفاتسك أو « الزوازان » ، التى كان يحكمها وقتذاك « اطوم بن جورجين بن أبى بلج » الذى كان يمت بصلة القرابة للملك الفاسبوراكان جاجيك بن ديرنيك وتابعه[3] •

أما بالنسبة للنشاط الاسلامى وقتذاك فى المناطق الأرمينية

(١) Canard : Hist. des la Dyn. des Hamd., P. 456.

(٢) الذهبى : دول الاسلام (مخطوطه) ورقة ٥٨ •

(٣) Canard : Ibid., PPP. 456 - 457.

واقاليمها ، فتورد الروايات ذكر حملة اسلامية لم تحدد تاريخها بدقة ؛ وان ذكرت انها كانت بعد سنة ٣٢٤هـ (٩٣٦م) . وان هذه الحملة قدمت من اذربيجان فيما يرجح . وقد واصلت الحملة سيرها الى مدينة دوين عبر مقاطعتى جغطن Goghten وناختشيفان Nachitchevan وأصيب الملك أباز الأرمنى بهزيمة فادحة امام قوات هذه الحملة ، مما اضطره للفرار الى اقليم جورجيا Georgia ، حيث ساعده جاجيك بن ديرنيك الاردزورنى ملك اقليم الفاسبوراكان ، الذى تبنى بنفسه مسئولية محاربة المسلمين . وقد تمكن جاجيك من دخول دوين (الاسلامية) وفرض على من بها من المسلمين اتاوة (جزية) كما فرض عليهم تسليم بعض الرهائن ضمانا للالتزام بالاتفاق معه ، بعد ان خربت قواته المدينة وحرقت ضواحيها ونهبت دورها[1] .

ومن الملاحظ ان المؤرخين المسلمين لم يوردوا شيئا عن هذه الحملة . ولذلك فليس من اليسير معرفة اسم الامير المسلم ، الذى قاد الحملة المضادة على دوين لتخليصها من القوات التى هاجمتها : هل هو ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ؟ أم لشكرى بن مردى الديلمى ؟ أم هو حسين بن سعيد الحمدانى ؟ أم ناطف ؟ أم مرزبان بن محمد بن مسافرين سلار بعد سنة ٣٣٠هـ (٩٤١/٩٤٢م) ؟

على أى الاحوال ، فان اختفاء الاسرة الساجية من مسرح الاحداث فى اذربيجان ، فى هذا الوقت ، عرض النفوذ والوجود الاسلامى فى هذه الأصقاع لموقف حرج . اذ صار امراء المسلمين فى دوين واذربيجان عاجزين عن بسط سيادتهم على ما تحت يدهم من بلاد أرمينية ابان الثلاثينات من القرن الرابع الهجرى[2] .

والجدير بالذكر ان مملكة اردزرونى الأرمينية ، كانت من صنع يوسف بن أبى الساج (الحاكم المسلم) على اذربيجان . ذلك انه

---

(١) Grousset : Hist. de L'armenie P. 465 - 66, + Brosset : Hist. de L'Ardzroni P. 241, + Laurent : Bagratuni P. 86.

(٢) Brosset : Hist, de L'Ardzrouni, P. 242, + Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 466.

اراد بذلك عرقلة نمو الاسرة البجراطية ومملكتها • ولذلك قرر منح الرتبة الملكية لاسرة اردزرونى الاقطاعيـــة الأرمينية ، ليصير ولاؤها اليــه ، فيضمن بذلك ولاء المنطقـــة التى يحكمونها — وهى اقليـــم الفاسبواكان — بواسطة أحـــد أفراد تلك الاسرة وهو : جاجيك بن جريجور ديرنيك ، وذلك منذ عام ٩٠٩م (٢٩٦ — ٢٩٧هـ)[١] •

فلما قام يوسف بن أبى الســـاج بحركته التمردية على ســـلطة الخـــلافة العباسية اوائل القرن الرابع الهجرى ، ابان حكم الخليفـــة المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) ، حرص الخليفة — نتيجة لذلك — على انتزاع اقليم الفاسبوراكان من نطاق نفوذ بنى الساج حكام اذربيجان • وقد جاءت هذه الاحداث والتطورات فى وقت كان الملك الاردزرونى ، قد بدأ يجاهر بتحديه ســـلطة بنى الساج عليه • فاستغل الخليفـــة هذا الوضع ، وأعلن حسن نواياه تجـــاه اقليم الفاسبوراكان وحكامه ودلل على ذلك بأن ارسل الى الملك الاردزرونى تاجا ملكيا ، دليـــلا على اعتراف الخلافة العباسية به ملكـــا على اقليمـــه ســـنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) • وكرر ذلك ســـنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) ، حين ســـارت قوات الخـــلافة لمقاتلة ابن أبى الساج[٢] •

ولا يخفى ان الخـــلافة العباســـية كـــانت تـــريد ، بمحـــاولة احتوائهـــا لحكـــام الفاسبوراكان ، ضـــمان وقوفهم الى جانبهـــا ، وكان ذلك ابان حكـــم جاجيك بن جريجـــور ديرنيك (٢٩١ — ٣٣٢هـ) (٩٠٤ — ٩٤٣م)[٣] ، الذى اتســـمت الفترة الأولى من حكمه بنمو كبير فى سلطته وممتلكاته ، وكان النطـــاق الأولى لممتلكات الاردزرونية فى اقليم الفاسبوراكان • هو اقليـــم الالبق الكبير (أو أغبج) • ثم ما لبثت الاسرة أن أحكمت سيطرتها على كل اقليم الفاسبوراكان ، فى عهد أشوط بن حمزة وأبى جريجوريك — الذى كان قد توفى منذ ٨٢٤م — فقد اقتسم جاجيك ممتلكاته مع أخيه جورجين المكنى بـــ « مرزبان » ،

---

(١) Canard : Ibid., P. 469.

(٢) Grousset : Hist, de L'Armenie, P. 466.

(٣) Grousset : Ibid., P. 463.

الذى كان من نصيبه المقاطعات الواقعة جنوب شرقى بحيرة أورمية Urmia • أما جاجيك ، فاحتفظ بالمقاطعات والاقاليم الواقعة شرقى البحيرة[١] •

والمعروف ان نطاق السيادة الأردزرونية الأرمينية الاقطاعية فيما بين عامى ٣٠٤هـ/٩١٦م وحتى سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م ، كان يمتد غربا حتى منطقة سئرت Seért ، وجنوبا حتى نهر الزاب الكبير ، وشرقا حتى بحيرة أورمية ،وشمالا حتى جبال آرارات الرس (الأراكس Arax) وقد استطاع جاجيك أن ينتزع قلعة آميوك Amiuk من آل قيس الحاكمين لها واحتل جنوبى بحيرة فان Van , Wan ، أى اقليم موق أو موق Mokk ، الذى كان تحت سيطرت بجراتية غير مستقلة[٢] • كما كانت لجاجيك بن جريجور ديرينك أمير الفاسبوراكان علاقات مع الدولة الحمدانية فى عهد سيف الدولة الحمدانى[٣] •

أما فيما يختص بالموقف بين جاجيك وأسرته الأردزرونية وبين أذربيجان وحكامها المسلمين ، فقد سبق أن نوهنا بتعرضه للتوتر ، بسبب هجوم حكام أذربيجان على اقليم الفاسبوراكان سنة ٣١٩هـ (١٧ سبتمبر / ١٦ أكتوبر ٩٣١م) • كما تمكن لشكرى بن لشكرستان — الذى فر من أذربيجان من مواجهة ديسم بن ابراهيم بن شاذلويه — من اجتياز اقليم الفاسبوراكان فى طريقه الى اقليم الجزيرة ، وذلك فى صيف عام ٣٢٦هـ (فيما بين ٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ أكتوبر ٩٣٨م حسب رواية أخرى) • فيذكر ابن مسكويه[٤] أن لشكرى بن لشكرستان وصل الى زوازان قرب القلعة التى كان يقيم بها أطوم بن جورجين • وقد طلب أطوم من لشكرى بلطف ألا يتسبب فى أذى الأرمن ، حفاظا منه للمعاهدة التى تربطهم بالمسلمين •

---

(١) Canard : Hist., de La Dynastie Hmadanides, P. 469.

(٢) Canard : Ibid., P. 469.

(٣) Canard : Ibid., P. 470.

(٤) ابن مسكوية : تجارب الامم جـ ٢ ص ٣٩٨ — ٤٠٤ •

لكن أطوم لم يكن مخلصا فى رجائه ، بل كان يدبر للايقاع بلشكرى وجنوده ، وفعـــلا هجم على لشكرى ونهب ماشية معسكره ، واقتادها عبر ممر ضيق كان رجـــال اطـــوم يرابطون فى اعـــلاه . فلمـــا رأى لشكرى وجنوده ذلك ، هبوا للبحث عن الماشية المفقودة ، فأوقع بهم رجال اطوم وقتلوا لشكرى بن لشكرستان [١] ، بينما هرب من كان معه من جنود الى عقبة التنين[٢] . ولكن اطوم باغتهم بقواته فى واد ضيق ودحرهم ، تحت وابل من الصـــخور التى دحرجهـــا الأرمن من قمة الجبل . وكان عدد من قتـــل فى هذا الصدام من رجـــال لشكرى لا يقل عن خمسة آلاف رجـــل ، فلم ينج من جيشـــه الا نفر يسير ، وصلوا هاربين ـــ بمشقة بالغة وفى اعيـــاء تام ـــ الى ناصر الدولة الحمدانى فى الموصـــل ، ومعهم لشكرستان بن لشـــكرى . وبذلك يكون جاجيـــك الأردزرونى قد قضى ـــ بفرســـانه الأرمن ـــ على نفوذ الديالمـــة فى منطقة الانتريفاتسك[٣] .

وكان الديالمة ـــ ومنهم لشكرى وابنه لشكرستان بن لشكرى ـــ يهدفون الى الوصـــول للجـــزيرة والسيطرة على منـــاطق ازورستان وسورستان وأشور . وقد أمكنهم الوصول فعـــلا الى مدينة هدامكرت ـــ فى مقاطعة البقى ـــ التى تعرضت لهجماتهم ، ثم تجمعوا بعدها فى الانتريفاتسك . وربما كانت هذه الوقعـــة ونتائجها الايجابية فى صالح جاجيك واتبـــاعه الأرمن سببا فى اطـــالة حكـــم هـــذا الرجـــل الى سنة ٩٤٣م[١] .

وقد طلب ناصر الدولة من لشكرستان بن لشكرى وفلول قوات أبيه أن يلتحقوا بقوات بجكم التركى المرابطة فى مدينة واسط . ولم يبق لدى ناصر الدولة من فلول قوات لشكرى الديلمية سوى خمسمائة

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٧٣ (حوادث ٣١٩هـ) .

(٢) عقبة التنين او جبل التنين شمالى خابور الحسنية على حدود املاك ناصر الدولة . ياقوت : معجم البلدان .

(٣) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/٣١٨ و ٤٠٤ .

(٤) Runciman : Romanus Lecapenus, P. 157 + Brosset : Hist. de L'ardz., P. 243.

جندى بقائدهم . وكان بحكم آنذاك يشغل منصب « امير الامراء » خلفا لابن رائق ، الذى كان قد ترك واسط منذ شهر ذى القعدة ٣٢٦هـ (سبتمبر ٩٣٨م)[١] .

اما على جبهة المواجهة بين (الحمدانيين والبيزنطيين) فقد استطاع سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٢٦/٣٢٧هـ (٩٣٨م) ان يحرز نصرا باهرا على يوحنا كوركواس وقواته فى اعالى اقليم الجزيرة ، فى موقعة دارت رحاها فى المنطقة الواقعة بين حصنى زياد وسلام . وكان هذا النصر مما شجع سيف الدولة الحمدانى على المضى قدما لغزو أرمينية ، حتى استطاع فعلا أن يرغم كثيرا من الأرمن والكرج على الاعتراف له بالسيادة عليهم[٢] . ثم واصل سيره حتى وصل الى بلاد الأرمن الواقعة تجاه الأراضى البيزنطية . فدخل الجهات المجاورة لكولونيا عام ٣٢٨هـ/٩٤٠م وذلك ردا على اعتداء الروم على كفرتوثا من اعمال اقليم الجزيرة الذى عملوا فيه قتلا وسبيا وتخريبا ونهبا ، وكان ذلك فى السادس من صفر ٣٢٨هـ (الموافق ٦ أكتوبر ٩٤٠م)[٣] ، وهو ما سنورده مفصلا فى موضعه .

ولا جدال فى ان حروب سيف الدولة الحمدانى على الجبهة الأرمينية البيزنطية كانت من نوع الحروب الوقائية التى استهدفت منع بيزنطة من تهديد المناطق التى يحكمها الحمدانيون فى الموصل والجزيرة ، وذلك لو سيطروا على المناطق الأرمينية . كما كان يهدف الى استرجاع ما اخذته الامبراطورية البيزنطية من أراضى فى اقليم الجزيرة . ولذلك لا نتعجب اذا ذاع صيت سيف الدولة فى القرن الرابع الهجرى بين جنبات عالم الاسلام — شرقا وغربا — لا على انه « أمير حلب » بل على انه بطل الجهاد الاسلامى ضد الروم . وهذه حقيقة اعترف بها حتى المؤرخون الاجانب امثال كنارد وغيره[٤] .

---

(١) Canard : Ibid., P. 457.

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٥٣ .

(٣) الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٦٤/١٦٥ .

(٤) راجع كنارد Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 747.

وانه لولا ما وقع من صراع داخل أسرة دولة الخلافة العباسية ، لمضى سيف الدولة قدما فى فتوحه ، ولما توقف لانشغاله بالتدخل لاصلاح الأحوال داخل البيت العباسى فى بغداد[1] .

أما ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ، فعاد ليواصل توغله فى أذربيجان حتى وصل الى حدود المنطقة الخاضعة للحمدانيين ، وكانت خالية من أية حامية أو قوة دفاعية . بحيث كان من اليسير عليه دخول المناطق الحمدانية فى الموصل وديار بكر دون حرب أو مقاومة . وكان ناصر الدولة — بعد هزيمة ناطف السابق الاشارة اليها سنة ٣٢٦/٣٢٨هـ — قد كلف ابن عمه حسين ابن سعيد الحمدانى ان يتولى حكم هذا الاقليم[2] .

ومن ناحية أخرى . انتهز ناصر الدولة الحمدانى رغبة لشكرستان ابن لشكرى بن لشكرستان الديلمى فى الانتقام ، فأوفد معه حسين ابن سعيد الحمدانى بقوات لشكرستان مع قوات من الديالمة والجبليين ، الى القسم التابع له من اذربيجان حيث كان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية قد اقترب من هذا القسم بغرض الاستيلاء عليه . وفى ذلك يذكر أبو فراس الحمدانى — أخو حسين بن سعيد الحمدانى وشاعر الأسرة الحمدانية — فى احدى قصائده أن حسين هزم ديسم ، وطرد اعداء أردبيل ، واخضع اذربيجان[3] . بينما يذكر ابن الأثير مؤكدا ، انه بعد معارك مع ديسم ، رأى حسين بن سعيد الحمدانى ، انه ليس لديه قوة كافية تمكنه من مواصلة القتال . ولذلك ترك حسين بن سعيد اذربيجان فى يد ديسم بن ابراهيم الذى دخلها ، فى الفترة ما بين غرة المحرم وآخر ذى الحجة من عام ٣٢٦هـ (٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ اكتوبر ٩٣٨م) . وان ناصر الدولة الحمدانى عاد الى ولايته بعد ان اخلاها بحكم أواخر عام ٣٢٧هـ (آخر عام ٩٣٨)[4] .

---

(١) Ostrogorowsky : Hist, of Byz, State, P. 245.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٠

(٣) أبو فراس : ديوانه ص ١٦ (مخطوطه برلين ٥/١٥٩) .

(٤) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة ٣٢٧/٣٢٨هـ .

والجدير بالذكر ان حسين بن سـعيد الحمدانى كان ابان الحملة التى قادها ناصر الدولة الحمدانى ضد بجكم فى اذربيجـان ، مشتركا فى المعـارك التى دارت رحاها آنذاك فى ديار ربيعة ، كما انشغل ناصر الدولة بعد ذلك بوقت قليل بمراقبة تطورات الاحداث فى بغداد عاصمة الخـلافة العباسية ليرصد حركات الطامحين والطامعين فى السـلطة والمنـاصب الكبرى ، وبخاصـة منصب امرة الامراء ، وهو المنصب الذى كان ناصر الدولة نفسـه ، يرنو اليـه بنـاظرة ويهفوا اليـه بفؤاده ، لكن عندما تم تعيينه « أميرا للأمراء » لم يعـد لديه القدرة الكافية ، لتوجيـه بعض قواته فى عمليات خارجية ، وكان ذلك بسبب انشغاله بالصراع ضـد البريديين من جهـة ، وبعض أتباعه المتمردين من جهة أخرى ، الا انه مع ذلك كله لم يهمل أمر الولايات الشمالية(١) .

ويخبرنا الصولى — فى كتـابه اخبار الراضى بالله والمتقى لله — ان ناصر الدولة الحمدانى ، قلد ابن عمـه حسين بن سعيد الحمدانى عمل ولاية أرمينيـة واذربيجـان معـا سنة ٣٣١هـ وان ناصر الدولة بعد هزيمته امام توزون التركى ، تخلى مؤقتـا عن فكرة العودة الى بغداد ، واتجه باهتمامه صوب الولايات الغربيـة للدولة العباسية ، فوقع اختيـاره على منطقة شمال سورية ، كمـا انه عاود التفكير مرة أخرى فى اذربيجـان التى كان قد وليها واستقر فيهـا حاكم أو وال آخـر(٢) .

وكان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ، قد تخلى عن وزيره الذى فر والتجأ الى محمد بن مسافر سلار(٣) ، وفى هذه الأثناء (٣٢٩/٣٣٠هـ) وقعت مأساة عائليـة فى أسرة محمد بن مسافر هذا ، اذ سجنه ولداه وهسوذان ومرزبان ، ثم استولى الأول على السـلطة ، امـا الثانى (مرزبان) — وكان مغامرا كبقية زعماء الديلم — فانه استمع لمقترحات

---

(١) Canard. Ibid., 458.

(٢) الصولى : اخبار الراضى والمتقى لله .

(٣) هو أمير ديلمى صغير من أسرة الكنجاريين السـلاريين أصحاب شامران بمقاطعة طاروم .

Canard. Ibid., P. 459.

وزير ديسـم بن ابراهيم ، الذى شجعه على غزو اذربيجـان وطرد ديسم منها . ولذلك عندما زحف مرزبان بن محمد بن مسافر سلار ، انفض جنود ديسم الديالمة عنه — أى عن ديسم — كما تخلى عنه بعض جنوده الاكراد ، فلم يعد امام دبسم سوى الالتجـاء الى صـاحب (أو حاكم) اقليـم الفاسبوراكان الأرمنى جاجيك بن ديرنيك ، الذى كان على علاقة طيبة معه . وظل ديسم مقيما فى اقليم الفاسبوراكان تحت حماية جاجيك الأرمنى ، منتظرا اللحظة المناسبة للانتقام . لكنه لم يلبث الا قليلا ، حتى وقع فى يد غريمه ، الذى اكرمه واسـكنه فى احدى قلاعه الحصينة ، متظـاهرا باكرامه ، بينما هو فى واقع الامر اعتقال وتحديد اقامة . وبذلك اصبح مرزبان بن محمد بن مسافر سلار سيدا لا منازع له على اقليم أذربيجـان كله ، والبانيا ، وأرمينية[١] .

لكن ناصر الدولة الحمـدانى لم يستسـلم لوقوع اذربيجـان خالصـة « لمرزبان السـلارى » وانما سـعى جاهدا لاسترجاعها . فأرسل حملة بقيـادة حسين بن سعيد[٢] . لطرد مرزبان منها . ويبدو ان هـذه الحملة لم تقم قبـل عام ٣٣٣هـ (٢٤/٨/٩٤٤م)[٣] . وذلك لان حسين بن سعيد كان حتى عـام ٣٣٢هـ مشغولا فى سورية ، التى طرده منهـا محمد بن طغج الأخشـيد حاكم مصر آنذاك[٤] . فلما لم ينجح حسين بن سعيد فى مواجهـة الاخشيد حاكم مصر وانتزاع جنوب بلاد الشام منه ، عاد الى الموصل ، بعد ان تخلى عن مطالبة فى سوريا (شمال بلاد الشام) لابن عمه سيف الدولة الحمدانى[٥] .

اختار حسين بن سعيد الحمدانى اللحظـة المناسبة للتدخـل فى اذربيجـان منتهزا فرصـة انشغال مرزبان بن محمد بن مسافر سلار » بالحرب ضـد بعض الغزاة القـادمين من الشمال ، وهم الرسيون — القاطنين بمنطقـة وادى نهر الرس Rus — وكانوا محاربين اشداء .

---

(١) Canard : Ibid., P. 462.

(٢) كان حسين بن سعيد الحمدانى قد تقلد قبل ذلك عمل اذربيجان

(٣) الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٦٧ .

(٤) Canard : Ibid., P. 459.

(٥) Canard : Ibid., P. 459 - 60.

وقــد قدموا عن طريق بحــر قزوين ، ثم صــعدوا عبر نهــر كــر Kur — قرة أو قورة — ، حيث نهبوا مدينــة برذعــه وخربوها ، وجمعوا غنائمهم وأسراهم فى موضع حصين يسمى شاهرستان الذى استولى عليــه مرزبان بعد انتهاء حروبه ضد الروس[١] .

فى هذا الوقت الحاسم (حول ٣٣٣هـ) وصــل حسين بن سعيد الحمدانى الى مدينة سلماس Salmas — الواقعة غربى بحيرة أورمية — بعد أن انضم اليه الأكراد ، القاطنين منطقة نهرى الزاب جنوب غربى بحيرة أورمية[٢] . وقــد كان من الممكن ان يواجه مرزبان محمــد بن مسافر سلار موقفا عصبيا ، حيث كان عليــه ان يحــارب فى جبهتين فى آن واحــد ، فيمضى بنفسه لمواجهــة حسين بن سعيد الحمدانى ، بينما يستمر أحد قواد جيشه فى حصار الروس . لكن بعض عوامــل اسهمت فى تعديل موقف مرزبان ، مما ســاعده على التغلب على هذه المواجهة الوشيكة الوقوع ، والا لكان مرزبان قد تعرض لهزيمة محتملة أو ربما محققة من حسين بن سعيد الحمدانى وجيوشه[٣] .

ويذكر ابن مسكويه[٤] انه منــذ الاشتباك الأول بين مرزبان وبين حسين بن سعيد الحمدانى فى منطقــة اران Auran — لعله يقصد أزان الحــالى بالقرب من سلماس — كان الجليد قد هطــل بكميــات كبيرة ، بينما شاعت الفوضى فى قوات الحمدانى ، التى كانت تتشكل فى معظمها من عرب البادية . فتركوا ميدان القتال ، مما اضطر الحمدانى للتقهقر منسحبا الى موضع حصين ، بينما عاد مرزبان لقتــال الروس الذي مالبثوا أن اخلوا البلد .

أما أبو فراس الحمــدانى فيورد — فى ديوانه — ان حسين بن سعيد الحمدانى اجتاز أراضى اذربيجــان مع جنده حملة الرماح ، وان

---

(١) ابن مسوية : تجارب الامم ٢/٦٢ ،
Minorowsky. B. S. O. A. S., Vol. XI 2, P. 264.

(٢) ابن حوقل النصيبى : صورة الأرض ص ١٥٦ ، ٢٣٩ ؛

(٣) Canard : Ibid., P. 460.

(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/٦٣ — ٦٧ .

مرزبان بن محمد بن مســافر ســلار أقر لحسين بن سعيد الحمدانى بالجزية[١].

ويبدو أن حسين بن سعيد الحمدانى مكث بعض الوقت فى اقليم اذربيجــان . فيذكر ابن مسكوية ان ناصر الدولة استدعاه اوائل عــام ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، بعد وفاة اوزون التركى أمير الأمراء فى المحرم ٣٣٤[٢] (٨/١٣ — ١١/٩/٩٤٥م) ، بينمــا فكر وزيره أو كاتم سره « ابن شيرذاد » فى أن يخلفــه — يخلف توزون — ناصر الدولة الحمدانى . حيث بدأ أن ناصر الدولة ، هو الشخصية الوحيــدة ، القــادرة وقتذاك على التصــدى للتهديد الذى يضغط به أحمــد بن بويه الديلمى (معز الدولة) على عاصمة الخــلافة العباسية . لكن الجيش العباسى فضــل ارتقــاء ابن شيرزاد نفسه المنصب ، الذى كان يشغله توزون التركى قبل وفاته ، أى منصب « امير الامراء » وبذلك صار ابن شيرزاد اميرا للأمراء[٣].

ومن ناحية أخرى كان ناصر الدولة الحمدانى يتوقع نشوب معارك فى العراق . ولذلك أراد ان يحشد قواته . فاستدعى ابن عمه حسين بن سعيد الحمدانى الذى ترك أذربيجان ، ليبقى المرزبان سيدا لا منازع له على أذربيجان وألبانيا ، وسيدا على منطقة أرمينية[٤].

وهكذا يجانب التوفيق الحمدانيين فى محــاولات بسط سيطرتهم ونفوذهم على اقليم اذربيجــان . وذلك على عكس ما رواه أبو فراس الحمدانى شعرا فى ديوانه من ان مرزبان بن محمد بن مسافر سلار ، اضطر فى وقت ما أن يقبل بدفع الجزية لحسين بن سعيد الحمدانى . كما يبدو أن ناصر الدولة تخلى — بعد ذلك عن كل رغبة له فى التدخــل

---

(١) ابو فراس : ديوانه . و Canard : Ibid., P. 460.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٠ و ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/٨١ — ٨٢ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٢٥٠ .

(٤) Canard : Ibid., P. 462.

فى اقليم اذربيجان من جديد • وسنرى فيما بعد ان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية قدم الى الموصل عام ٣٤٢هـ (٩٥٣/٩٥٤م) يلتمس المساعدة من الحمدانيين ، تلك المساعدة التى قدمت له بعد ذلك بسنتين تقريبا سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) بواسطة سيف الدولة[١] •

والحق ان هناك من الاسباب الكثيرة ما اسهم فى فشل محاولات الحمدانيين بسط نفوذهم على اذربيجان عام ٣٣٣هـ : ذلك ان ناصر الدولة الحمدانى انشغل بمطامح أخرى ، حيث كان مطلبه الرئيسى هو فتح بغداد والسيطرة عليها ، فى وقت كان المطلوب منه الوفاء بالتزامات عسكرية أخرى • ولذلك لم يتمكن من تجهيز حملة قوية مدعمة لجبهة اذربيجان • كما يبدو ان النقص الكبير فى القوات غير العربية القادرة على الحرب فى اقليم جبلى ، ذو شتاء طويل وقاس ، كان أيضا من اسباب فشل حملة الحسين بن سعيد الحمدانى •

أما الموقف بالنسبة لمرزبان فكان بالتأكيد عكس ذلك • اذ كان لديه جيش قوى ، كما أن صعوبة المواصلات بين منطقة اقليم الجزيرة واذربيجان تعد عاملا هاما من عوامل فشل الحمدانيين فى هذه الجبهة • ذلك ان الطريق الموصل من الموصل الى شنو وأرمية عبر طريق اربيل Arbil وروآندروز ومضيق أشين ، كان طريقا صعبا وعرا ، فضلا عن عدم تيسر استخدامه معظم ايام السنة ، وكذلك الحال بالنسبة لطريق الزاب الكبير[٢] •

أما على الجبهة الأرمينية ، فيمكن القول ان ناصر الدولة الحمدانى أحرز نجاحا أكبر قليلا • اذ وسع نفوذه بالسيطرة على اقليم شبه مستقل اذعن له بدفع الجزية المطلوبة[٣] •

وكانت أرمينية — المقسمة الى عدد كبير من الامارات الاقطاعية — قد استطاعت ان تحتفظ — منذ المعاهدة التى سبق ابرامها مع حبيب

---

(١) Canard : Ibid., P. 462.

(٢) Canard : Ibid., P. 462.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٠٠ و ياقوت : معجم البلدان .
Laurent : L'Armenie. P. 33 - 34.

ابن مسـلمة منذ سنة ٣٣هـ (٦٥٣م) — حين كان معاوية واليـا على بلاد الشام — باستقلالها وحكمها الذاتى ، مقـابل بعض التزامات : كان من أهمهـا دفع جـزية سنوية أداها امراء الأرمن سنويا للوالى المسلم — ممثل امير المؤمنين والدولة الاسـلامية — فى أرمينية[١] . وكان مقر الامير أو الوالى المسلم هناك يقع فى جنوب البلاد الأرمينية . وان كان الوالى على أرمينية لم يكن ، فى الغالب يقيم فى مقره هناك ، بسبب مسئوليته عن ادارة اقليم آخر مجـاور نهـا مثل أذربيجـان أو غيرها . ولذلك ظلت أرمينية — لمـدة طويلة — تابعة لمنطقة ديار بكر ، حين كانت هذه تحكم بواسطة « عيسى بن الشيخ » وخلفـاؤه بنى شيبان ، ثم صارت تابعـة لاذربيجـان ابان حكم بنى الساج حتى نهـاية حكمهم[٢] .

ومن ناحية أخرى ، نجـد ان الروم ، فى أواخر حكم رومانوس الأول (ليكـابينوس) البيزنطى (٩١٩ — ٩٤٤م) وخـلال أنفـراد قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) بالحكم (٩١٣ — ٩١٨ و ٩٤٥ — ٩٥٩م)[٣] ، ركزوا اهتمامهم وجهدهم على الجبهة الشرقية البيزنطية ، وبخاصة جبهة الثغور الشامية . ولعل ذلك كان بسبب تخوفهم الشديد من المسلمين ، الذين أحرزوا انتصارات باهرة على قوات بيزنطـة — عقب عزل يوحنا كوركواس — وذلك بفضل بسالة وجلاد سيف الدولة الحمدانى ، الذى استطاع ان يمد نطاق نفـوذه ليشـمل المنطقة من طرسوس بالشام الى البلاد الأرمينية ، وهو وضـع خلق قلقا كبيرا لبيزنطة ليس من الممكن أن تتجاهله لخطورته[٤] .

ولذلك فمنذ اللحظة التى صارت فيها حلب الشهباء — فى سوريا — هى حاضرة سيف الدولة الحمدانى ، أنتقل ميدان الصراع البيزنطى

---

(١) Laurent : Ibid., P. 34.

(٢) Canard : Ibid., P. 462 - 463.

(٣) قسـطنطين بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطيـة ص ٢٣٥ (تعريب محمود سعيد عمران) .

(٤) أسد رستم : الروم جـ ٢ ص ٩٢ . و Canard : Ibid., P. 761.

ضد المسلمين عامة والحمدانيين بخاصة ، الى منطقة امتدت رقعتها من قليقية (كيليكيا) الى ديار بكر ، متحولاً بذلك عن جبهـــة اذربيجـــان وأرمينية[١] .

والحق ان الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) استطاع خـــلال سنى حكمه الأولى — ان ينتصر على القوات الاسلامية فى كل من اقليم الجزيرة ، والبلاد الأرمينية ، وكانت تلك الانتصـــارات مما شجعه على العمـــل للثأر لمـــا أصـــاب الروم من هزائم وكوارث على ايدى القوات الاسلامية (الحمدانية) . ولذلك يعتبر قسطنطين السابع أول من استهل عصر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ، سواء عند الفرنج أو الروم على حد سواء[٢] .

ففى خـــلال سنة ٩٣٩م (٣٢٨هـ) قام الروم بمحـــاولة لفتـــح قاليقـــلا (ثيود وسيوبوليس) ومنطقتهـــا ، التى يبدو أن المـــؤلفين البيزنطيين قـــد تجاهلوها ، ولم يتحدثوا عنها الى بعبارات غامضة . اذ أوردوا ذكر الحملة التى قام بها تيوفيل Theofilus أخو يوحنا كوركواس فى هذه المنطقـــة . وكان وضـــع قاليقـــلا — ذات المركـــز الاستراتيجى الهام والبارز على الحدود الاســـلامية البيزنطية — ذا طبيعة خاصة متميزة . وذلك لأن جيرانها الجيورجيين (الايبيرين) — رغم ارتباطهم بالقسطنطينية ، وانهم كانوا اقرب الى الروم من الأرمن ، بحكـــم عقيدتهم الارثوذكســـية — لم يكونوا راغبين فى وجود نفوذ بيزنطى فى منطقتهم ، وكانت الامدادات والمؤن تأتيهم عن طريق كتزيون Ketzèon — ومكانها ليس معروف حاليا — كما كانوا يعارضون تماما أى اعتداء على المناطق التى كان بها نفوذ عربى اسلامى[٣].

وقد استعرض الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس)

---

(١) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٥٣ ، ٣٦٣ .

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ . و

Rambaud : Hist., de l'Empire Grec., P. 436.

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 744.

هذا الوضع بتفصيل مسهب ، متهما الجورجيين بسوء النية ، وتحدث عن الحصــار التى استمر لسبعة اشهر وانتهى بالاستيلاء على قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) ، وذلك دون دكر تاريخ نذلك الاســتيلاء[١]. ولكن يبدو أن ذلك وقع بين سنتى ٣٢٩ ، ٣٣٢هـ (٩٤٠/٩٤٣م)[٢].

يذكر ابن ظافر[٣]ان الروم شيدوا وقتئذ — للاستيلاء على القلعة، وفى مواجهتها — مدينة تسمى (هافجيج Hafjiyg)[٤]— تقع شمال بنجول داغ عند منابع نهر الرس Arax . وكان الغــرض من بنــاء هــذه المدينة — بلا شك — هو منــع وصول أى نجدة الى قاليقلا . وقــد استغاثت الحاميــة الاسلامية هناك بسيف الدولة فلم يتأخر عن نجدة قاليقــلا .

وفى مستهل عام ٣٢٨هـ (٩٣٩م) رحل سيف الدولة من ميافارقين ، حيث مر بمدينة منزيكرت ، دون ان يعترض امراء الأرمن طريقــه . فلمــا سمع الروم بمقدمة سارعوا الى رفع الحصــار بعد ان دمروا المدينـــة التى بنوها (هفجيج) . وبذلك يكون النصر قد حسب مقدما فى جــانب سيف الدولة وقواته . وقد أمضى سيف الدولة شتاء ذلك العــام فى مدينة أرزن على مشارف أرمينية[٥] .

وفى الربيع من عــام ٣٢٨هـ (٩٤٠م) مضى ســيف الدولة الى أرمينية ، حيث عقد هناك مؤتمرا فى مدينة نزفان ، دعا اليــه مختلف الامراء الأرمن ، وامراء العرب فى أرمينية ، ليستوثق من حسن نواياهم، فى نفس الوقت الذى كانت عملياته ضد الروم مستمرة . وقد اخضع

---

(١) راجع قسطنطين بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ — ١٧٢ .

(٢) راجع بورفيروجنتس : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ورقة ٣/أ .

(٤) هفجيج : مدينة جديدة بناها الروم شمال بنجول داغ : راجع : Canard : Ibid., P. 480 - 481

(٥) ابن ظافر : المرجع السابق ورقة ٣/ب .

اسلطته بلاد السناسنة[١] (السنسونيين) والطارون ثم مضى بعد ذلك الى اقليم المرزبان — بلد يقع بين الطارون ولواء خالديا (كالديا Chaldia) لان حملته كانت تستهدف حكومة تيوفيل (الشريف كما يورده بورفيروجنتس) ، أخي يوحنا كوركواس • واستطاع سيف الدولة فعلا ان يقتحم لواء كالديا وان يستولى على كثير من مدنه وقلاعه[٢] .

وفى اثناء ذلك وردت رسالة من الامبراطور البيزنطى أو من الدومستيق ، لم يعرف فحواها ، وان كان من المحتمل أن يكون قد طلب الروم فيها وقف المعارك • ويبدو ان عبارات الرسالة اثارت غضب سيف الدولة ، فأرسل ردا قاسيا عليها للروم ، مما دفع امبراطور الروم الى القول أنه (أى سيف الدولة) يتكلم كما لو كان قد حاصر بالفعل مدينة كولونيا • « فلما علم سيف الدولة بمقولة الامبراطور هذه ، عزم على القيام بنفسه بحملة لمحاصرة مدينة كولونيا ، ولم يسمع لنصح المحيطين به ، اذ حذروه من خطورة هذا العمل الخطير ضد هذه المدينة الحصينة ، وقال لست أقلع عن قصد هذه المدينة فاما الظفر واما الشهادة[٣] .

وأمام كولونيا — التى ضرب عليها سيف الدولة الحصار — كتب مرة أخرى خطابا للامبراطور البيزنطى ، معناه اننا قد جئنا فعلا وحاصرنا كولونيا فما أنت فاعل ؟ • وقد جعلت هذه الحملة سيف الدولة فى نظر الروم من اخطر الاعداء ، فحاولوا مطاردته عند عودته ، لكنه أوقع بهم — كما يذكر ابن ظافر — هزائم متلاحقة فى عدة مواقع[٤] .

---

(١) بلاد السنسونيين أو السناسنة : وفى التعبير العامى فى حلب يطلق على الأرمن الذين يتولون مهنة خبز الخبز فى الافران اسم (الصواصنة). وكانت هذه الحرفة قديما خاصة بهم (الأرمن) • وبلاد السناسنة منطقد جبلية تقع فى جبال طوروس جنوبى طارون يقطنها عشيرة أرمينية من الصواصنة . راجع سامى الكيالى سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 745.

(٣) ابن ظافر : الدول المنقطعة ١/٣ — أ .

(٤) ابن ظافر : الدول المنقطعة و جـ ١ ورقة ٣ ب .

Canard : Ibid., P. 746.

وقد ذكر أبو فراس الحمدانى هذه الواقعة (واقعة حصار كولونيا) ، فى قصيدة من قصائده ، أشاد فيها بعناد وصلابة الامير سيف الدولة الحمدانى وهو يقود قواته الى كولونيا Coloreai ، على الرغم من اعتراض من حذر الامير ، والمتخوفين من عواقب هذا العمل من حاشية سيف الدولة ومستشاريه[1]. وقد ذكر أبو فراس فى قصيدته عن حصار كولونيا — فى حوالى خمسة ابيات منها — كيف ان سيف الدولة جعل فرسانه على جانبى كولونيا ، وانهم امطروا هنزيط بوابل من قذائف المنجنيق ، وان الأمير ذاد فرسانه الى مرج قليز بهدى الاسلام وذكائهم . فهزم كوركواس ، والبطارقة الذين كانوا يحفون به ، وأصاب الروم ، بضربات مميتة أضعفت جيشهم اضعافا شديدا ، على الرغم من كثافته وما حشدت له الامبراطورية من عتاد وذخيرة ومؤن ، وأن سيف الدولة أقام فى كولونيا مدة ثم غادرها الى ميافارقين[2].

وقد احدثت غارة سيف الدولة وانتصاراته فى كولونيا ، قلقا بالغا بين الروم ، الذين صاروا يستحثون يوحنا كوركواس على سرعة التصرف ، والتدخل بكل قواته لمحاربة القوات الحمدانية وأميرها ، فى الوقت الذى ادرك فيه سيف الدولة بضرورة حسم الموقف بنصر نهائى وهو ما حققه فعلا[3].

ونستطيع أن نتبين — من ورود ذكر حصن زياد أو يزيد وحنزيط (أو هنزيت) أن الأمير الحمدانى عاد بقواته من طريق أنزيتين — ما يتفق مع اشعار أبى فراس الذى ذكر فى قصيدته ان قليز كانت فى طريق عودة الحملة من وزتانيس (ورتنيس) Wartanis ، وان ذلك

---

(١) أبو فراس : ديوان أبى فراس (مخطوط برلين) ص ٣١/أ ، ٣٩/أ ، نشر الدهان ص ١١٦ ، ١٤١ .

(٢) أبو فراس : ديوانه ص ١٤١ ونسخة برلين ورقة ٣٩/أ . و Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P 747.

(٣) راجع ديوان أبى فراس (نسخة الرباط) ص ١٣٦ ، ١٣٧ والدهان ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠ وينسب ياقوت (فى معجمه) ج ٤ ص ١٦٨ هذه الواقعة خطأ الى عام ٣٣٥هـ/٩٤٦/٩٤٧م .

يتعـــارض مع التحـــديد الذى أورده ابن حوقل لموقع قليز[١] .

وقد أورد ابن ظافر ذكر حملة سيف الدولة على قلونية (كولونيا) بشىء من التفصيل فقـــال[٢] : « ســـار سيف الدولة حتى نزل على (كولونيا) ، واحرق رساتيقها ، وسلب ضياعها ، وكتب الى الدمستق وهو الى الملك — (يعنى ان الكلام موجـــه للامبراطور عبر قـــائدة « الدمستق ») — كتابا من قلونية . فاستعظم الروم هذا الفعل وخافوه خوفا عظيما ، لأنه (أى كولونيا) بلد لم يطأه أحد من المسلمين ، ثم رجع سيف الدولة منها فاعترضه الدمستق ، فأوقع به سيف الدولة ، وقتل من الروم مقتلة عظيمة لا يحصيها الا الله » .

كما يورد ابن الأزرق رواية أخرى عن حملة سيف الدولة هـــذه التى وقعت سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩ — ٩٤٠م) ، فيذكر انه « . . . قيل وفى سنة ٣٢٨هـ سار ســـيف الدولة من ميافارقين الى أرمينيـــة ، ونزل بطيطوانة (طاوان)[٣] Tadvan على بحيرة «فان» أو «وان» Van , Wan واستدعى (ســـيف الدرلة) ابن جاجيـــك (جـــاجيق) بن الديرانى (ابن ديرنيك) ملك واسبوركا (أو الفاسبوراكان) الذى توفى بعد ذلك عـــام ٩٤٣م Gagik B. Al Dayrani (جاجيك بن الديرانى) وأحمد ابن الرحمن أبى المعـــز صـــاحب خـــلاط وذات الجـــوز (القـــوز) وأرجيش وبركرى (بركرى) ، وعبـــد الحميـــد — (يورده كنـــارد أبو لشفيت عند الأرمن) — صـــاحب ملازكرد ودشته الورك والهرك ، وأشوط Achot بن جريجور بطريق[٤] البطارقة بأرمينيـــة ، وحضروا

---

(١) راجع ابن حوقل : صورة الارض (مادة مرج قليز) .

(٢) ابن‌ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٣/ب .

(٣) ابن الأزرق : جـ ١ ص ١١١ — ١١٢ وســـامى الكيـــالى : سيف الدولة ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٤) هو أشوط الثالث البجراتى (البغرى عند ابن الأزرق) وهو ابن طرنيق عند ابن ظافر . وكان لقب بطريق البطارقة يطلق على ملك الملوك فى ارمينية . وقد تمتعت ارمينية فى عهد أشوط الثالث البجراطى بالســـلم والعدل والامان . راجع فيصل السامر : الدولة الحمدانيـــة ٢ ص ١٥٧ حاشية ١٨ .

لديه واخذ من ابن الديرانى (جاجيك ديرنيك) حصن شهران والحامد وبلدانهــا وماجاورها . واخــد من أحمــد بن عبــد الرحمن بدليس وما جاورها واخــذ من أشوط بلد السناسنة (ســاسون) ، Qulb وفتحــه وملك قلعــة قلب — منطقة أو حصن ســليمان وأعمالها — ، ورد ملوك أرمينية فوصلوا تحت حكمة وفى خدمته . وسار الى بلد ابن المرزبان ، وبلد الخالدية فنهبه وسبى منه خلقا عظيما ، وفتح حصونهم أجمع وذلك فى مدة خمسين يوما وعاد »[١].

كما يذكر ابن ظافر ان سيف الدولة الحمــدانى تلقى فى خــلاط (اخيــلات) ولاء ملك أرمينية وجورجيا ، الذى لم يسبق له أن قدم ولاء لأى انسان ، ولكنه الآن اضطر لتسليم الحمدانى القلاع التى كانت تضــايق المسلمين ، وتعهد له بالمحافظــة على تــأمين الطرق ، وعدم قطعها على المســلمين . ثم ذهب سيف الدولة الى بلدان ابن طرنيق (ابن ديرنيك أو ابن الديرانى) ، وحاصر موش Much وغنم منها ، وتهدمت أثناء الهجوم والحصار كنيسة مشهورة بها[٢].

أما أبو فراس الحمدانى فيشير — فى ديوانه — الى خضــوع الامراء (الملوك) الجحافيون (السلاميون) بالقوة — بعد مقــاومة غــير مجدية — رغم انهم مقاتلين عظــام . وهؤلاء الجحــافيون من العرب ، وأهمهم أبو اليقظان العــلاء بن مسلمة الســلامى ، الذى حــاصر سيف الدولة بلدته ، واستولى عليها . هذا بينما فر أبو اليقظان الى القسطنطينية ولم يصمد ، رغم الامدادات التى جاءت لنجــدته وقدر عددها بنحو عشرين ألف رجــل ، هزمهم سيف الدولة جميعاً . ولمــا لم يجد أبو اليقظــان جدوى من المقــاومة والخروج ، عاد ، ومعه اعوانه ، لتقديم الولاء والطاعة والاذعان لسيف الدولة . فقبل

---

(١) ابن الأزرق : جـ ١ ص ١١٠ — ١١١ و .

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٣ ب و ٤/أ — ب كنيســة طارون المشهورة باسم صرب كاربت ؟

Canard : Ibid., P. 486.

تأمينه ، وأذن له بالعودة الى بلدته • وبعد ذلك سار سيف الدولة الى عبد المعز (سيد خـلاط) وأبو سالم ، فاستولى على مدنها ، لكنـه لم يلبث أن ردها اليهما وثبتهما عليها ، وبذلك صار عبد المعز أبو سالم من اتباع سيف الدولة[1] •

على انه ليس من الواضح ما اذا كانت كلمة « الملوك الجحافيون » تنصرف الى الشخصيات الثلاث التى ذكرها ابن ظـافر — وهـم أبو اليقظـان ، وأبو سـالم (أو سليم) وأبو المعز (عبد المعز) أو الى أولها فقط ؟ ، وما اذا كان هناك جحافيون خلاف من يسميهم الأرمن « قيسية ؟ » ، أو أن التسمية العربيـة تشمل — هـؤلاء وهؤلاء ؟ • والكل — على أية حـال — أقرباء ومن قبيلة واحدة • وان كان يبدو أن « أبو اليقظـان العـلاء بن مسلمة » هو نفسه ابن مسلمة الذى ذكر اسمه وورد فى الحروب العربيـة البيزنطية ، ولم يقـل مصـدر من المصادرابن يقيم[2] • على أنه من العسير التوفيق بين هذه الرواية وبين ما أورده المؤرخ البيزنطى قسطنطين بورفيروجنتس[3] •

ففى نص ورواية ابن الأزرق تاريخ الفارقى (تاريخ ميافارقين) ، صحح ماركفرت عبارة « استدعى أحمد بن عبد الرحمن وأبى المعز » فحذف حرف الواو ، وجعـل من أحمـد بن عبد الرحمن وأبى المعـز شخصا واحدا هو سيد خيلات (خـلاط) ، وذات الجوز (التزيكية) ، وأرجيش ، وبيركرى ، وهو خلاف « أبى المعز » الذى ورد ذكره عند قسطنطين بورفيروجنتس ، والابن الاصغر لابو الأسود ، الذى تجرد من السلطة فى عهد أخيه عبد الرحيم ، وعمه أبو سواده (أبو لشفت)

على ان المماثلة أو المطابقة بين أحمد بن عبد الرحمن — الذى هو « أخمت » عنـد بوفيروجنتس — وهو بن أبو سوادة بالتبنى ، وبين وبين « أبو المعز » ، يؤيدها من جهة أن الاماكن التى ذكرت فى رواية

---

(١) Canard : Ibid., P. 481.

(٢) Canard : Les Hamdanides et L'armenie, AIEO, VII, P. 88.

(٣) راجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطيـة

ابن الأزرق عقب اسم أبو المعز (عبد المعز) هى بعينها الاماكن التى ذكر بورفيروجنتس ، انها خصصت لاخمت (أحمد بن عبد الرحمن) ، بواسطة والده بالتبنى (أبو سوادة) • وأنه — أى أحمد — احتفظ بها فى عهد أبو سالم بمنزيكرت ، كما يؤيدها أيضـا ان ابن الأزرق لم يذكر اسم أحمد بعد ذلك بل ذكر اسم أبو المعز فقط • والراجح ان أحمـد ابن عبد الرحمن هذا المذكور سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م ، والذى اغتـاله أبو الورد الثانى ابن ابو سالم — كما ذكر بورفيروجنتس — لا يمكن ان يكون قد اغتيل الا بعد سنة ٣٢٨هـ[١] •

وعلى هـذا فهنـاك اذن فى عـام ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م أمـيرين لمنزيكرت واماكن أخـرى ، سماه بورفيروجنتس « أبو سالم » — ولكن ابن الأزرق سـماه عبد الحميـد • وامير فى خيـلات وغيرها ، سماه بورفيروجنتس ، اخمت « فقط ، بينما سماها ابن الأزرق « أحمـد بن عبد الرحمن أبو المعز » • هذا ، كما ورد اسـم أبو المعز أيضـا على لسان أبى فراس الحمدانى ، الذى كان يعرف — خلاف أبو اليقظـان العلاء بن مسلمة — أميرين آخرين هما : « أبو سالم وأبو المعز »[٢] •

والشىء المحير حقـا فى تاريـخ هـؤلاء الامـراء الأرمن المعـرب — كما صرح بذلك بورفيروجنتس — أن هـؤلاء الامـراء كانوا يدعون أيضـا باسمائهم ، واحيانا أخرى بكنيتهم (أبو • • •) ، وأن « عبد الـ • • • » من الممكن ان تختلط بيسر مع « أبو الـ • • • » • ولم يدرك — فضـلا عن ذلك — توافق شخصين يحمل كل منهما اسم أبو المعز (أو عبد المعـز) • وعلى أية حـال ، ففى الوقت الذى كان يدون بورفيروجنتس تاريخه هـذا ، بين سنتيى ٩٤٩ ، ٩٥٢م ، كان أبو سالم (سلمس) قد توفى ، وحل محله أبو الورد الثانى • وكذلك كان أحمد (أبو المعز أحمد) قد أغتيل بيد أبو الورد الثانى ، الذى ضم الى اقطاعيته منزيكرت ، سائر مدن بحيرة « فان »[٣] •

---

(١) Canard : Hist. de la Dynastie Hamd., P. 482/3.

(٢) Canard : Ibid., P. 483.

(٣) Canard : Ibid., P. 483.

على أن ماورد فى كلام أبو فراس الحمدانى ، أتـــاح الفرصـــة لضبط نص ابن الأزرق فيما يتعلق بالحاكم على مانزيكرت • ولمـــا كان كل من ابن الأزرق وأبو فراس الحمدانى ، يتحدثان عن فترة واحـــدة وشخص واحد ، فلابد أن يكون « أبو ســـالم » الذى ذكره أبو فراس و « عبد الحميد » الذى ذكره ابن الأزرق احدهما كنية والاخر اسما لشخص واحد • لان « أبو سالم » يطـــابق بوضوح فى تاريخه اســـم أبو سلمس (ســـالم) الذى أورده بورفيروجنتس وأبو (ســـلمس) هذا اذن هو ذاته عبد الحميد صـــاحب منزيكرت • والراجح فى هـــذه القضية — ان نقول بأن اسم سيد منزيكرت هو « ابن عبد الحميد » ، وان كلمة « ابن » قد سقطت اما بيد ابن الأزرق أو بيد ناسخه • اما عن أبى فراس وبورفيروجنتس فيحتمل انهما لم يكونا يعرفان ســـوى كنيـــة الشخص ، وأهمل كل منهما واحدا أو أكثر من مكونات الاســـم الكامل[1] •

وايا كان الامر فانه يبدو ان ماركفارت قد اخطـــأ حين اعتبر أن « عبد الحميد » الذى ذكره ابن الأزرق هو ابن أبو سالم (سلمس) الذى سماه قسطنطين خطـــأ « ابلبرت الثانى » (أبو الورد الثانى) والاسم الاخير صحيح تمـــاما فهـــو « أبو الورد » سيد منزكريت ونواحى أخرى[2] •

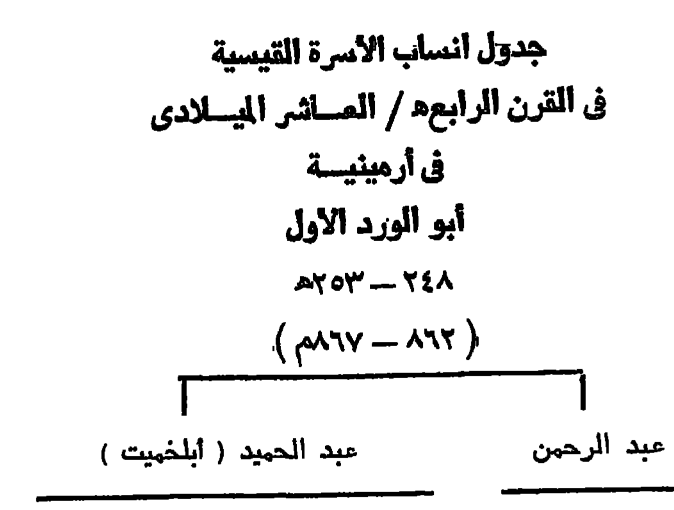
وليس من شك فى ان اغتيال أبو المعز (عبد المعـــز) أحمـــد بن عبد الرحمن والابن المتبنى لابى سوادة ، كان سببه طموح أبو الورد ، وربما أيضـــا إلى اسباب عائلية تتصل بانســـلاله الملكيـــة • لان ابن عبد الرحمن من فرع أصغر بالنسبة الى ســـائر الأمراء ، ولذلك ربما اعتبر دخيلا على الأسرة المـــالكة • أما أبو المعز الآخر ، الذى جرد من ســـلطته لصغر سنه ، فنحن لا نعرف ماذا جرى له بعـــد ذلك ، وربما يكون قد أقصى من مناصبه بواسطة أبو الورد[3] •

---

(١) Canard : Ibid., P. 483/484.

(٢) Canard : Ibid., P. 483.

(٣) Canard : Ibid., P. 483/484.



أحمد ــ أبو سالم (سلمس) أبو الاسود(أبو الشفث) أبو سبتاس(سوادة)
أبو المعز ــ عبد الحميد الثانى
الذى تبناه أبو الاسود ــ (او ابن عبد الحميد؟)
وقتله أبو الورد ــ أبو المعز ــ عبد الرحيم
بعد عام ٣٢٨هـ/٩٤٠م أبو الورد الثانى
وقبل عام $\frac{٣٣٨}{٣٤١}$ هـ $\frac{٩٤٩}{٩٥٢}$ م حكم بعد ٩٤٠م
قتل عام ٣٥٣هـ/٩٦٤م

وفيما يختص بباقى الامراء الأرمن الوارد ذكرهم فى نص ابن الأزرق ، فــان ابن جـاجيق بن ديرانى هو حقــا ملك الفاسبوراكان جاجيــك بن ديرنيك ، اذا ســلمنا بأن جاجيــك لم يمت الا فى عام ٩٤٣م/٣٣٢هـ (ينبغى فى هذه الحــالة حذف كلمة ابن من النص) • وهو ابن ديرنيك اذا سلمنا بأن جاجيك توفى عام ٩٣٧م •

أما أشــوط بن جرجير فهو آشــو بن جريجوريك أمير طــارون الباجراتى ويسميه ابن ظافر ابز طرنيق ، اذا بن طرنيق ــ وهم اسم سلالى لهذه الأسرة فى نظر ابن ظافر • لانه يطلقه أيضــا على الأمير الذى تولى الحكم فى طارون سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م • ولا يمكن الاستدلال من نص ابن الأزرق على وجــه اليقين على ان أشوط قد خلف اخــاه بنجارات ، وان كان هذا محتملا ، نظرا الى صفته كابن طبيعى بالنسبة الى اخيــه باجارات •

أمـا أمير الأمـراء فهو قطعـا الملك البجراطى ، أقوى امراء أرمينية (الأول بين اقرانه Primus Inter Pares) • وهو نفس الشخص الذى يدعوه ابن ظافر « ملك أرمينيـة وجورجيا » • ويبدو أمرا غريبا ، أن هـذا الأمير الذى كانت ولاياته فى معظمهـا بعيدة عن متنـاول الحمدانى ، قد أتى من عاصمته النائية الواقعـة شمالى نهر الرس ، لىقدم الولاء لسيف الدولة الحمدانى • غير ان هذه الزيارة تتمشى تماما مع روح سياسة التأرجح الأرمينية (سياسة لعبة التوازن) التى تراعى جـانب العرب أحيـانا ، والروم أحيـانا أخرى[١] •

وقد طلب سيف الدولة من كل من هؤلاء الامراء بعض الضمانات ، أى بعض المواقع والنقـاط الاستراتيجية • وكان أهم تنـازل — دون جدال — هو التنـازل عن موقـع مدينـة بتليس ، الذى يشرف على الطريق الوحيد الصـالح للانتقـال من اقليم الجزيرة الى داخـل أرمينية ، وكان تابعا لاحد الامراء القيسية[٢] •

ولم يكن سيف الدولة الحمدانى ليهتم فى أوقات أخرى بمدينـة بتليس لانها كانت بيد أمير مسلم • ومع هذا يخبرنا النص الذى أورده بورفيروجنتس ان الأمراء العرب فى أرمينية لم يكونوا ليترددوا ، اذا تعرضت مصالحهم للخطر ، ان يضعوا أنفسهم تحت حماية الامبراطورية البيزنطيـة • لذلك اقام سيف الدولة بالمدينـة حامية لكى يمنع وقوعها فى يد البيزنطيين • ولا ندرى ماهى النواحى التى طلب من ملك أرمينية ان يتنـازل له عنها ، وان كان الظن انها قـلاع على جـانبى الطريق المؤدى الى قاليقـلا • وفيما عـدا ذلك فانه طلب البـه ان يضمن أن قواته وموظفيـه ورسـائله ، تستطيع التنقـل بحرية على الطـرق الأرمينية[٣] •

ويبدو أن حصن أميوك (حصن الحـامد) كان من الاماكن التى طلب من ملك فاسبوراكان التنـازل عنهـا ، لكن ذلك غير مؤكد • وقد

(١) Canard : Ibid., P. 484/485

(٢) Canard : Ibid., P. 485.

(٣) Canard : Ibid., P. 485.

تمسك سيف الدولة بنوع خـاص بالسيطرة على منطقـة ســاسون « التابعة للطارون » ، وعلى موقع السناسنه (قلب Qulb) ، المشرف على الطريق المؤدى من منطقة أرزن الى الطارون.وكل ذلك — بلا شك — كان درءا لاحتمال سيطرة بيزنطـة على الطارون[١].

لكن يبدو ان هذه المنـاطق كانت مستقلة عن الطـارون لدرجـة ان سيف الدولة لم يقنع بالحصول على تنـازل عنهـا له ، وانما أراد انتزاعها من ايدى الجبليين العتاة الذين كانوا مسيطرين عليهـا ، وكان عليـه ان يغزوها . ولعله تمكن — خـلال غارة شنها على السناسنة — من غزو موش ، كمـا يقول ابن ظافر ، ودمر كنيسة طارون المشهورة (صرب كاربت ؟)[٢].

ويذكر ابن الأزرق ان سيف الدولة — بعد أن تلقى طاعة امراء الأرمن — ذهب الى بلد « ابن المرزبان » ، ثم الى منطقة خالدية (كلديا Chaldia) كلديـا . وكان لقب مرزبان يحمله آنذاك فى أرمينيـة جورجين اخو جاجيك اردزرونى ، الذى اقتسـم معـه اخيـه هذا حكومة فاسبوراكان . لكن من المستبعد — ان لم يكن مستحيلا — ان يكون الأمر متعلقا به ، لأن اتجـاه مسيرة سيف الدولة يشير الى قطر واقع بين أرمينية وبين لواء كلديا ، دون ان يمكن القول ان هذا القطر أرمنى أو بيزنطى . ثم ان كلمة مرزبان فى مخطوط ابن الأزرق ليست مؤكدة تماما[٣].

على ان من الصعب معرفة مـدى سيطرة سيف الدولة الحمدانى على أرمينية وما اذا كان قد احتفظ بالاماكن المتنازل له عنهـا ، ودعم سلطانه عليها بصفة دائمة .

وسوف نرى — فى أواخر حكم سيف الدولة — غلامه نجا كما سنرى ان خلفاء ناصر الدولة الحمدانى يسيطرون على بتليس على الأقـل .

---

(١) Canard : Ibid., P. 486, No. 246.

(٢) Canard : Ibid., P. 486.

(٣) ابن الأزرق : تاريخ الفارقى (تاريخ ميافارقين) .

وعلى أى حال ، يمكن القول انه فى أعقاب الاستيلاء الكامل على منطقة الجزيرة ، استطاع الحمدانيون ممارسة بعض النفوذ — وبصفة مؤقتة — على أرمينيية ، وأن يوسعوا قليلا املاكهم من هذه الناحية . وقد أدى ذلك الى زيادة قوة الامارة الحمدانية فى نظر المسلمين عموما .

ومع ذلك فان الشىء الذى له مغزاه أن سيف الدولة اكتفى بتسليم بعض النواحى ، وببعض التزامات الطاعة ، وبحقوق المرور . بينما لا تتحدث النصوص التى بين ايدينا عن أى اسهام مالى من جانب الأرمن . والحق ، ان سيف الدولة — كما يذكر كنارد — لم يكن يستهدف اخضاع أرمينية بالفعل ، بقدر ماكان يقصد الى منع ارتمائها كليا فى أحضان الدولة البيزنطية[1] .

كذلك لم يكن النشاط الاقليمى للحمدانيين ناحية أرمينية يمثل فى الواقع شيئا هاما . انما كان النمو الاقليمى للامارة الحمدانية يتحقق فى الاتجاه الغربى فى شمال سوريا . حيث راحت تشكل امارة تعتبر — فى البداية — أساسا لامارة ما بين النهرين ، وتعتبر صورة منها ، وان اكتسبت — بعد قليل — أهمية — أكبر من أهمية الامارة الأولى وروعة لم تشهد امارة الموصل أبدا لها مثيلا[2] .

وقد أنفذت الحكومة البيزنطية فى عام ٣٢٩هـ (أو ٣٢٨هـ) حملة عسكرية لتأديب الأمراء الأرمن فأعلنوا ولاءهم للمسلمين ، وامتنعوا عن الهجوم على الأراضى الاسلامية[3] . وكان على سيف الدولة أن يهب لمساعدتهم ، بعد أن ارسلوا اليه يستنجدونه ، وقد توغل سيف الدولة فعلا حتى دخل ثغر (أو ثيم Theme) خالديا Chaldian ، وأخذ عددا من الحصون والمدن فيها ، ثم تقدم الى مدينة كولونيا Colones فحاصرها . ونتيجة هذه الانتصارات التى أحرزها سيف الدولة على الروم ، أصبح يعتبر بحق زعيم أو بطل الجهاد الاكبر فى

(١) Canard : Ibid., P. 487.

(٢) Canard : Ibid., P. 487.

(٣) Runciman : The Emperor Romanus Le Capenus, P. 143.

وبورفيروجنتس : الادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ .

العالم الاسلامى — وقتذاك — ضد البيزنطيين[١] .

غير أن انشغال سيف الدولة آنذاك ، بمشاكل الخلافة فى عصر أمرة الأمراء ، والصراع مع الأخشيديين فى سورية بين سنتى ٣٣٠ ، ٣٣٣هـ ، جعل هذه الفترة لا تشهد نشاطا ذا بال على جبهة الثغور الاسلامية البيزنطية ضد الروم . وكان ذلك مما اتاح للروم أن يحرزوا عدة انتصارات على المسلمين ، الذين بددوا قواهم فى النزاع الداخلى من أجل الاستحواذ على السلطة[٢] . مع استمرار بقاء النفوذ الحمدانى على منطقة بحيرة فان بدرجة أو بأخرى[٣] .

ساد الجبهة الحمدانية — البيزنطية فى أعالى الشام هدوء مشوب بالحذر والتوتر ، مفعم بالتحفز ، حافل بتجييش القوات ، وتعبئة الجيوش من كل من الجانبين ، وذلك استعدادا لجولة جديدة قادمة .

ومنذ ذلك الحين ، أصبح الخصم الوحيد للدومستيق كوركواس هو نصر الثملى أمير طرسوس ، التابع تبعية اسمية للاخشيد حاكم مصر . وقد تسنى للجيوش البيزنطية ان تتوغل داخل اقليم الجزيرة نفسه . وفى صفر ٣٢٩هـ/نوفمبر ٩٤٠م وصلت هذه القوات الى منطقة كفر توثا Kafatutha . كما أصبحت هذه الجيوش البيزنطية أيضا ، على استعداد للعمل فى ساحات قتال أخرى ، فى أوربا ضد الروس ، وفى بروفانس مع هيوج البروغنسى ضد قلعة فراكسينتوم العربية ، حتى اذا زال الخطر الروسى ، عاد كوركواس الى الجبهة الشرقية ضد المسلمين هناك مرة أخرى[٤] .

ولذلك فما ان يهل شهر جمادى الأولى عام ٣٣٠هـ (ديسمبر/ ينساير ٩٤١م) ، حتى كان الروم قد زحفوا صوب حمص[٥] ، فأحدثوا

---

(١) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٧ . و
Runcimèn : Ibid., P. 143.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٢٧ (ط ١. الأزهرية ، مصر ، ١٣٠١هـ) .

(٣) Canard : Hist. des la Dynaslie de Hamd., P. 487.

(٤) Canard : Ibid., P. 748.

(٥) تقع حمص على مشارف سوريا ، عند الطرف الشرقى لسهل قاليقلا .

بهـا تخريبـا رهيبا ، وسبوا نحو خمسة عشر ألف انسان من سكانها العزل الآمنين[١]. كما استطاع ثمال (الثملى) غـلام سيف الدولة ، من ناحيـة أخرى ، دخول بـلاد الروم من ناحيـة طرسوس ، حيث أنكى فيهم ، وسبى منهم ، وغنم ، وعاد سـالما ، وقد أسر عددا كبيرا من بطارقتهم المشهورين[٢].

وفى عـام ٣٣١هـ [المـوافق ١٥ سبتمبر ٩٤٢ حتى ٣ سـبتمبر ٩٤٣م] ــ وصلت القوات البيزنطيـة بقيـادة يوحنا كوركواس الى ديار بكر ، حيث اعملوا فى أهلهـا قتـلا وسبيا . كما تمكنوا من فتـح مدينة أرزن وخربوا عامة بلدها ، واستولوا على ميافارقين ، ثم تقدموا الى ما بعد منطقـة طور عابدين ، واستمروا فى زحفهم حتى وصلوا الى مشـارف نصيبين أو قريبـا منها[٣].

كذلك تمكنت القوات البيزنطيـة من الزحف الى مدينـة الرها (اديسـا Edessa) ، حيث طلبوا من أهلها ان يدفعوا اليهم الايقونة (المنديل) التى فى كنيسة الرها . ويدعى النصارى أن السيد المسيح (عيسى بن مريم) عليـه السـلام ، مسح به وجهـه ، وقت الصلب المزعوم . فصارت صورة وجهـه فيـه . وقد وعد البيزنطيون أهـل الرها ــ ان هم استجابوا لطلبهم هذا ــ أن يطلقوا من وقع فى ايديهم من أسارى المسلمين[٤].

ومن المعلوم ان الروم كانوا يهدفون من كل هـذه الحملات الى جمع الأسرى والغنائم ، كما أنهم فكروا جديا فى الاستيلاء على اقليم الجزيرة أو ضم الأرض أو احتلالها[٥].

---

(١) Canard : Ibid., P. 487.

(٢) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ .

(٣) فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٥٧ و

الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد البطريق (صلةاوتيخا) ص ٣٢ .

(٤) الانطاكى : نفس المصـدر ص ٣٢ ، (٧٣٠) وابن الوردى : تتمة المختصر : ١/٤١٠ .

(٥) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 748 - 749.

والغريب فى الأمر ، أنه لم ترد أية اشارة فى المفاوضات التى دارت بشأن الايقونة (المنديل) الى ناصر الدولة الذى كان وقتئذ واليا على ديار مضر التى كانت مدينة الرها (اديسا) تبعا لها ، أو حتى الى ممثلة • وقد يكون مفهوما ورود اشارة اليه ، فيما دار بهذا الشأن من مفاوضات فى دار الخلافة فى بغداد (أيام المتقى لله) — لأنه لم يعد أميرا للأمراء « آنذاك » خاصة بعد أن فر أمام قوات القائد توزون Tuzun التركى فى ٤ رمضان ٣٣١هـ/١٣ مايو ٩٤٣م[1]• ولعل هذا يجعل من الممكن الاعتقاد بتلاشى سلطات ناصر الدولة الحمدانى • حتى ان أهالى الرها — وقد شعروا بضعف شأنه وقلته — راحوا يتفاوضون مباشرة ، ويشكلون من أنفسهم وفدا (فيما يشبه المجلس البلدى حاليا) مارسوا من خلاله مباشرة عملية التفاوض مع البيزنطيين من ناحية ، ومع الخليفة العباسى فى بغداد من ناحية أخرى ، دون الرجوع فى ذلك الى أى من الحمدانيين[2] •

وقد اورد كنارد عرضا نقديا موجزا لدراسة قام بها مؤرخ يدعى دوبشوتز Dobschütz عن أيقونة اديسا — واستشهد به فازيليف — عرض هذه الأمور بكيفية غير صحيحة الى حد ما • اذ قال « دوبشوتز » انه اذا كان أمير ادسا قد خاطب الخليفة على هذا النحو • رغم ان الاخير كان قد فقد سلطانه السياسى الحقيقى فعلا ، فانما كان ذلك لان المسألة ذات طبيعة دينية ، لا يمكن لمثل السلطة الدنيوية أن يتصرف فيها • غير أن هذا الأمر لا يتضمن — فى رأى كنارد — اية مسألة دينية اسلامية بالمعنى الصحيح • اذ من الطبيعى

---

(١) المسعودى : مروج ٣٣١/٢ — ٣٣٢ وابن الأثير : الكامل ٨/ ١٣١ — ١٣٢ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ١٥٧ ، وعن كنارد راجع ثيوفانيس ص ٢٤٢ وكدرينوس ٣١٣/١ — ٣١٥ ، ٣١٩/٢ وليو النحوى ٣٢٦ وسيميون الماجستروس ص ٧٤٨ • Canard : Ibid., P. 749.

(٢) كان ذلك فى ربيع أول ٣٣٢هـ الموافق نوفمبر ٩٤٣م خلال ولاية ناصر الملقب « ابن مقاتل » حاكم ذلك الاقليم (الرها) وكذلك طريق الفرات وجند قنسرين • راجع : ابن الأثير : ١٣١/٨ •

ان يقدم الطلب البيزنطى أولا للسلطات المحلية ، ومن الطبيعى أيضا — وبخاصة اذا فكرنا فى ضعف سلطة الحاكم فى ديار مضر — أن يحول الطلب أو يرفعه الى الخليفة (أمير المؤمنين) • لأن أميرا من اتباعه لا يمكنه — وليست لديه السلطة اللازمة التى تمكنه من — التصرف فى مسألة هامة كافتداء الاسرى أو مبادلتهم ، وهى مسألة تهم جمهور المسلمين وعامتهم ، والبت فيها من اختصاص الخليفة (أمير المؤمنين) أو من ينديه لذلك[١] •

ومن المحتمل ان يكون هناك بصفة خاصة مسألة شرعية لا يمكن حلها فى مدينة الرها نفسها ، بل يجب طرحها على السلطة العليا • وربما أيضا بسبب ماكان موجودا — وقتذاك — من خلافات بين أهالى الرها (اديسا) المسلمين والمسيحيين • وكانت المسألة تتعلق بعرض غير عادى لمبادلة الأسرى ، لا فى مقابل أسرى آخرين مثلهم ، وانما فى مقابل شىء آخر لا يملكه المسلمون ، وانما يملكه مسيحيون يتمتعون بالحماية ، وبحرية التصرف فى املاكهم وكنائسهم بموجب معاهدة تسليم ادسا التى ابرمت عند فتحها[٢] •

وعندما تسلم الخليفة (المتقى لله ٣٢٩ — ٣٣٣هـ/ ٩٤٠ — ٩٤٤م). تقرير وزيره ابن مقلة ، جمع الفقهاء لاستشارتهم ، واصدار رأيهم فى هذا الأمر • ويقال ان رأى الوزير السابق على بن عيسى هو الذى فاز ، اذ صرح بأنه طالما ان الخليفة لا يملك وسيلة فعلية لتخليص الأسرى المسلمين من أيدى الروم • فانه يجب مبادلتهم مقابل المنديل الذى ينبغى اعتباره ملكا مشتركا بين الجالية المسيحية فى ادسا وبين الأهالى المسلمين بها • وقد أوضح أحد الفقهاء أن الأيقونة (المنديل) كان منذ زمن بعيد فى كنيسة ادسا ، ولم يطالب به ايا من ملوك الروم وليس فى دفعه لهم غضاضة وانتهى الأمر والنقاش فى هذا الموضوع باعتبار واعتماد وجهة النظر المصلحية • أى النظر بما يعود بالنفع لصالح المسلمين[٣] •

---

(١) Canard : Ibid., P. 749 - 750.

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٢ •

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 750.

استمرت المفاوضات بعض الوقت بين الجانبين — الاسلامى والبيزنطى — طوال عام ٣٣١ وبعضا من ٣٣٢هـ/٩٤٠م . ووافق الخليفة فى النهاية على الطلب البيزنطى ، استنقاذا لمن فى أيديهم من الاسرى المسلمين ، وأرسل لأهالى الرها بما استقر عليه الرأى طالبا منهم تسليم المنديل للروم[1] . وقد ورد فى فتوى العلماء أن « خلاص المسلمين من الأسر ، واخراجهم من دار الكفر ، مما يقاسونه من الضر والضنك أوجب وأحق »[2] . وكان عدد الأسرى المسلمين مائتى أسير ، وقد نصت المعاهدة المبرمة بين الروم وأهالى الرها على : « الا يعبر الروم حدود الرها فيما بعد ، وتقوم بين الطرفين هدنة مؤبدة » . وفعلا وصل المنديل الى عاصمة الروم (القسطنطينية) فى يوم ١٥ أغسطس ٩٤٤م (صفر ٣٣١هـ)[3] . حيث حمل الى كنيسة أجيا صوفيا (أيا صوفيا) ، وكان ذلك ابان حكم الأمبراطور رومانوس ليكابينوس[4] .

وفى العاشر من رمضان ٣٣١هـ (الموافق ١٨ مايو ٩٤٣م) هاجم الروم دارا وفتحوها ، ثم دخلوا رأس عين ، فى يوم الثلاثاء لاثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام ٣٣٢هـ (١٣/١١/٩٤٣)، حيث اقاموا فيها يومين سبوا خلالها من أهلها نحو ألف نفس ، ثم قفلوا عائدين[5] . وكانت عدة جيشهم نحو ثمانين ألف رجل على ما يذكر ابن الأثير فى حوادث تلك السنة[6] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٣٦/٨ .

(٢) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٣٣ — ٣٤ ابن الوردى : تتمه ٤١٠/١ والهامى : التوفيقات ص ١٦٦ .

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ص ٣٤ .

(٤) بوفيروجنتس : أدارة الامبراطورية ص ٢٨ والانطاكى : تاريخه ٣٢ — ٣٣ (٧٢٩ — ٧٣٠) وقد استمرت الهدنة قائمة حتى أنهاها سيف الدولة سنة ٣٣٨هـ لاعتداء الروم على ديار المسلمين .

(٥) الانطاكى : المصدر السابق ٣٤ — ٣٥ (٧٣٢ — ٧٣٣) .

(٦) راجع ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٣٦ . و

Grousset : Hist. de l'Armente P. 467.

ويبدو أنه كان يوجد بنود أخرى ضمن الاتفاق غير تسليم الايقونة مقابل الاسرى المسلمين (مائتى أسير) . اذ تخبرنا الروايات البيزنطية والدراسة التى قام بها دوبشوتز Doschutz عن « قصة ايقونة ادسا «Narratio de Imagine Edessena» ، بأن الأمر تم بمساومات مع أهالى الرها (ادسا) . اذ حصل الأهالى على مبلغ ١٢٠٠٠ قطعة من الفضة من الروم ويبدو أن هذا المبلغ — كما يفترض دوبشوتز — قد خصص للصرف على كنيسة الرها[١] . كما حصل الأهالى على تعهد كتابى رسمى (معاهدة ابدية) بسلام دائم بين ادسا والامبراطورية البيزنطية والمدن الثلاث المجاورة لها وهى ، حران ، وسروج ، وسمسطه . وان كان هذا السلام نقض بعد قليل بسبب اعتداءات الروم على ديار المسلمين . مما دفع سيف الدولة — كما ذكرنا — الى انهاء المعاهدة سنة ٣٣٨هـ .

وتمثل الحملة التى أدت الى تسليم منديل ادبسا ختاما لاحدى مراحل المواجهة الاسلامية البيزنطية فى فترة ما قبل سيف الدولة الحمدانى ، كما تعتبر ختاما عمليا لحياة يوحنا كوركواس — الذى لقب بـ « شبيه تراجان »[٢]، بعد ان ارتفع شأنه جدا فى أعين النصارى ، لما احرزه من انتصارات كان اهمها انتصار الرها ، واستعادة المنديل (الايقونة) من كنيسة ادسا (الرها) الى كنيسة اجيا صوفيا ، الذى وصفه رنسيمان بأنه « رمز لروح الغزو الجديدة فى الشرق »[٣].

فكان مما فتحه يوحنا كوركواس مدن أرزن ، وملطية ، ومرعش ، وآمد Amida وسميساط[٤] . فلما أفل نجمه ، وسقط الامبراطور رومانس ليكابنتوس ، وارتقى قسطنطين بورفيروجنتس عرش الأمبراطورية البيزنطية عام ٩٤٤م (٣٣٢هـ) خفت حدة العمليات

---

(١) Canard : Ibid., P. 751, No. 79.

(٢) Grousset : Hist. de la Armenie, P. 414 - 475.

(٣) Finlay : Hist. of Byz. Emp. P. 287

(٤) Diel : Hist. of Byz. Emp. P. 78 - 79.

العسكرية بعض الوقت من الجانب البيزنطى[1].

والحق ان انتصـارات الدمستق يوحنا كوركواس ماكانت لتحدث لولا انشغال الخـلافة العباسية بمشاكلها الداخلية ، وتحول اهتمامات سيف الدولة — مرحليا — عن مواجهـة العمليات العسكرية البيزنطية ، لانشغاله بالمشاكل الداخلية للخـلافة العباسية[2] . هـذا فضلا عن انشـغال سيف الدولة بالصراع على مدينـة حلب ، مما دفـع الروم وشـجعهم على مهاجمـة مرعش ، ومنطقـة بغراس ، والزحف حتى أبواب مدينة أنطاكية . ثم ارتدت قواتهم بعد ان رد عليهم سيف الدولة بالهجوم على منطقة عريسوس[3]. اذ قام سـيف الدولة الحمدانى — كما سنرى — بحمـلة ثأرية انتصر فيهـا على الروم قرب مرقية (ماراش/مرعش Marach أو جيرمانيكوس) سـنة ٣٣٢هـ/٩٤٤م[4]

أما بالنسبة للنشاط البحرى الاسلامى ضد الروم فى حوض البحر المتوسـط ، فقد تنـاقص حجمه أو تقلص لدرجة كبيرة . وكان أمراء طرسوس — قبل ذلك — يقومون باغارات على القواعد البيزنطيـة فى منطقـة بحرايجة ، فى حمـلات ثأرية سريعـة ، ردا على الحمـلات البيزنطية على منـاطق الثغور الاسلامية سواء فى الشام أو فى اقليم الجزيرة . أما الآن فقد اقتصر النشـاط العسـكرى الاسـلامى على القوات البرية فقط[5].

وربمـا كانت ظـاهرة تنـاقص الحمـلات البحرية الاسـلامية أو توقفها ضد الوجود البيزنطى فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، راجعـة بالدرجة الأولى الى خلو الميدان من شخصيات قيادية بحرية عظيمة أمثال : أبو الحارث غـلام ظرافة (ليو الطرابلسى) ، ويازمان ،

---

(١) Grousset : Hist. de L'Armenie P. 476.

(٢) Vasiliev : Hist. of Byz., Emp. P. 307.

(٣) ابن العديم : زبـدة الحلب ١/١١٣ وبورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٨ .

(٤) Groust : Ibid., P. 476.

(٥) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P. 753.

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية (الفصل الثانى من الباب الأول) .

ودميـــان ، وثمال الطرسوسى ، الذين لم يخلفوا وراءهم جيلا آخر ، يقوم بعـــدهم بتولى مسئوليـــة استمرار المواجهـــة مـــع الروم فى البحر المتوسط . مما أثر على نشاط القوات البحرية الاسلامية فى شرق المتوسط ، وأضعفها . هذا بينما الاســاطيل البيزنطية تحرز نجاحات كثيرة وتقدما كبيرا فى مجـــالات عدة ضد المسلمين ، وتقوم بنشـــاط واســـع ســـوف يكون له ما بعـــده فى عمليـــة المواجهـــة الاســـلامية البيزنطيـــة[١] .

هذا فضـــلا عن أن الخـــلافة كانت تعـــانى أزمة مالية خانقة ، كما اسهم الاهمال والغفلة التى اتسم بها امراء المســـلمين وقتذاك ، فى التأثير على فاعليـــة النشاط العســـكرى البحرى الاســـلامى ، بل وانزل بالبحرية الاسلامية فى طرسوس ضربة قاصمة لم تنهض منهـــا لمـــدة طويلة بعد ذلك[٢] .

---

(١) راجع صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية (الفصل الثانى من الباب الأول)

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. P. 753.

وصابر دياب : نفس المرجع .

الفصل الثالث

جهاد سيف الدولة ضد الروم

فى الثغور الاسلامية

(٣٣٣ — ٣٥٦هـ/٩٤٤ — ٩٦٧م)

١ — **المرحلة الأولى** : حمـــاية الثغور فى بداية عهـد سـيف الدولة
(٣٣٣ — ٣٤٣هـ/٩٤٤ — ٩٥٤م)

٢ — **المرحلة الثانية** : الانقضـــاض البيزنطى • وبداية أفول نجـم سيف الدولة •
(٣٤٣ — ٣٤٩هـ/٩٥٤ — ٩٦٠م)

٣ — **المرحلة الثالثة** : محاولات نقفور فوكاس انهاء الوجود الاسلامى من الثغور الشامية •
(٣٤٩ — ٣٥٦هـ/٩٦٠ — ٩٦٧م)

جهاد سيف الدولة

ضد الروم فى الثغور الاسلامية

(أ) المرحلة الأولى : حماية الثغور ٣٣٣ ـ ٣٤٣هـ/٩٤٤ ـ ٩٥٤م :

سار سيف الدولة سنة ٣٣٣هـ الى مدينة حلب ، فلقى فيهـا يأنس المؤنس ، ففارقهـا يأنس ، واستأمن اليـه فى قطعـة من الجيش ، فاستولى عليهـا سيف الدولة ، وسار الى دمشق[1] . واقام الدعوة للخليفـة العباسى المستكفى (٣٣٣ ـ ٣٣٤هـ/٩٤٤ ـ ٩٤٦م) ، ولأخيه (ناصر الدولة الحمدانى) ، ولنفسه . فخلع المستكفى على سيف الدولة ، وعلى محمد بن طغـج الاخشيد ، لأن هذا اقام الخطبـة له بمصر ، وما تحت حكمـه من الأصقاع . ولمـا بويع للمطيع بالخلافة (٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ/٩٤٦ ـ ٩٧٤م) ، سار مع الأخشيد وابن حمدان بسيرة سلفه المسـتكفى بالله ، على قـدم التوازن السياسى . فكتب الى الاخشيد بالتقليد . فتكافأ الأخشيد وسـيف الدولة وهدأت الفتن واستقامت الطرق[2] .

وكان الأخشيد فى بادىء الأمر قـد حاول مناوءة سيف الدولة ، فجرد جيشا سار الى الرستن ـ من أرض حمص ـ لكن سيف الدولة هزمهم ، فعـادوا الى دمشق ، ثم خرجوا عنهـا يريدون الرملة ، ثم قصدوا الى مصر ، وسار سيف الدولة فى أثرهم يريد دمشق ، وكتب الى جمـاعة الاشراف والعلمـاء والاعيـان والمستورين كتابا قرىء على منبر جامعهـا جاء فيه :

« .. وقد علمتم اسعدكم الله ، تشاغلى بجهاد اعدائى واعداء الله الكفرة ، وسبيهم وقتلى فيهم ، وأخذى أموالهم ، وتخريبى ديارهم ، وقد بلغكم خبر القوانين ( ) فى هذه السنة ، وما أولانا الله وخولناه ، واظفرنا به ، واستعملت فيهم السنة فى قتال أهل الله فما اتبعت مدبرا ،

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤١٦ .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام ١/١٨٧ .

ولا ذففت على جريح ، حتى سلم من قد رأيتم ، وقد تقدمنا الى وشاح بن تمام بصيانتكم وحفظكم ، وحوط أموالكم ، وفتح الدكاكين ، واقامة الاسواق ، والتصرف فى المعاش الى حين موافاتنا ان شاء الله[١] .

هكذا انتهى الأمر برجحان كفة قوات سيف الدولة على جيش الاخشيدية . حيث أقام سيف الدولة بدمشق يجبى خراجها . وظن ابن حمدان ان الامر تم له فجمع الى ملكه فى الجزيرة ملك الشام ، بل ربما وصل تطلعه الى مصر . ومادرى أن الأقدار تخبىء له انحسار ملكه الى حلب وما حولها . وهو ما اقتنع به عمليا ، بعد هزيمة قواته امام القوات الاخشيدية فى دمشق ، التى اخافها احتمال قيام سيف الدولة بالمصادرات فى أهلها لو تمكن من المدينة[٢] .

استقر الأمر لسيف الدولة فى حلب ، التى كانت اقرب الى مهد عصبيته ، وهى الثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار بكر . وتصالح مع الاخشيد وصاهره ، وتقرر لسيف الدولة حلب وأنطاكية وحمص[٣] .

وكانت علاقة الاخشيديين — كعلاقة الحمدانيين — اسمية مع الخلافة فى بغداد . وقد اشتهر الحمدانيون بكرمهم وميلهم للشيعة ، بينما اشتهر الاخشيديون بالشح وأخذهم برأى أهل السنة[٤] .

تم لسيف الدولة السيطرة على حلب وحمص وأنطاكية ، فضلا ميافارقين ، وأعالى بلاد الشام ، أى المناطق الثغرية المتاخمة لأرض الروم . مما يعنى أن مهمته ، فى حماية النطاق الذى يحكمه ضد هجمات الروم ، سوف تحتل المرتبة الأولى من فكره وجهده وامكانياته المادية والعقلية والبشرية ، وهو أمر جد خطر .

---

(١) محمد كرد على : خطط الشام : ١٨٧/١ — ١٨٨ وابن الوردى نفسه : ٤١٦/١ .

(٢) محمد كرد على : المصدر السابق ١٨٨/١ — ١٨٩ .

(٣) محمد كرد على : المصدر السابق ١٨٩/١ .

(٤) محمد كرد على : المصدر السابق ١٨٩/١ .

ومن ناحية أخرى استمر الاهتمام البيزنطى مركزا ومنصبا تجاه تحقيق هدف واحـد ، كان بالنسبة لهم استراتيجيى وحيوى • ونعنى به كسر شوكة الدولة الحمدانيـة ، ان لم يكن ممكنا القضـاء عليهـا نهائيا • وسنرى كيف صمدت الدولة الحمدانيـة حتى هذه اللحظـة لغزوات الـروم واستمرت كذلك • فكانت بمثابة سـد فولاذى تحطمت عليـه الكثير من غزوات الروم الشرسة وهجومهم اللاانسانى • وبذلك حفظت الكيـان العربى الاسـلامى ، وحمت الثغور الاسلامية ، وهى مهمـة خطيرة لا يقدر على عبئها وحمل تبعاتها ، سوى أمثال البطـل الصنديد سيف الدولة الحمدانى •

لقد أولى سيف الدولة الحمدانى مهمة حماية الثغور الاسلامية ، وصد الهجمات البيزنطية عناية خاصة ، مع يقظة فائقة وحذر كبير • حتى اصبح قمينا بذلك اللقب الذى نعته به المؤرخون المسلمون وهو « حـامى الثغور الإسـلامية »[1] • ومن ذلك مثـلا ماذكره ياقوت الحموى حيث قال[2] بالحرف الواحد : « • • ثم لم يزل هـذا الثغر طرسوس وأذنه والمصيصة »[3] ، وما ينضـاف اليها بأيدى المسلمين ، والخلفـاء مهتمون بأمرها ، والأمور على هذه الحـال مستقرة ، حتى ولى العواصـم والثغور الامير « أبو الحسن على سـيف الدولة » ابن أبى الهيجـاء عبد الله بن حمدان — الذى كان والده حاكمـا على الموصـل والجزيرة — فصمد للغزو ، وأمعن فى بلادهم ، واتفـق أن قابله ملوك أجـلاد ، ورجـال أولو ابـأس • • ، وبصيرة بالحـرب والدين شداد » • وكان سيف الدولة جديرا — بحق — بهذه الثقة ، وأهلا لتلك المهمة التى نيطت به • فأعلنها حربا شعواء فى سبيل المحافظـة على كيـان العـالم الأسلامى وطنا وشعبا وتراثا •

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٨٩ •

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ص ٧ (مادة طرسوس) •

(٣) اذنه : هى أطنه • وهى بلد من الثغور قرب المصيصة المشهورة وهى (المصيصة) مدينـة على نهر جيحان قريبة من طرسوس الذى كان ثغرا اسلاميا شهيرا — راجع ياقوت : المصـدر السابق مـادة : **اذنه والمصيصة وطرسوس** •

ففى سنة ٣٣٣ (٩٤٤م) غزا سيف الدولة الحمدانى بلاد الروم ، « وعاد سالما بعد أن أبدع فى أرض العدو » ، وكان سبب هذه الغزاة — كما تذكر المراجع[1] « انه بلغ الدمستق مافيه سيف الدولة من الشغل بحرب أضداده . فسار فى جيش عظيم وأوقع بأهل بغراس ومرعش وقتل وأسر ، فأسرع سيف الدولة الى مضيق وشعاب ، فأوقع بجيش الدمستق ، وبينهم ، واستنقذ الاسارى والغنيمة ، وانهزم الروم اقبح هزيمة . ثم بلغ سيف الدولة أن مدينة للروم تهدم بعض سورها وذلك فى الشتاء ، فاغتنم سيف الدولة الفرصة ، وبادر فأناخ عليها وقتل وسبى ، ولكن اصيب بعض جيشه » .

بعد هذه الغزوة تميزت الفترة من ٣٣٤هـ حتى ٣٣٦هـ (٩٤٥ — ٩٤٧م) بهدوء نسبى ، حتى اننا لا نجد ذكرا لحروب قام بها سيف الدولة آنذاك . وكل ما قام به خلالها لم يتعد عملية تبادل أسرى تمت مع الروم ، فى شهر ربيع الأول ٣٣٥هـ (٩٤٦م) ، وهى العملية المعروفة باسم « فداء ابن حمدان » ، وكان الذى توسط فى هذه العملية هو « نصر الثملى » أمير طرسوس . وقد بلغ عدد من فودى بهم من المسلمين حول ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وانثى — وقد فرض للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون ، لكثرة من كان فى أيديهم ، فوفاهم أبو الحسن على (سيف الدولة) ذلك وحمله اليهم[2] . وهذا دليل على تفوق الروم على المسلمين فيما بين سنتى ٣٣٤هـ و ٣٣٥هـ .

كما نجد — من ناحية أخرى — بعض التطورات تشهدها الدولة البيزنطية منذ سنة ٩٤٤م (٣٣٥هـ) وهى تطورات جوهرية . اذ أزيح يوحنا كوركواس عن منصب القيادة للجيوش البيزنطية ، وتم خلع رومانوس ليكابينوس ، ليصبح قسطنطين السابع

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ٩٩/١ والذهبى : دول الإسلام ١/ ورقة ١٦٠/أ وابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٥ وابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٩٥ وقسطنطين بروفيروجنتس . الادارة البيزنطية ص ٢٨ .

(بورفيروجنتس) هو الحاكم المطلق بعد أن بلغ سن الرشد فى سنة ٩٤٥م[1] •

ثم تحرك سيف الدولة فى الفترة من ٣٣٦هـ حتى ٣٣٨هـ (٩٤٧ — ٩٤٩م) • فنزل على حصن برزويه سنة ٣٣٦هـ[2] — قرب السواحل الشامية — ، وكان يوجد فى هذا الحصن يومئذ أبو تغلب الكردى • هذا بينما نزل الروم بقيادة ليو بن برداس فوقاس على حصن الحدث وحاصروه • فاستنجد أهل الحدث بسيف الدولة الذى لم يتمكن من اجابة طلبهم ونجدتهم • لانشغاله بتصفية تمرد أبو تغلب الكردى فى برزوية • وكان ذلك مما مكن ليوبن برداس فوكاس من حصن الحدث ، حيث فتحه بالامان ، وأخرب سوره •

أما سيف الدولة فتمكن من أخذ حصن برزويه سنة ٣٣٧[3] ، من الاكراد ، ثم سار الى ميافارقين بعد أن استخلف على حلب محمد بن ناصر الدولة[4] • بينما سار ليوبن برداس فوكاس ، فنزل على بوقا — شمال أنطاكية — فخرج له محمد بن ناصر الدولة لصده ، فهزمه ليو ، وقتل من رجاله نحو أربعمائة غير من أسرهم وكان عددهم كبيرا ، فكان ذلك أوائل عام ٣٣٨ هـ[5] • وفى شهر ربيع الأول من نفس العام (٣٣٨هـ) (الموافق ٩٤٩م) فتح الروم مدينة قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) وملكوها ، وهدموا سورها ، وأعطوا أهلها الأمان ، وانصرفوا عنها[6] •

لم يكن وقع هذه الأحداث التى أصابت المسلمين بالثغور

---

(١) Vasiliev A. A. ; Hist. of Byz. Emp., P. 307.

(٢) يسمى اليوم (زمن ياقوت) Berze برزية أو Merze يقع على مرتفع صخرى الى الشمال قليلا من (فامية Apamea) . راجع ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٥٦٥ .
Dussaud : Topographie de la Syrie, PP. 151 - 153.

(٣) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٦/أ وابن العديم — زبدة حلب ١/١٢٠ وابن الوردى ١/٤٢٢ .

(٤) الانطاكى : تاريخ سعيد بن البطريق ص ١١٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة حلب ١/١٢٢ والانطاكى : نفس المصدر ص١٢٢

(٦) الانطاكى : نفس المصدر ص ١٢٢ .

الشاميـة — على أيدى القـوات البيزنطية — هينا على نفس وقلب سيف الدولة • بل أنها استفزته ، فهب وجهز جيشـا من ثلاثين ألف مقـاتل ، انضـم اليـه جيش من طرسـوس قوامه أربعـة آلاف بقيـادة القـاضى أبى حصين • وسار سـيف الدولة بهذه القوات مجتمعـة فى يوم الاحـد منتصف ربيـع الأول ٣٣٩هـ (أغسطس / سبتمبر ٩٥٠م) الى مدينة قيسارية[١]، ثم الى القبدق (الفندق)[٢]•

لقد أوغل سيف الدولة كثيرا فى أرض الروم سـنة ٣٣٩هـ وفتح عدة حصون ، وأسر كثيرا منهم ، فضـلا عمن قتلهم وقواته فى الحرب من الروم • ثم سـار الى سمندو[٣] ثم الى خرشنة[٤]، واسـتمر فى زحفه حتى صارخة[٥] • حيث التقى الجمعان (الحمدانى والبيزنطى) فى معركة كان النصر فيهـا للحمدانيين بقيـادة سيف الدولة وأسر فيها جمـاعة من بطـارقة (قواد) الروم • وقد اسـتمر سيف الدولة فى غزاته هذه بضعة اشهر • أسر خلالها كثيرا من الروم ، وغنم منهم الكثير من الغنـائم[٦] وقد أنشـد أبو الطيب المتنبى فى معركة سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠م) شعرا جاء فيـه[٧]:

---

(١) قيسارية : من مدن كبادكيا • وهى مدينة قديمة تقع جنوب نهر هاليس Halys وشمال جبل آرجى Aragee • راجع فيصل السـامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ •

(٢) تنطق وترد أحيانا « الفندق » وهى من كبادوكيا • راجع السامر : نفس المرجع ١٦١/٢ •

(٣) سمندو : هى المدينـة البيزنطيـة المسـماة (تزاماندوس Tzamandos أو أتزاماندوس) ، وتقع على مرتفع الكرمالاس • حيث يقع زامانتى رافد نهر ساروس أو سيحان • وكانت تقع الى الشمال قليلا من طريق مرعش — قيسارية عبر عربسوس • وهو الطـريق الذى سـلكه سيف الدولة • راجع فيصل السامر : المرجع السابق ١٦١/٢ •

(٤) خرشنة : أو خرسيون وهى نفس المدينة البيزنطية (المسماة Castrum Charsianum) الى الشمال الشرقى من نهر هاليس • راجع ياقوت، معجم البلدان مادة خرشنة •

(٥) صارخة : من مدن الروم • وتبعد سبعة أيام من القسطنطينية • راجع ياقوت : المعجم •

(٦) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ — ١٦٢ •

(٧) المتنبى : ديوانه •

لهذا اليوم بعد غد أريج ونار فى العدو لها أجيج
عرفتك والصفوف معبآت وأنت بغير سفك لا تعيج
رضينا والدمستق غير راض بما حكم القواضب والوشيج
فان يقدم فقد زرنا سمندو وان يحجم فموعدنا الخليج

غير أن القوات الطرسوسية ، اعتقدت ان الأمر انتهى ، وأن الحرب وضعت أوزارها ، فعادت وعاد معها الاعراب . فلما أراد سيف الدولة العودة ، سد عليه الروم درب التيكرون[1] ، فانحصر سيف الدولة فى هذا المضيق الصعب وعزل عن مقدمة جيشه ، كما قطع الروم الشجر وسدوا به الطرق ، وألقوا بالصخور الضخمة من قمم الجبال ، على جنود المسلمين (الحمدانيين) . هذا بينما كان الدمستق يضرب ساقة الجيش الحمدانى بعنف ويقتل ويأسر بوحشية[2] .

وقد وصف المؤرخ الحافظ الذهبى هذه المعركة الرهيبة بقوله :[3] « وفى هذه السنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) غزا سيف الدولة فسار فى ربيع الأول ، ووافاه عسكر طرسوس فى أربعة آلاف عليهم القاضى أبو حصين . فسار الى الفندق وأوغل فى بلاد الروم ، وفتح عدة حصون ، ثم سار الى سمندو ، ثم الى خرشنة (خرسيون) ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام . فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته ، وظهرت (أى مقدمة سيف الدولة) عليه . فلجأ الى الحصن ، وخاف على نفسه . ثم جمع جيوشه والتقى مع سيف الدولة ، فهزمه أقبح هزيمة وأسر بطارقته ، وكانت غزوة مشهورة ، وغنم المسلمون ما لا يوصف ، وبقوا فى الغزو أشهرا . ثم

---

(١) فى ناحية الحدث ويعرف باسم درب مقطع الانفار . راجع : الانطاكى ، تاريخ يحيى بن سعيد ص ١١٢ والذهبى : تاريخ الاسلام ورقة ١٦٢ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١٢٢/١ والذهبى : نفس المصدر ورقة ١٦٣ .

(٣) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ١٦٣/١ وبورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٩ — ٣٠ .

ان الطرطوسيين قفلوا ، ورجع العربان ، ورجع سيف الدولة فى مضيق صعب ، فأخذت الروم عليــه الدروب ، وحالوا بينــه وبين المقدمة ، فقطعوا الشجر ، ودهدهوا (القوا) الصخور فى المضــايق على الناس (القوات الحمدانية) ، والروم وراء الناس يقتلون ويأسرون ، ولا منفذ لسيف الدولة . وكان معــه أربعمائة أسير من وجوه الروم ، فضرب أعناقهم ، وعقر جماله وكثيرا من دوابه ، وقاتل قتــال الموت ونجــا فى نفر يسير » .

والحق أن سيف الدولة غامرا كثيرا ، حين أوغل فى تعقبه للقوات البيزنطية التى فرت من امامــه أول الأمر ، مستدرجة لســيف الدولة وقواته الى النقطــة التى حصروه فيهــا ، والتى يذكر بروفيروجنتس انهــا تســمى منطقــة « درب الجوازات » الواقعــة بين الحــدث والبستين[1] . وهناك امكن للروم عزل سيف الدولة عن مقدمة قواته ، مما مكنهم من القضــاء بسهولة على كثير من القوات الحمدانية ، حتى اضطر للتراجــع بصــعوبة بالغــة ، ناجيــا بنفسه وقلة ممن كانوا معــه ، وكان ذلك فى جمــادى الآخر ٣٣٩هـ[2] .

لقد كانت نتيجــة غزوة درب الجوازات ، التى وقعت فى اليوم الخــامس من شهر جمــادى الآخرة سنة ٣٣٩هـ (الموافق العشرين من شهر نوفمبر ٩٥٠م) شديدة الوقع والايلام على نفس سيف الدولة الحمــدانى ، وهو الأمير والقائد الذى طالمــا مشى النصر فى ركابه . وهذه الهزيمة فى ذاتها من الفداحة بحيث كانت كافية لتوهين العزم ، وتيئيس النفوس ، وتثبيط الهمم عن مواصلة المواجهة مــع الروم . لكن نفس سيف الدولة لم تكن من ذلك اللون أو النوع الذى ينكسر ، ولم يكن لليأس والوهن اليهــا ســبيلا ، لمــا فطر عليــه من نفس أبيــه وهمة فولاذية قوية . بل أن ســيف الدولة جعــل من هــذه الهزيمة المؤلمة ، نقطة انطلاق ، لمرحلة جديدة من المواجهــة مع الروم

---

(١) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٣٠ .

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٨٤ .

حفظا لكيان العالم الاسلامى . ولا غرو ، فلم يكن سيف الدولة يحارب عن نفسه أو أسرته ، بقدر ما كان يقوم بدور المجاهد دفاعا عن عرين الاسلام وحمايته من هجمات الروم وقتلهم . فبدأ فى التجهيز فورا لجولة جديدة ، يمسح بها آثار هزيمة دزب الجوازات فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٩هـ . هذا بينما نزل امبراطور الروم فى نفس العام على حصن أفامية وجميع عظام قتلاه ، وصلى عليهم ودفنهم ، ثم فتح شيزر بالأمان لخلوها من مدافع[1].

فى هذه الأثناء وبينما سيف الدولة يستعد لجولة جديدة ، جاء الروم فى قوة كبيرة وهاجموا مدينة سروج[2]، « وخربوا مبانيها ومسجدها ، ونهبوا مالها »[3] فلما علم بذلك سيف الدولة ، أسرع بقوة ليشتبك مع القوات الغازية من الروم سنة ٣٤٠هـ فى معركة حالفه فيها النصر ، وجعل يتعقبهم حتى اجلاهم عن سروج ، ثم اتجه الى مرعش[4]، فأعاد سنة ٣٤٠هـ بناء ماكان الروم قد هدموه فى غزوتهم عام ٣٣٧هـ ، وهو ما نوه به المتنبى فى احدى قصائده حين قال[5].

فيوما بخيل تطرد الروم عنهم	ويوما يجود تطرد الفقر والجدبا
سر اياك تترى والدمستق هارب	وأصحابه قتلى وأمواله نهبا
أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا	وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا
كفى عجبا أن يعجب الناس أنه	بنى مرعشا تبا لآرائهم تبا
وما الفرق ما بين الأنام وبينه	أذ حذر المحذور واستصعب الصعبا

بعد أن عاد سيف الدولة الى حلب سنة ٣٤١هـ — عقب تخليصه

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر (تاريخ ابن الوردى) ٤٢٣/١ .

(٢) سروج : مدينة من ديار مضر ، قرب كل من حلب وحران . راجع ياقوت : معجم البلدان مادة سروج وابن الوردى : تتمة المختصر ٤٢٥/١

(٣) ابن الوردى : المصدر نفسه ٤٢٥/١ .

(٤) مرعش : أول الثغور الشامية مما يلى جبل اللكام . خربتها الروم سنة ٣٣٧هـ فأعاد سيف الدولة بناءها سنة ٣٤٠هـ . راجع ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٥) ابن الوردى : المصدر نفسه ٤٢٦/١ والمتنبى : ديوانه .

مدينــة سروج من الروم ــ علم بمعاودتهم الاستعداد لغزو حلب • فاجتاز نهر الفرات الى دلوك (دلوص) ثم الى قنطرة صنجة ، حيث تعقب الروم ، حتى ادركهم فى ملطية آخر ٣٤١هـ ومستهل عــام ٣٤٢هـ واحتدم القتــال بين الفريقين اياما ، لينتهى بنصر مـؤزر للقــوات الحمدانية ، وهزيمة الروم ، الذين قتــل كثير منهــم ، وأسر منهــم اعداد غفيرة • كما جرح القــائد برداس فوكاس Baradas Phocas فى وجهــه وكان قسطنطين بن برداس فوكاس من بين الاسرى • وقد أذهله وقوعه فى أسر المسلمين قرب مرعش ٣٤٢هـ (٩٥٣م) ، فمازال فى هم وكمد حتى قضى نحبه وهلك فى الاسر • فحزن لموته سيف الدولة كثيرا ، حتى ليقــال انه أرســل فيه عزاءا لوالده[1] •

والحق ، لقد كانت هذه الجولة الأخيرة بين الحمدانيين والروم ــ معركتى ملطية ٣٤١هـ ومرعش ٣٤٢هـ ــ من اشد ما مر بالروم من كوارث ونكبات • اذ انتاب الحزن بعدها برداس فوكاس ، لأسر ابنه قسطنطين ثم موته أسيرا • بل لم يلبث برداس نفســه أن ترهبن • وتســابق شعراء سيف الدولة الحمدانى فى وصف هذه المواجهة ببراعة فائقــة • من ذلك ما قاله أبو الطيب المتنبى موجها كلامه لامبراطور الروم[2] :

نجوت باحدى مهجتيك جريحــة	وخلفت احدى مهجتيك تســيل
أتســلم للخطيــة ابنك هاربــا	ويسكن فى الدنيــا اليك خليــل
بوجهك ما أنســاكه من مرشــة	نصــيرك منهــا رنة وعويــل

ومنها قوله فى قصيدة أخرى :

فلو كــان ينجى من على ترهب	ترهبت الأملاكَ مثنى وموحدا[3]

---

(١) ابن شداد : الاعــلاق الخطيرة ٢٥٩/١ وابن الوردى : تتمة المختصر ٤٢٧/١ •

(٢) المتنبى : ديوانه وابن العديم : زبدة الحلب ١٢٤/١ وابن الوردى المصدر السابق : ٢٨٦/١ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١١٠ •

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر : ٤٢٧/١ •

وهكذا تنتهى هذه المواجهة الحمدانيــة البيزنطية فى تلك الفترة (٣٣٣ — ٣٤٣هـ/ ٩٤٤ — ٩٥٤م) بنصر مؤزر المسلمين أحرزه لهــم سيف الدولة الحمدانى البطل وجنوده البواسل ، ضد الروم .

المرحلة الثانية : مرحلة الانقضاض البيزنطى وأفول نجم سيف الدولة (٣٤٣ — ٣٤٨/٣٤٩هـ)

عاود الروم اعتداءاتهم سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م على تخوم (ثغور) الدولة الاســلامية فى بــلاد الشام ، مما دفع سيف الدولة للقيــام لصــدهم . ولذلك نشبت المعــارك بين الطرفين قرب حصن الحــدث Adatha [١] . وكان عدد جيش الروم هذه المرة — كعادتهم — كثيفا أيضــا — يقال أنه بلغ خمسين ألفا من الفرسان والرجالة — تجمع من جموع الروم والأرمن والبلغار والروس والصقالبية والخزرية . وظلت المعركة من الصباح حتى العصر ، حيث تمكن سيف الدولة فيها من قتــل الكثير من قوات الروم وعلوجهم ، حتى بلغ ما قتــل منهم نحو ثلاثة آلاف ، عــدا من أسر وكان عــددهم كبيرا ، كان منهــم الامبراطور قسطنطين نفسه وبعض بطــارقته (أى قواده)[٢] .

ويصف الثعالبى معركة الحــدث ومــا وقــع فيهــا بقوله[٣] : « . . . وسار سيف الدولة لبنــاء الحــدث — وهى قلعــة عظيمــة الشأن — فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظمــاء مماكته ، وجهزهم بالصليب الاعظم (ما يسمونه صليب الصــلبوت) وعليهــم فردوس (برداس) الدمستق ثائرا بابنــه قسطنطين ، فى عدد لا يحصى ، حتى احاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب وساءت ظنون المســلمين . ثم أنزل الله نصره ، فحمــل ســيف الدولة يخرق الصفوف طلبــا للدمستق ، فولى هاربا وابن بنتــه وقتــل خلق كثير من الروم » . وقد سجل المتنبى هذا النصر الحمدانى الاسلامى المؤزر

---

(١) الحدث مدينة صغيرة بالشام . راجع أبو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٣

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٢٤ — ١٢٦ .

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر (ط . مصر ١٩٣٤م) .

للامير سيف الدولة فى قصيدته « على قدر أهل العزم تأتى العزائم »(١) التى جـاء فيهـا .

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائـم

تمر بك الابطـال كلمى هزيمة ... ووجهك وضـاح وثغرك باسـم

والحق أن سيف الدولة كان يرمى دائمـا من وراء معاركه ، الى تحقيق هدف واحد لم يغب عنـه لحظـة واحـدة ، ألا وهو حمـاية الدولة الاسلامية ممن يبغى بهـا سوءا أو شرا . أمـا الروم فكانوا يشعلونها حربا دينية لاخذ بـلاد دخلها الاسـلام ، وسكن بنوره فى قلوب وأفئدة أهلها . وليس لاعادتهـم للضـلال سبيل . فالتـاريخ لا يعود للوراء أبدا ، والحق لابد وان ينتصر مهما طـال الأمـد . مما يجعلنـا نقرر بشىء من الثقة أن عصر الحروب الصليبية ، انمـا يرجـع الى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميـلادى) ، وليس الى تلك الصيحـة الرعناء التى نهق بهـا البابا أوربان الثـانى فى مجمع كليرمونت سنة ١٠٩١م (أواخر القرن الخـامس الهجرى) .

لقد كانت معركة الحدث ٣٤٣هـ حقا من المعـارك التى منى فيها الروم بخسـائر فادحة فى الرجـال والاموال ، وكان اندحارهم فيها مزريا . لكن سيف الدولة لم يستخفه هذا النصر البـاهر على عدوه وعدو دينـه وأمتـه ، بل ظـل حذرا متيقظـا دائمـا لمـا يمكن ان يقوم به الروم من هجوم مباغت . ولولا هذه اليقظـة التى تمتـع بها سيف الدولة ، لمـا كانت الدولة الحمدانية ، ولمـا كان لسيف الدولة هذا الصيت الداوى على مر الاجيـال .

سار سيف الدولة فى عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ، على رأس جيشـه قاصدا أرض الروم . وقد صحبه فى حملته هذه شـاعره أبو الطيب المتنبى ، ليشهد بنفسه المعـارك التى طالما سمع عنها من الرواة . وعبر

---

(١) المتنبى : ديوانه .

سيف الدولة بقواته نهر أرسناس[١] ، ثم اجتاز حصن الران[٢] ، ومنه الى تل بطريق ، الذى كان ضمن المنـاطق البيزنطية . ولم تجد القوات الحمدانية فى هذه النواحى مقاومة تذكر[٣] .

وقد سجل المتنبى هذه المناسبة فى قصيدة له جاء فيها[٤] :

الرأى قبـل شجاعة الشجعان   هو أول وهى المحـل الثـانى

ومنهـا قوله :

لولا سمى سيوفه ومضـاؤه   لمـا سللن لكن كالأجفـان
مازلت تضربهم دراكا فى الذرى   ضربا كأن السيف فيـه اثنان
فرموا بما يرمون عنـه وأدبروا   يطـأون كل حنينـة مرنان
يغشاهم مطر السحاب مفصـلا   بمهند ومثقف وسـنان
يامن يقتـل من اراد بسيفه   اصبحت من قتلاك بالاحسـان
فاذا رأيتك حـاد دونك ناظرى   واذا مدحتك حار فيك لسـانى

كان لخبر وصول القوات الحمدانية الى منطقة تل بطريق ، وقع الصاعقة فى نفوس الروم وقادتهـم . فلحقوا بسيف الدولة ، والتحم الفريقان فى قتـال ، جادت أثنـاءه السماء بمطر غزير عطـل القسى عن الرماية ، مما أذهـل الروم وأفزعهم ، فطفقوا يتفرقون فى انحـاء المملكة البيزنطية ، وانسحبوا كالجرذان المذعورة الى جحورها ، مما اشـعل الحميـة والحمـاس فى نفس جيش الحمـدانيين وقائدهم سيف الدولة . « فركبوا أقفيـة الروم المندحـرة » ، حتى أوغلوا فى

---

(١) نهر ارسناس : نهر فى بلاد الروم يوصف ببرودة مائه . راجع ياقوت معجم والبلاذرى : فتوح .

(٢) يقع حصن الران على منطقة الحدود الاسلامية البيزنطية قرب ملطيـة .

(٣) ابن ظافر : الدول المنقطعة جـ ١ ص ٨ ومحمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ١٩٠ .

(٤) المتنبى : ديوانه وابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٢٨ .

أرضهم ، يسبون كل ما أحلته لهم قواعد الحرب . وكانت نتيجـة هذه الغزاة مؤلمة وشديدة الوقع فى نفوس الروم[١] .

وقد أورد الأنطاكى انبـاء هذه الموقعـة فى تاريخه حيث قال : « غزا سيف الدولة الى بطن هنزيط (خنزيت . . . . Khanzit) فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، ونزل شاطىء نهر أرسناس ، وعبر الى الجـانب الآخر فى الزواريق ، وكان يأنس بن الشمشقيق (يوحنا زيمسكس) فى تل بطريق فكبسه سيف الدولة ، فانهزم ابن الشمشقيق ، وفتح سيف الدولة تل بطريق ، وانثنى سيف الدولة قافلا الى الدرب يقـال له درب الخياطين ، وألفى الدمستق (قائد الجيش البيزنطى) وابن الشمشقيق قد أخذا الدرب وأشحناه (عبأه) بالرجـال ، فانتشب القتـال بينهـم ، واستظهر سيف الدولة عليهما ، وكان سيف الدولة قد خلف بدلوك (دلوص) أبا العشـائر الحسين بن على بن الحسن بن حمدان[٢] ، ورسم له النزول على حصن عرمدا وبنـاه . وخرج لاون البطريق بن الدمستق ، ولقيـه أبو العشـائر فأسره — أى أسر أبا العشـائر — وحمله الى القسطنطينية ومات فى الأسر »[٣] .

وفى نفس السنة (٣٤٥هـ) غزا سيف الدولة — باحدى سراياه — منطقـة سمندو ، فوجدوا فيهـا : استراتيجيوس (حاكمهـا) ابن البلنطس ، وأسروه . . « وقتل سيف الدولة ، وأحرق وأسر ثم عاد » . كمـا قصد بعد ذلك حصن زياد وحاصره واتصـل به (أى علم) أن الدمستق متوجه الى الشـام فتسرع (فاسرع) سـيف الدولة الى لقـائه ودفعـه[٤] .

وقد أورد ابن الأثير فى سرده لأحـداث عـام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) « أن سيف الدولة سار فى رجب من هذه السنة فى جيوش الى بـلاد

---

(١) الانطاكى : تاريـخ يحيى بن سعيد البطـريق ص ٧٤ — ٧٦ (٧٧٢ — ٧٧٤) .
(٢) هو احد قواد سيف الدولة ، ووالية على انطاكية آنذاك .
(٣) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٤ — ٧٦ .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ حوادث ٣٤٥هـ .

الروم ، وغزاها ، حتى بلغ خرشنة (خرسيون) وصـارخه ، وفتح عدة حصون ، وسبى ، وأحرق ، وخرب ، وأكثر القتـل فيهم ، ورجع الى أذنه (أطنه) ، فاقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس ، فخلع عليه سيف الدولة واعطاه شيئا كثيرا وعاد الى حلب ، فلمـا سمع الروم بما فعـل ، جمعـوا حشودهم وسـاروا الى ميـافارقين ، واحرقوا سوادها ، نهبوه وخربوا ، وسلبوا أهله ، ونهبوا أموالهم وعادوا »[١].

عزم الدمستق نقفور فوكاس على الانتقـام من المسلمين ، نتيجة ما ألحقته بهم هجمـات قوات الحمـدانيين فى الشـام من هزائـم وخسـائر . فجهز حملة كبيرة جعـل قيادتها الى القائد حنا زيمسكيس (ابن الشمشقيق عند العرب) الذى بدأ اغارته على اطـراف منطقـة ديار بكر . وكان زيمسكيس قـد أقسم لنقفور فوكاس انه « لن يرجع حتى يخذل سيف الدلة خذلانا مبينـا »[٢]. وقـد نوه المتنبى بهذا القسم فى قصيدة له جاء فيها[٣] :

عقبى اليمين على عقبى الوغى نـــدم
ماذا بزيديك فى اقدامك القســـم
وفى اليمين على ما أنت واعـــده
مادل انك فى الميعـــاد متهـــم
آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثـــه
فتى من الضرب تنسى عنـــده الكلم

لمـا علم سيف الدولة بنبأ حملة زيمسكيس ، زحف بقواته نحو سميســاط . وهنـاك انضم اليـه بنو نمير[٤] . مما عزز قواته ، ثم لحق بالروم ، وقـد ظنوا ان باستطاعتهم استدراجه ، لكنهـم كانوا واهمين . وقد التقى الفريقـان — الحمدانى والبيزنطى — فى عـام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) فى مكان ضـيق يسمى « درب باقسايا » ، حيث أنزل

---

(١) ابن الاثير : نفس المصدر حوادث ٣٤٥هـ .
(٢) الانطاكى : تاريخ الانطاكى (صلة اوتيخا) ص ٧٤ — ٧٦ .
(٣) المتنبى : ديوانه .
(٤) راجع ابن حزم : جمهرة انساب العرب « بنو نمير » .

بالروم هناك هزيمة فادحة ، وقتل من قواتهم نحو أربعة آلاف ، بينهم عدد من كبار قادتهم وبطارقتهم ، وكانت مغانم الحمدانيين فى هذه الموقعة وفيرة من العتاد والذخائر ، عدا النفائس الثمينة كالحلى والديباج[1].

واستمر الحمدانيون فى تعقبهم للروم ، حتى فلوا حدهم ، ومزقوهم شرق ممزق . وكانت موقعة درب بانقسايا هذه مما أثار شجن ووجد المتنبى ، حتى انه نوه بها فى قصيدته « الرأى قبل شجاعة الشجعان » ، اذ ورد فى بعض أبياتها وصفا للمعركة والاماكن التى دارت فيها ، نورد منها هذه الأبيات[2]:

فى جحفل ستر العيون غباره	فكأنما يبصرن بالآذان
يرمى بها البلد البعيد مظفر	كل البعيد له قريب دان
فكأن أرجلها بتربة منبج	يطرحن أيديها بحصن الران
حتى عبرن بأرسناس سوابحا	ينشرن فيه عمائم الفرسان

كما أشار المتنبى الى صعوبة الطريق والدروب التى سلكها سيف الدولة بقواته فى قوله[3]:

وعلى الدروب فى الرجوع غضاضة
والسير ممتنع من الامكان

والطرق ضيقة المسالك بالقنا
والكفر مجتمع على الأيمان

نظروا الى زبر الحديد كأنما
يصعدن بين مناكب العقبان

وفوارس يحيى الحمام نفوسها
فكأنما ليست من الحيوان

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ حوادث ٣٤٥هـ .

(٢) المتنبى : ديوانه .

(٣) المتنبى : ديوانه .

مازلت تضربهم دراكا فى الــــذرى
ضربا كأن السيف غيــه اثنـــــان

رفعت بك العرب العمـــــاد وصيرت
قمم الملوك مواقد النيـــــــــران

لمـــا سمع الروم بما فعلته القوات الاسلامية بقيادة سيف الدولة الحمدانى ، ساروا الى ميافارقين (مارتيروبوليس) « فأحرقوا سوادها، ونهبوه ، وخربوا ، وسبوا أهله ، ونهبـــوا أموالهم ، كما سيروا حملة بحرية الى طرسوس ، حيث اعملت القتـــل فى أهلها العزل ، حتى بلغ من قتلوه منهم نحـــو ألف وثمانمائة (١٨٠٠) رجـــل ، كمـــا حرقوا ما حولها »[1] • وبذلك يبدأ العد التنـــازلى لقوة الحمدانيين ومجدهم •

ذلك أن الفترة التى أعقبت ذلك ، وبخاصـــة ابتـــداء من عـــام ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ، اتسمت بظهور عـــلامات ودلائـــل الضعف ، التى بدأت تنخر فى كيـــان القـــوة والدولة الحمدانيـــة • وهى التى كانت تتحمـــل منذ قيامهـــا عبء المواجهـــة الحربية مع الروم ، فى مناطق الثغور سواء الجزرية أو الشآميـــة • وسيكون لذلك التطور أثره فى المواجهـــة فى الثغـــور الشـــامية والجـــزرية وميـــاه شرقى البحـــر المتوســـط آنذاك •

واذا كان السيف هو فيصـــل العـــلاقات بين القوى الاسلامية من ناحيـــة والدولة البيزنطية من ناحيـــة أخـــرى فى بـــلاد الشرق الاســـلامى — (الشـــام والجزيرة وأرمينيـــة) — فان الأمـــر اختلف فى النطـــاق الغربى للعـــالم الاســـلامى • اذ • • • • استقبل الحـــاكم الأموى فى بـــلاطه بقرطبـــة (فى الاندلس) سفارة بيزنطية منذ عـــام ٣٣٦هـ (٩٤٧م) ، للعمـــل على موادعتـــه على حـــد قول المقرى[2] • وذلك لأن الامبراطور البيزنطى — وقتذاك — قسطنطين

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ حوادث ٣٤٥هـ .

(٢) المقرى : نفخ الطيب ١/٢٦٤ ومابعدها .

السابع بورفيروجنتس (٩١٣ — ٩٥٩م)[1] ، كان يخشى من نوايا الفاطميين ببلاد المغرب ، الذين سبق لهم التحالف مع البلغار ضد الأمبراطورية البيزنطية فى عهد رومانوس ليكابينوس[2].

على أى حال ، لقد شهدت الفترة فيما بين سنتى ٣٤٥هـ و ٣٤٨هـ (٩٥٧ — ٩٦٠م) نشاط بيزنطيا مركزا ، على جهة المواجهة ضد المسلمين ببلاد الشام واقليم الجزيرة . اذ سار الروم فى شهر ربيع الأول ٣٤٥هـ فى حملة قصدت « حصن الحدث » ، حيث فتحوه صلحا . ثم انصرفوا من توهم الى مدينة حلب لفتحها . وفى سنة ٣٤٧هـ سارت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا زيمسكيس (الشمشقيق) الى مدن آمد Amida ، وأرزن Arzen وميافارقين (مارتيروبوليس) ، ونصيبين ، ونزلوا على حصن يسمى « الحصن اليمانى » من أعمال آمد[3].

ولما علم سيف الدولة بهجوم الروم على هذه المناطق ، سير غلامه « نجا الكاسكى » على رأس جيش قوامه نحو عشرة آلاف مقاتل . والتقى الجمعان فى معركة ضارية ، انتهت بهزيمة القوات الحمدانية ، ومقتل نحو خمسة آلاف منهم ، وأسر ثلاثة آلاف تقريبا ، كما استولى الروم على جميع سواد نجا الكاسكى غلام سيف الدولة[4] . وقد واصل الروم زحفهم بقيادة يوحنا زيمسكيس ، الذى رافقه باسيل الباركمومنس Basil Le Perakmaumène حيث نزلا بقواتهما على سميساط Samosata وفتحاها ، ثم سارا عنها الى رحبان (أورعبان Ràbân) فحاصراها فى شعبان / رمضان ٣٤٧هـ (اكتوبر / نوفمبر ٩٥٨م)[5].

---

(١) اشترك هذا الامبراطور فى الحكم مع رومانوس ليكابينوس فيما بين سنتى ٩١٩ — ٩٤٩م . ثم انفرد بالحكم بعد ذلك حتى ٩٥٩م راجع : بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٣٥ (ثبت الاباطرة البيزنطيين) .

(٢) بورفيروجنتس : المرجع السابق ص ٣١ .

(٣) Grousset; R. :Hist. de la Armenie, P. 476 - 477.

(٤) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٧٤ — ٧٧٥ .

(٥) Grousst : Hist. de la L'Armenie, P. 477.

هكذا نرى الجـانب البيزنطى يحرز جولات ينتصر فيهـا على القوات الحمدانية فى فترة ضعف القوى الاسـلامية ، وذلك بفضـل ثلاثة من أبرع قادة الروم وهم : ليوفوقاس ، وباسيل باراكمومنس ، ويوحنا زيمسكيس (الأرمنى الأصـل) . فيتقدم الزحف البيزنطى نحو آمد ، وأرزن ، ونصيبين ، وميافارقين . غير أن هذه الحمـلات البيزنطية لم تتعد كونها اغارات سريعة مضـادة ، قام بهـا الروم كرد فعـل للنشـاط الاسـلامى ، الذى كان قـد سـجل الكثير من الانتصـارات على الروم فى جولات سابقة واماكن مختلفة .

والدليل على ان هذه الحمـلات البيزنطية كانت بمثابة غارات خاطفة ان المدن الأربعة المذكورة — آمد ، أرزن ، نصيبين ، وميافارقين — استمرت — بعد انسحاب الروم منها — تحت سيادة الامارة الحمدانية وسلطة الامير الحمـدانى ، المتمركز فى حلب . أما عن النصر الذى أحرزه زيمسكيس على سيف الدولة وقواته فى رعبان (رحبان) ، فكان من نتائجه الاساسية ضمان الروم السيطرة التامة على سميساط[١] .

والحق ان الروم أوقعوا بقوات سيف الدولة فى معركة رحبـان (شعبان / رمضـان ٣٤٧هـ) هزيمـة كبرى . اذ قتـل من القوات الحمدانية الكثير ، كان منهـم عدد ليس بالقليل ، من اصحاب وغلمان سـيف الدولة ، ممـا يند عن الحصر ، هذا فضـلا عمن سيق أسيرا (وعددهم نحو ألف وسبعمائة) الى شـوارع القسـطنطينية ، حيث طيف بهم فى شوارعها وهم يركبون خيولهم ومعهم اسلحتهم[٢] .

تشجع الروم بما احرزوه من انتصارات على القوات الحمدانية ، فاندفعوا يزحفون فى نفس سنة ٣٤٧هـ على مدينـة قورس[٣] ، حيث أسروا عددا من أهلها ، استخلصهم سيف الدولة فيما بعد . وفى السنة التاليـة يموت امبراطور الروم قسـطنطين بن ليو (بورفيروجنتس) (فى اكتوبر ٩٥٩م / شعبان ٣٤٨هـ) ، بعد حكم دام زهاء ٤٨ عاما ،

---

(١) Grousset : Ibid. P. 477 - 478.

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ٧٧٥ — ٧٧٦ .

(٣) مدينة قورس : تقع بين تل عفرين وكلس . راجع الانطاكى : تاريخه ص ٧٧٥ — ٧٧٦ .

بزغ خلالها نجم كل من ليوين برداس فوكاس ، ونقفور فوكاس ، بحيث صار للأول حكم شرق الدولة البيزنطية . والثانى غربها[١] .
والحق ان قسطنطين بورفيروجنس — الامبراطور ومؤلف كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية — مات فى وقت أصبحت فيه منطقة الفرات من جديد قاعدة للعمليات البزنطية ، وصارت منطقة دجلة هدفا للغارات والجحافل البيزنطية فيما بعد[٢] .

وفى مستهل شوال عام ٣٤٨هـ ، سار الروم الى طرسوس ، حيث فتحوا حصن الهارونية . كما سارت فرقة منهم الى ناحية ديار بكر فى نفس العام . فلما علم بذلك سيف الدولة سار من حلب الى هناك ، فرحل الروم الى ناحية الشام ، بعد أن قتلوا عددا من أهله ، وخربوا حصونا كثيرة ، كما أسر محمد بن ناصر الدولة الحمدانى[٣] . كما حشد الروم قواتهم بقيادة ليوفوقاس ، حيث استولوا على مدينة الحدث ، ودخوا حصونها .

وفى نفس العام ٣٤٨هـ (٩٥٩م) نجح الروم فى السيطرة على مدينة مرعش[٤] .

ومن ناحية أخرى شجعت هذه الانتصارات البرية حكام الامبراطورية البيزنطية على نقل ميدان صراعهم ضد المسلمين ، الى الحوض الشرقى للبحر المتوسط فى جزيرة كريت (اقريطش) حيث انقض الأسطول البيزنطى فى عام ٣٤٩ هـ على الجزيرة[٥] ، محاولا أخذها من المسلمين ، وهو ما لم ينجح فيه الا مستهل عام ٣٥٠هـ بسبب انشغال القوى الاسلامية المعاصرة — كالفاطمية فى المغرب والاخشيدية فى مصر — فى مشاكلها الاقليمية الخاصة ، فضلا عن تردى أوضاع الخلافة العباسية آنذاك[٦] .

---

(١) الانطاكى : نفس المصدر ص ٧٧٦ .
(٢) Grousset : Hist. de L'aramenie., P. 477.
(٣) الانطاكى : نفس المصدر ص ٧٧٥ — ٧٧٦ والهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٧٤ .
(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٢٠ ، وبورفيروجنتس ص ٢٩ .
(٥) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩
(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٤٧ وصابر دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ص ١٣٤ — ١٤٠ .

هكذا اصبحت منـــاطق الثغور الاسلامية ــ البيزنطية فى مستهل عام ٣٤٩هـ (٩٦٠م) تحوى مدنا حدودية (ثغريه) ، تمتد من الشمال الى الجنوب ، صـــارت خاضعة السيطرة والســـلطه البيزنطية مثل : سميساط ، بهســـنى ، وكوكوسوز (جوكوسن Goksun) وجمانة ، وبودانـدوس (بوزانتى Podandos) وروما نوبوليس Romonopolis وكركارون (جرجر)[1] .

وبهـــذه الانتصـــارات التى أحرزها الروم (البيزنطيون) على المســلمين ــ منتصف القرن الرابـــع الهجـــرى (منتصف العـــاشر الميــــلادى) ــ فى المنـــاطق الثغرية باقليم الجزيرة (ما بين النهرين أو منطقـــة الميزوبوتوميا) وبـــلاد الشـــام ، تكون الحدود البيزنطية قد اقتربت أو قل تاخمت الولايات الأرمينية المستقلة . وهذا الوضع الجديد ستترتب عليـــه مشـــكلة كبرى سماها جروسية Grousset « مشـــكلة الايام القادمة » وهى : هـــل تساعد الممالك الأرمينيـــة الدولة البيزنطية فى حربهـــا ضد المسلمين ؟ أم تعرقل تقدم قواتهـــا ونشـــاطها بعـــد أن زاحمت الســـيادة البيزنطيـــة تلك الممـــالك فى عقر دارهـــا ؟[2] .

٣ ــ المرحلة الثالثـــة : محـــاولات نقفور فوقاس انهـــاء الجـــود الاسلامى من مناطق الثغور الاسلامية (٣٤٩ ــ ٣٥٦هـ/ ٩٦٠ ــ ٩٦٧م) :

علم سيف الدولة ، فى مستهل عـــام ٣٤٩هـ ، أن الروم يخططون لايقـــلاع الثغور الاســـلامية ، وانهم حوموا حولهـــا متعدين حدود طرسوس والرها (ادســـا Edessa) وقتلوا وســـبوا دون أن يلقوا مقاومة تذكر . فأعد سيف الدولة عدته ، وجيش غواته ؛ وأعلن الجهاد لدحر اعداء الاســـلام ، ولينتقم لمـــا انتهكو من حرمات المسلمين .

وســـار سيف الدولة فى نفس العـــام (٣٤٩هـ) الى خرسيون

---

(١) Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 477.

(٢) Grousset : Ibid., P. 478.

(خرشنة)[١] ، عازما على ضرب الروم فى عقر دارهم وقلب حدودهم ، وليحول بينهم وبين التوغل فى البلاد الاسلامية . خاصة وان مطامعهم كانت تهدف الى احتلال حلب ، واخذ بلاد الشام من المسلمين ، وهو ما اتضح من تحركاتهم .

وقد أخذ سيف الدولة — وهو فى طريقه الى خرشنة سنة ٣٤٩هـ عددا من الحصون البيزنطية ، مما أجبر الروم على الانسحاب أمامه ، محاولين استدراجه الى هوة سحيقة . وقد ابتلع سيف الدولة وجنوده الطعم ، فى المنطقة بين البستين والحدث ، « حيث قطعوا الاشجار وسدوا بها الطرق ، ودهدهوا الصخور فى المضايق (أى القوها) على جيشه ، والروم مع الدمستق وراء الناس يقتلون ويأسرون[٢] .

اندلع القتال بين الجانبين — الحمدانى والبيزنطى — ودارت المعركة ، فاستبسل سيف الدولة وجنوده . لكن النصر جانب القوات الحمدانية ، حيث انتصر الروم عليهم وراح من جند سيف الدولة (وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا) عدد كبير جدا ، بحيث لم يبق سوى عدد لا يزيد على الثلثمائة ، زادوا عن سيف الدولة واستبسلوا زودا عنه ، حتى انقذوه بعد جهد جهيد . وقد عرفت هذه الغزوة باسم « غزوة المصيبة » ، نسبة للنتيجة المؤلمة التى انتهت بها على الحمدانيين وقواتهم . مثلما حدث وفى نفس المكان منذ عشر سنوات (٣٣٩هـ فى جمادى الآخرة) وهى منطقة درب الجوازات[٣] .

---

(١) ورد اسم خرسيون (خرسنة أو خرشنة) مرارا فى اشعار كل من المتنبى وأبى فراس الحمدانى ، الذى بقى أسيرا حيث خاطب خرسنة بقوله :
ان زرت خرسنة أسيرا فلكم حللت بها أميرا (وفى رواية مغيرا)
وهى — كما اوضحنا قبل — بلدة ثغرية قريبة من ملطية ، وهى ثغر رومى راجع ياقوت : معجم البلدان **مادة خرسنة** .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ١٩٠ .

(٣) راجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩ — ٣٠ وابن العديم : زبدة الحلب ١٢١/١ وابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٨٥— ٤٨٦ (حوادث ٣٤٩هـ) وسامى الكيالى : سيف الدولة ص ٩٣ وابن الوردى : تتمة ٤٣٠/١ ، ومحمد كرد على : المصدر السابق ١٩٠/١ .

وقد أورد ابن مسكويه تصويرا دقيقا لما جرى فى « وقعة المصيبة » هذه حيث قال[١] :

« وفيها (٣٤٩هـ) غزا سيف الدولة فى جمع كثير ، فأثر فى بلدان الروم آثارا عظيمة ، وأحرق وفتح حصونا ، وحصل فى يده سبى كبير وأسارى ، وانتهى فى غزوه الى خرشنة ، فلما أراد الخروج اخذ الروم عليه المضايق (أى حاصروه) فما تهيأ له ان يتخلص الا بجهد عظيم ، هو ونحو ثلثمائة غلام ، وهلك باقى أصحابه أسرا وقتلا ، وارتجع منه السبى كله والأسارى والغنيمة ، واخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعه ، وقتل من الوجوه ، الذين كانوا معه حامد ابن النمس ، وموسى بن سبا ، والقاضى أبو حصين ، وكان معه (أى مع سيف الدولة) ثلاثين الفا ، وخرج أهل طرسوس من طريق آخر فسلموا » •

ويقال ان سبب انكسار سيف الدولة وقواته وانهزامهم فى خرشنة ٣٤٩هـ انما يرجع الى اهماله مشورة من حوله ، لأنه كان صلب الرأى — أو كما يذكر ابن مسكوية — « كان هذا الرجل معجبا برأيه ، يحب أن يستبد به ، وألا تتحدث نفسان أنه عمل برأى غيره » • وكان اشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج معهم ، لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذى يريد الخروج منه • وشحنوه بالرجال فلم يقبل (سيف الدولة) منهم ولج (أصر على رأيه) فأصيب المسلمون بأرواحهم ، وأصيب هو بماله وسواده وغلمانه[٢] •

لكن ألا يمكن أن نستنتج من عدم اذعان سيف الدولة لرأى ومشورة الطرسوسيين ، سببا آخر غير الاستبداد بالرأى • كأن يكون عز على سيف الدولة أن يسجل التاريخ عليه أنه لم يستطع مواجهة الروم ، حين أخذوا عليه الدروب ، وأنه سلك طريقا آخر هربا منهم •

---

(١) ابن مسكويه : المصدر نفسه ١٨١/٢ وراجع ايضا محمد كرد على : الخطط ١٩٠/١ •

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٨١/٢ (٢٣٩/٢٤٠ الأصل) حوادث ٣٤٩ هـ •

وان كان ذلك فى الحرب لا يعـــد هربا أو تجابنا ، بقدر ما كان سينظر اليه على أنه تحـــرف وخداع ، وهو ما حض الاسلام عليـــه فيما ورد من قول الله عز وجـــل « ومن يولهم يومئذ دبره ، الا متحرفا لقتـــال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله « . . الآية » .

واذا كانت كبرياء وأنفة سيف الدولة قد أوردته فى بعض المواقف موارد الهلكة ، فقد كانت من ناحية أخرى وفى مواقف كثيرة ، من أهم عوامل ثباته وصموده امام هجمـــات القوات البيزنطية المتـــلاحقة فى مواقع عدة كان النصر حليف سيف الدولة فى الكثير منها .

وقد أشـــار المؤرخ الفرنسى بول بورين فى كتابه تاريـــخ حلب « ماضيها وحاضرها » الى هذه المعركة فقـــال[١] : « وفى سنة ٩٦٠م (٣٤٩هـ) انهزم سيف الدولة شر هزيمة أمام العدو ، وعاد الى حلب برفقة ثلثمائة فارس فقط وقد أسر البيزنطيون عددا من رجاله ، منهم أبو العشائر أحد أقرباء الأمير ، الذى مات فى القسطنطينية والشـــاعر المشهور أبو فراس[٢] ، ومن جملة القتلى كان أبو حصين الرقى قاضى حلب ، وقد كان الأسرى الحلبيون عديدين » .

على أن المؤرخ الفرنسى بول بورين اختلف فى روايتـــه عن أبى فراس ، عما اوردته المصـــادر العربية ، التى تذكر أن أبا فراس أسر سنة ٣٥١هـ . بينما يذكر هو والروايات الاجنبيـــة انه أسر سنة ٣٤٨ . والراجح أن أبا فراس أسر مرتين احداهما ٣٤٨هـ ، والأخرى ٣٥١هـ حيث أسر من منبج كما يذكر ابن مسكويه[٣] ، ومما يرجح هـــذا القول

---

(١) Paul, Bourain : Alep, Autrefois et aujourd hui

(٢) أسر الروم أبا فراس بن أبى العلاء بن حمدان — ابن عم سيف الدولة — بعد اصابته بجرح فى معركة خرشنة ٣٤٩ هـ . وبقى النصل الذى اصابه فى فخذه . ثم نقل الروم الأسرى ومنهم أبا فراس — الى عاصمتهم ، حيث مكث بها اسيرا مدة ، لتعذر الافتداء وقتذاك . وقد حاول الفرار سنة ٣٥١هـ . واستمر اسيرا حتى أطلق مفتديا من سيف الدولة سنة ٣٥٥هـ . وكان أبو فراس يصدر اشعاره فى الأسر ، والمرض ، واكرام سيف الدولة له ، وفرط الحنين للأهل والأحبة ، والتبرم من حياته وحاله . مما يصدر عن صدر مكلوم ، وقلب مصدوع . فينساب شعره رقيقا يبكى من يسمعه لرقته وسلاسته . راجع : الثعالبى : يتيمة الدهر والكيالى : ص ١٤١ — ١٤٥

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٩٢/٢ (الأصل ٢٥٤) .

أن أبا فراس كان قد أرسل — وهو فى الأسر — قصائد الى حصين الرقى قاضى حلب ، الذى كانت فى موقعة خرشنة ٣٤٩هـ كما أوردت الروايات . وهذا معناه أن أبا فراس أسر قبل معركة خرشنة سنة سنة ٣٤٩هـ ، يعنى سنة ٣٤٨هـ غالبا . على ان المتفق عليه أن النصر لم يؤات سيف الدولة فى هذه الغزاة ، وانه عاد لحلب ليفكر فى الثأر من عدوه .

لكن القوات الحمدانية ، التى تجرعت مرارة الهزيمة فى ٣٤٩هـ فى موقعة خرسيون (خرشنة) ، أمكنها الفوز — فى نفس السنة — عقب موقعة خرسيون سنة ٣٤٩هـ . اذ سار « نجا الكاسكى » — غلام سيف الدولة — فى جيش كثيف ، ليثأر لهزيمة المسلمين فى خرشنة . فنزل على حصن ذى القرنين وحاصر أهله ، وواماه ميخائيل بطريق هنزيط وطرنيق (ديرنيك) وغيرهم فى جمع عظيم ، قيل انهم كانوا عشرة امثال قوات المسلمين التى مع نجا . والتحم الفريقان فى معركة ، صرع فيها نجا بقواته كثيرا من الروم وبطارقتهم ، وهزم باقيهم ، ففروا مذعورين ، وأكثر فيهم نجا قتلا وأسرا ، وكان بين من أسر طرنيق (ديرنيك) وغيره ، وتعقبهم نجا وقواته بسيوفهم حتى ضاق بكثير منهم المقام ، فألقوا بأنفسهم من فوق جبل عال ، بينما طلب آخرون الأمان فلم يؤمنهم نجا[1] . فكانت هذه الموقعة بمثابة رد فعل اسلامى قوى وعنيف على الروم ، لما فعلوه بالمسلمين فى خرشنة سنة ٣٤٩هـ وغيرها قبل ذلك .

ساد الهدوء النسبى جبهة الثغور الاسلامية — البيزنطية فى الشام ، بعد معركة خرشنة الثانية ٣٤٩هـ (٩٦٠م) وهزيمة الروم على يد نجا وقواته . واستمر هذا الهدوء مدة تزيد على العام ، أمضاها الفريقان (الاسلامى) الحمدانى ، والبيزنطى (المسيحى) ، فى الاعداد لمعركة أخرى حاسمة . وقد كان سيف الدولة يدرك تماما أن الاعداء يتأهبون للقضاء عليه وعلى دولته — كما يذكر بول بورين — دفعة واحدة[2] .

---

(١) ابن ظافر : اخبار الدولة المنقطعة جـ ١ ص ٨—٩ .

(٢) راجع — عن سامى الكيالى : سيف الدولة — كتاب

Paul, Bourain : Ibid.,

ذلك أن ماكان يهدف اليه نقفور من ذلك كله ، هو ازاحة الوجود الاسلامى الخطر — حسب تصوره — عن كيليكيا وسورية وفلسطين والعراق • وأن يمد حدود المملكة البيزنطية حتى الدجلة ورمال الجزيرة العربية • وكان أول ما فطن اليه نقفور هو ضرورة اخذ كيليكيا ، وجعلها مقرا لقيادته ، ليكون على مقربة من مسرح المعارك • ولتكون بمثابة المفتاح الذى بسيطر منه على منطقة آسيا الجنوبية من جهة الشمال ، وسورية من جهة الجنوب • وكانت منطقة مضايق الأمانوس وطوروس وكيليكيا آنذاك وحتى سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م) فى حوزة سيف الدولة أمير حلب •

فهل استطاع نقفور بكل ما فعل أن يحقق ما كان يرنوا اليه ويهدف ، وان يثأر لدماء قتلاه على ايدى وسيوف الحمدانيين فى أراضى كيليكيا ومضايق الطوروس ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه •

محاولة نقفور الانتقام من سيف الدولة :

مرت سنة ٣٥٠هـ دون قتال ، فيما عدا بعض مناوشات بسيطة جرت بين البيزنطيين وجماعات العرب من ساكنى طرسوس ، وقد يكون للطبيعة أثرها القوى فى وقف القتال • ذلك أن المؤرخين يتحدثون عن اشتداد البرد اشتدادا عظيما كان من نتيجته هطول الثلوج كثيرا ، وتجمد نهر الفرات ، الأمر الذى تعذر معه القتال • لكن ما أن حل فصل ربيع عام ٣٥١هـ ، حتى زحف الروم على مدينة « عين زربة » (عين زربى) — وهى من مدن الثغور — فى وقت لم يكن سيف الدولة قد اتم استعداده بعد للقائهم وكان البيزنطيون يعلمون ذلك فقرروا أن يباغتوه بالهجوم[1] •

وقد جهز نقفور فوكاس Nicephore Phocas جيشا عظيما تراوح تعداده ما بين ١٦٠ ألف ، ٢٠٠ ألف مقاتل ، ممثلا لاكبر حشد بيزنطى فى تاريخ الحروب البيزنطية الاسلامية • ولعل هذا الجيش اللجب ، يدلنا دلالة قاطعة على مدى ما أحدثته معارك سيف الدولة

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٠٧ •

فى نفوس البيزنطيين من مخاوف وقلق . إضف الى ذلك أن نقفور فوكاس زود جيشه الكثيف بما يحتاجه من عتاد وذخيرة ، وحاملات جنود ، وراجمات . فضلا عن الصناع والعمال فى مختلف المهن ، لتذليل أية صعوبة فنية ، قد تعترض طريق الجيش فى زحفه على الثغور الاسلامية . فكان هناك نحو « ثلاثين ألف صانع للهدم وتطريق الثلوج — أى ازاحتها — وأربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد ، يحيط به معسكر قواته ليلا (وهو ما يشبه الاسلاك الشائكة) ودبابات وناريونانية[1] ، كان فعلها فى الحروب وقتذاك عظيما ، كفعل وتأثير القنبلة الذرية أو الهدروجينية فى عصرنا الحديث ، من حيث قوتها التدميرية فى هدم المدن وحصد الأنفس .

بهذا الجيش الجرار اللجب انقض نقفور فوكاس على عين زربة[2] Anazarbe الواقعة فى سفح الجبل — فحاصرها من كل جانب ، وقاتلت قواته اهلها الذين استبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم ما وسعهم الجهد ، حتى آخر قطرة دم فى كل منهم . ولم يكن أمامهم فى النهاية سوى الاستسلام ، بسبب عدم تكافؤ القوى ، وحفاظا على ما بقى فى المدينة من أثر للحياة ، وحماية لها من أن تحرق أو تدمر .

وقد وصف لنا ابن مسكويه[3] هذه الواقعة (وقعة عين زربة) سنة ٣٥١هـ ، فيقول : « وفيها — أى فى سنة ٣٥١هـ — ورد الروم عين زربة فى مائة وستين الف ، وهى فى سفح جبل ، والجبل مطل عليها ، فلما جاء الدمستق (نقفور فوكاس) فى هذا الجمع

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٣ .

(٢) كانت من مدن الثغور الشمالية الهامة ، وقد حصنها المسلمون كثيرا ، وأنفق عليها سيف الدولة نحو ثلاثة ملايين درهم لتعميرها وتقويتها راجع :

Grousset, R. : Hist. de L'Armenie, P. 489.

(٣) أبو على أحمد بن محمد (المعروف بابن مسكويه) : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٠ — ١٩١ . وراجع أيضا : ابن الوردى : تتمة ٤٣٢/١ .

العظيم ، أنفذ قطعة من جيشه الى الجبل ، ونزل هو على بابها ، فملك جيشه الجبل . فلما رأى أهل عين زربة أن الجبل قد ملك عليهم ، وان جيشا آخر ورد الى باب المدينة ، وأن مع الدمستق دبابات كثيرة ، وأنه قد اخذ فى ثقب السور ، طلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، وفتحوا له باب المدينة قد خلها ، فوجد الذين فى الجبل قد نزلوا الى المدينة ، فندم على اعطائهم الامان . فنادى فى البلد من أول الليل بأن يخرج جميع أهله الى المسجد الجامع ، وأن من تأخر فى منزله قتل ، فخرج من أمكنه الخروج ، فلما أصبح أنفذ رجاله فى المدينة وكانوا ستين ألفا ، من وجدوه فى منزله قتلوه . فقتلوا عالما من الرجال والنساء والصبيان والأطفال ، وأمر بجمع ما فى البلد من السلاح ، فجمع منه أمر عظيم وكان فى جملته أربعون ألف رمح ، وقطع ما فى البلد من النخل ، فقطع نحو خمسين ألف نخلة ، ونادى فيمن حصل فى المسجد الجامع من الناس بأن يخرجوا عن البلد الى حيث شاءوا ، وأن من أمسى ولم يخرج قتل ، فخرج الناس مبادرين وتزاحموا ، فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ، ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يدرون أين يتوجهوا . فماتوا فى الطرقات ، ومن وجد فى المدينة آخر النهار قتل ، وأخذ ما خلفه الناس من أمتعتهم وأموالهم، وهدم السوران اللذان على المدينة ، وهدمت المنازل ، وبقى الدمستق مقيما فى بلدان الاسلام واحدا وعشرين يوما ، وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالأمان . وكان من هذه الحصون التى فتحت بالأمان حصن « أمر أهله بالخروج منه ، فخرجوا فتعرض بعض الأرمن للنساء اللواتى خرجن منه . فلحق رجالهن غيرة عليهن ، فجردوا سيوفهم ، فاغتاظ الدمستق منهم ، وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعمائة رجل ، وقتل النساء والصبيان ، ولم يبق الا جارية حدثه ، أو من يصلح أن يسترق »[1] .

فاذا كانت الحصون التى فتحت بالأمان قد تعرضت لهذه القطائع

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٣٢ .

والاهوال فما بال تلك التى فتحت بالسيف وتعرضت للهدم والتدمير .

لقـد استطاع الروم فى هـذه المعركة (معركة عين زربة) أن ينتقموا لمـا وقع بهم قبـل ذلك على سيد سـيف الدولة . لكنهم فى الواقع لم يتمكنوا من اشفاء غليلهم ورى ظمأ حقدهم وغضبهم من دم الأمير سيف الدولة ، بل فقط من تلك البلدة الآمنة ، القوية برجالها ، الغنيـة بخيراتها . فكانت النسـاء والرجـال وأشـجار النخيـل طعمـة لشهوة الثأر والانتقـام ، التى تأججت نيرانهـا فى نفوس الروم بفعـل نكايات حروب سيف الدولة فيهم .

ولا شك أن أخبـار هـذه المعركة ، وما وقع لأهـل عين زربة والحصون الخمسين التى حولها ، وما حدث لهـا من تدمير ونكـال على يد نقفور اللعين وقواته الباغية ، قد بلغ مسامع الامير الحمدانى سيف الدولة وآلمه أشد الالم ، وحفزه للانتقـام لمـا راح من شهداء المسلمين وضحاياهم من النسـاء والعجزة والأطفـال[1] . بدليل اننا نراه يجمع ما استطاع جمعـه من وحدات جيشه بجهد جهيد ، باذلا الكثير من المنح والعطـايا لتشجيع الرجـال على التطوع للبذل والفداء . ولكن ترى هل خمدت فى النفوس جذوة الاقبال على الجهاد فى اعداء الله صونا لديار الاسلام ودين الله على هذه الأرض ؟

ومما لا ريب فيـه أيضـا ، أن هزيمة سيف الدولة فى خرشنة سنة ٣٤٩هـ ، ونجاته بأعجوبة بعد ضياع جيشـه كله (٣٠,٠٠٠ ألف جندى) ، ثم دخول البيزنطيين عين زربة سـنة ٣٥١هـ ، واقتحامهم الثغور بجيشهم الكثيف ، كل هـذه الاحداث لابد ان تكون قد بثت بعض الوهن والخوف أو الذعر فى نفوس قوات الحمدانيين[2].

---

(١) ابن الوردى: نفس المصدر ٤٣٢/١ وقد أورد ابن الأثير تفاصيل غدر نقفور بأهالى البلد وقتل الكثير من الرجال والنساء والصبية والأطفال راجع ابن الأثير : الكامل حوادث ٣٥١هـ .

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٠٩ — ١١٠

الزحف البيزنطى صوب حلب :

من المعلوم ان الحرب سعير وبركان فوار مدمر ، لا نتيجة لها الا الدمار والخراب ، وهدم الأنفس . فهل يجازف سيف الدولة بقواته القليلة التى جمعها فى وقت اخذت فيه اراجيف المرجفين والمثبطين تعمل عملها . هذا وعرين الاسلام يتهدده الخطر الماحق الحالق ، والامر جد خطير ، لا مجال فيه لسفسطات ، أو فلسفات . وليس هناك مندوحه ولا مجال للانقاذ الا عن طريق الجهاد والاستبسال فى ساحة الوغى ، وهو أفضل كثيرا جدا من حياة غموسها الذل والهوان ، وشرابها مرير مرارة الذل والانكسار . اذ ما قيمة حياة سلبت منها الكرامة ، وديست فيها الاعراض ، وانتهكت الحرمات ؟ وما قيمة حياة سلب منها نور الحياة بسلب كرامتها ؟ وهل هناك طريق آخر غير بذل المهج والارواح قربانا وفداءا للدين والعرين ؟

فها هى عين زربة صارت فى قبضة نقفور اللعين ، ترزح تحت نيره واغلاله وتئن من وطأة بطشه الغاشم هو وبنى جلدته . وها هو نقفور يعلن — خداعا منه ومكرا — انه سيعود للقتال بعد الفطر ، وانه سيخلف فى قيسارية جيشه[1] . اذ ليس من المعقول — وهو يعلم تمام العلم ما فعله ببلاد الاسلام وأهله — أن يطمئن أو يركن الى هدنة أو مسالمة ، يسلم فيها خصمه (المسلمين) فرصة ذهبية . وهو أى نقفور — قد أعد حملة — كبيرة للقضاء على سيف الدولة نهائيا ، وأخذ الشام كله — لو تمكن — وضمه الى القبضة البيزنطية[2] .

ويورد الأستاذ سامى الكيالى — فى كتابه سيف الدولة وعصر الحمدانيين فقرة مما كتبه بول بورين Bauren, Paul — فى كتابه « حلب » ماضيها وحاضرها « — يصف فيها الفترة التى اعقبت موقعه

(١) راجع ابن مسكوية : تجارب الامم ٢/١٩١ .

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٠ — ١١١ .

عين زربة سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) بأنها فترة استرخاء واستراحة » . فيقول بورين « بعـد أن رسـم نقفور فوكاس منذ ٩٦٢م (٣٥١هـ) خططه الحربية بأكملها ، انقض على كيليكيا كالصاعقة وفى برهة ٢٢ يوما ، استولى على خمسة وأربعين حصنا وبلدا »[1] ، فوقع العـدو فى ارتبـاك عظيم . أما نقفـور فانه استغـل حيرة العـدو ، وذهب يستريح فى قيسـارية . وفى خريف السـنة نفسها (٩٦٢م/٣٥١هـ) اجتـاز جبـال طوروس ثانية ومعـه جيش من مائتى ألف محـارب، قاصدا حلب . وبعد أن استولى على كيليكيا ، اجتاز جبـال الأمانوس فى أواخر تشرين الثانى ، ولم يستطع سـيف الدولة أن يدافـع عن مضايق الأمانوس لأنه أخذ على حين غرة .

هكـذا أصبح الروم على مشـارف حلب ، فلمـا علـم بذلك سيف الدولة ، نادى بالجهاد بين جنده ورجاله ، لدفع الخطر الداهم . هذا فى الوقت الذى كان فيـه الروم قد وصلوا الى « اعزاز » ، ولم يعد مناص من الالتحام فى القتال وجها لوجهه . وأصبح سيف الدولة الآن امام نحو ثمانين ألف جندى رومى (بيزنطى) وليس معـه سوى أربعـة آلاف مقـاتل هم كل من كان معـه وقتذاك . فهـل تتحقق المعجزة البدرية مرة أخرى ، وينجز الله وعده بنصر هذه الفئة القليلة المعتدى على عرينها وحرماتها ، كمـا نصر إسلامهم فى بدر ، على تلك الفئة الباغية المتباهية بكثرتها وكثافتها وعدتها ، واكن هـل النفوس والقلوب فى القرن الرابع الهجـرى هى نفسها نفوس وقلوب أهـل معركة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة .

بهذا الايمان القوى الآمل فى نصر الله ، والمؤمن بعدالة القضية ، وسلامة القصد والهدف ، اندفع سيف الدولة بقواته فى مدافعـة الروم « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ، وقاتل سيف الدولة بقواته ببسالة نادرة ، حتى قتـل أكثر من كان معـه ، وارتد هو الى

---

(١) تذكر الروايات العربية : انها اربعة وخمسون حصنا وليست خمسا واربعون ولا نعلم ما اذا كان هذا من تحريف الاقلام وتصحيفها ، خاصة ان الرقمين متقاربان الى حد كبير .

حلب ، وخيم بظاهرها ، يفكر كيف الخروج من هذا الوضــع الحرج فى مواجهة الروم[١] •

فى هذا الوقت ، كان الروم قد أوغلوا فى البلاد الاسلامية ، وقد جهز سيف الدولة فتــاه « نجــا الكاسكى » فى ثلاثة آلاف ، ثم لحقه • وعلم فى الطريق ان الروم فى تل جبرين ، وانهم أوشكوا على مداهمة حلب الشهباء • فعاد سيف الدولة الى لؤلؤته (حلب) ونادى فى الناس للجهــاد ، ووزع مافى الخزائن من ســلاح وعتاد • واندلع القتــال بين الجانبين (الاســلامى والبيزنطى) ودارت معركة غير متكافئة ، تطــايرت فيهــا الرؤوس ، وتناثرت الاشــلاء ، وصــارت الدماء تجرى فى الشوارع أنهــارا • ولم ينج ســيف الدولة الا بصعــوبة بالغة ، حيث اتجه الى بالس ــ الرقة[٢] • فطــارده ابن الشمشقيق (يوحنا زيمسكيس) فى عشرين الف فارس رومى ، لكنــه لم يتمكن من القبض على سيف الدولة مما حز فى نفسه كثيرا ، وأدخل الحسرة فى نفس نقفور اللعين[٣] •

وقد ذكر شلومبرجر[٤] كيف كان سيف الدولة عظيما فى انكساره كعظمته فى انتصــاره ، وأن « امبراطورية البيزنطيين العظيمة هذه ، التى ملكت العــالم القديم ، كانت تخــافه منتصرا وتجله (تحترمه) منكسرا » • « ففى ســنة ٩٦٢م (٣٥١هـ) قامت على أبــواب حلب معركة بين الجيش البيزنطى ، والجيش الذى يقوده ســيف الدولة الامير » • أما كيف كان القتــال فى هذه الملحمة ، فلا يستطيع وصفه غير الذى شهد المعركة ، وأطل على ساحتها وميدانها « ومع ذلك يصف لنا المــؤرخ المذكور كيف كان الامير (ســيف الدولة) يثير حماســة الامبراطور ، ويلهب شــعوره ، حتى اضــطر قيصر البيزنطيين الى مصــارحة قواده ، لا أريده قتيــلا ، بل أريده أسيرا • فأيكم كانت

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١١ ــ ١١٢ •
(٢) بين حلب والرقة على الضفة الغربية لنهر الفرات •
(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٢ •
(٤) شلومبرجر : حلب تنانس بيزنطة (نقلا عن سامى الكيالى : المرجع السابق ص ١١٣) •

له القدرة على أسر منتحث مقاطعة كاملة » • وهذا لعمرى فيه الكفاية لبيان ما أحدثته حملات سيف الدولة من وقع مؤلم فى نفوس الروم أمبراطورا وقادة وجنودا •

نقفور يدخل حلب :

ترك سيف الدولة حلب ، ففقدت المدينة بخروجه منها بعض آمالها الكبار ، مما جعلها تشعر بيأس قاتل ، وحيرة ملحة ، وذهول عميق • فماذا عساها تفعل ؟ لقد تناثر فرسانها ، وتفرق جيشها ، فلم يبق فيها غير الكهول والاطفال والنسوة وبعض الحرس • فهل تستسلم المدينة لهذه القوة الباطشة لتفعل فيها ما تشاء • ؟

لقد اصبح البيزنطيون قريبين من حلب ، فحوموا حولها • أما أهلها فاعتصموا فى الداخل ، وأغلقوا الابواب ، واستعدوا للقتال بهذه الروح القوية التى ايقظها فيهم الأمير الحمدانى الهمام ، لتنقلب فى هذه اللحظات العصيبة وهجا ولهيبا ودما • ولكن هذه القوة البسيطة العزلاء من السلاح ، لن تستطيع مقاومة جيش جرار ، من ثمانين الف مقاتل ، مدججين بالسلاح والعتاد عدا المشاة ، ومع ذلك قاتلوا زودا عن حماهم[1] •

لقد أسفرت المواجهة عن استشهاد أكثر من ثلثمائة مسلم بينهم غير واحد من بنى حمدان منهم أبو طالب بن حمدان وابنه ، وداود بن على كاتب سيف الدولة ، وأبا نصر بن حسين بن حمدان • وظل البيزنطيون يحومون حول البلد (حلب) دون أن يدخلوها • ثم اتجهوا الى قصر الأمير سيف الدولة الحمدانى — ويسمى الدارين — خارج البلد ، وكان مما انبهر له نقفور فوكاس ، بسبب ما كان فيه من التحف والنفائس والزخارف والعتاد • غير ان اعجابه بالقصر وانبهاره به ، لم ينجياه من الدمير والتخريب • ومما يذكره المؤرخون ان مما نقل من القصر « أربعة ملايين درهم فضة ، آلاف من البغال ، وحصنا (جمع حصان) من نجد ، وأفراسا عربية ، وستة آلاف ذراع،٣٧٠ حملا

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة الحمدانى ص ١١٣ — ١١٤ .

ورسما فقط . وللحق فان الخليفة كان يشعر ويحس بشعور واحساس الشعب المسلم . لكنه كان مسلوب الارادة والسلطة ، لا يملك — ازاء ما سمعه من قول — الا أن يقابل كلام الناس له بكثير من المرارة تسكن فى نفسه . وكانت اجابته للرعية ناطقة بما وصلت اليه حال الخلافة والخلفاء آنذاك من الضعف والهوان ، لتسلط آل بوية على الخليفة ، واستبدادهم دونه بالسلطة ، وتسلطهم على الناس . لكن التاريخ لن يغفر لهم ذلك أبدا .

وقد حاول سيف الدولة أن يلتقى بالجيش البيزنطى سنة ٣٥١هـ بعيدا عن حلب ، لكنه أدرك أن ميزان الموقف لن يكون فى صالحه فى حالة المواجهة ، لتفوق العدو عددا وعدة . ولذلك بعث بغلامة نجا الكاسكى « على رأس جيش من ثلاثة آلاف ، ثم لحقه ، ثم عاد فوزع ما فى الخزائن من السلاح . ودار القتال بين الفريقين — وكان قتالا غير كافىء عددا ، اذ كان ثلاثة آلاف جندى للحمدانيين يقاتلون ثلاثين الف جندى رومى (بيزنطى) ، فضلا عن نجدة وافتهم قدرها أربعون ألفا آخرين كان فيهم يوحنا زميسكيس نفسه . فكانت النتيجة بطبيعة الحال ليست فى صالح المسلمين (الحمدانيين) ، الذين وقع منهم كثير من القتلى ، فضلا عمن أسر ، بينما لاذ فريق ثالث بالقلعة (قلعة حلب) فنجا بذلك . أما المدينة فقد أحكم الروم حصارها ، وحاولوا فتح ثغرة فى سورها وقد نجحوا فى ذلك ، لكن الأهالى — كما قلنا اعادوا ترميم الجزء المنثلم من السور[1] .

وكان أكثر من اعتصم بقلعة حلب من العلويين والهاشميين والوزراء ، والكتاب ، وجمهور من الأهالى ، فضلا عن فريق من المقاتلة . وقد امتنعت القلعة على الروم على الرغم مما بذله نقفور فى محاولة اقتحامها . وهكذا تبقى قلعة حلب بيد الحمدانيين ، لم تصل اليها يد الروم هذه المرة . وكان ذلك مما استاء له ابن أخت نقفور هوكاس ، الذى أصر على اقتحام القلعة . فكان فى ذلك كمن سعى الى حتفه بظلفه . اذ تناوله واحد ممن فى القلعة بطعنة رمح أردته

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١٣٤ — ١٣٥ ومحمد كرد على : خطط ١/١٩١ .

قتيــلا لتوه . فحزن نقفور لمقتله ، وانتقم له بمقتل ألف ومائتى مسلم أسير أو أكثر على مرأى ومســمع من الحلبيين ، امعــانا فى ارهابهــم والانتقــام منهم[١].

وعلى الرغــم من كل ذلك ، استعصت قلعــة حلب على نقفــور وجيوشه سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) مما جعل الوساوس والمخــاوف تنتابه ، خشية أن يتعرض بقواته لانقضاضة مباغتة من هنا أو هناك . فانسحب بعد أن أمر ســكان حلب بالعودة الى زراعة الأرض وفلاحتها ، قائلا لهم أن هذه البلد صــارت لنا (للروم) ، وأنه سيعود فى العــام المقبل ليحصــد مازرعوه[٢] . وفى ذلك يذكر ابن مسكويه[٣] : ان « نقفــور ســار الى بلد الروم (القسطنطينية) بما معــه ، ولم يعرض لسواد حلب والقرى التى حولها ، وقــال لأهلهــا : هذا البلد قد صــار لنــا فلا تقصروا فى العمــارة ، فانا بعــد قليل نعود اليكم » .

وهكذا انتهت هذه الحملة البيزنطية الكبيرة على حلب بالانسحاب فى نفس العــام (٣٥١هـ) ، دون أن تتمكن من تحقيق ما كان يعتبر هدفا رئيسيا لها ، وهو وضع حــد لهجمــات المسلمين المتوالية بقيادة سيف الدولة الحمدانى ، وضم هذه البلاد (بلاد الشــام كلية) الى دائرة الســيطرة والنفوذ البيزنطى ، الذى اندحر عنها لثلاثة قرون كاملة[٤] . وقد شاع خبر انسحاب نقفور والقوات البيزنطية الغازية ، وعلم بذلك ســيف الدولة — وكان فى قنسرين وقتذاك — فأسرع الى عاصمة ملكة دامع العين ، حزين النفس ، مصدوع القلب ، لمــا آل اليه حــال حلب الشهباء . وكان قد اعتاد دخولها دخول الظافرين ، مستقبلا بالزغاريد والأهازيج ، مشنفا أذنيه بأبيــات من الشعر يقرضها لهــا المتنبى وغيره من شعراء العصر . لكنه هــذه المرة لا يسمع الا بكــاء أو عويلا ينطلق من صدور أمهــات وزوجات ثكلى . ولا يرى الا أصداء

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الامم ١٩٣/٢ — ١٩٤ .

(٢) ســامى الكيــالى : سيف الدولة ص ١١٧ — ١١٨ ومصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١٣٦ .

(٣) ابن مسكوية : تجارب الأمم ١٩٤/٢ (حوادث ٣٥١ هـ) .

(٤) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٨ .

ومما يذكر أن الحرس نفسه — وهم بشر أيضا لهم احتياجات البشر العادية — اشتركوا فى أعمال النهب • فيورد ابن مسكويه أن رجال الشرطة بحلب ذهبوا « الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت • فنزلوا عن السور وأخلوه ومضوا الى منازلهم مبادرين ، ليدفعوا عنها »[1] •

لما رأى الروم أن الاضطرابات عمت حلب وأهلها ، اقتحم نقفور وجنوده أبواب المدينة ، ودخلوها ونفوسهم تغلى فى مراجل الحقد والانتقام • فأعملوا القتل والنهب والتدمير فى المدينة ستة أيام كاملة ، من يوم السبت الى يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعدة ٣٥١ هـ[2] • وهكذا خضعت حلب للبطش البيزنطى • فروعت النساء والأطفال ، وعاث جند الروم فى أرضها فسادا ، منتهكين الحرمات ، ووضعوا السيف فى الناس ، فقتلوا كل من لقيهم ولم يرفعوا الا بعد أن كلوا وضجروا • وكان فى البلد من أسارى الروم ألف ، ومائتا رجل ، فتخلصوا (هربوا من المسلمين) ، وحملوا السلاح على المسلمين • وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم ، فأخذهم الدمستق (القائد البيزنطى) وسبى من البلد ومن المسلمين والمسلمات ، بضعة عشر ألف صبى وصبية ، وأخذ من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار ما لا يحد ولا يوصف كثرة[3] •

وقد عمد الروم بقيادة نقفور فوكاس « الى الحباب التى يجوز فيها الزيت (أى يحفظ) فصب فيها الماء ، حتى فاض الزيت على وجه الأرض ، وأخرب المساجد ، وأقام فيها (فى حلب) تسعة أيام[4] • « ثم قال نقفور » : هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا فى العمارة فانا بعد قليل نعود اليكم[5] • والحق ، ان نقفور استخدم كثيرا من الوسائل

---

(١) ابن مسكوية : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٢ (حوادث ٣٥١هـ) •
(٢) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ١٣٣ وابن مسكوية المصدر نفسه ١٩٢/٢ — ١٩٣ •
(٣) ابن مسكوية : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٣ •
(٤) ابن مسكوية : المصدر السابق ١٩٣/٢ •
(٥) ابن مسكوية : نفس المصدر ١٩٣/٢ •

الخصيبية التي لا تتفق وقانون الحروب الذي كان يلتزم به سيف الدولة[1] .

اتصل الحمدانيون — أبان المعركة التي دارت رحاها على أبواب حلب عام (٩٦٢ م) — بالخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤ — ٣٦٣هـ) طالبين منه أن يمدهم بنجدة ، لكيلا يتاح للروم الفرصة في أن يمضوا في غزوتهم الكبرى . فماذا كانت النتيجة ؟ وماذا حدث ؟

يقول الذهبي — في كتابه تاريخ الاسلام — : « وذاع الخبر في بغداد ، فأغلق الناس الأسواق ، وذهبوا الى باب الخلافة ، ومعهم كتاب يشرح مصيبة حلب وضجوا . . فخرج اليهم الحاجب ، وأوصل الكتاب الى الخليفة فقرأه ، ثم خرج اليهم (الحاجب) وأفهمهم أن الخليفة بكى ، ونقل اليهم نص ما قاله : لقد غمني ما جرى ، وأنتم تعلمون أن سيفي معز الدولة ، وأنا أرسله في هذا : لكن أهل العراق — الذين تربطهم ببلاد الشام أواصر القربى والدم واللغة — لم يرضهم هذا الجواب . فضج الناس وطلبوا الى الخليفة أن يخرج الى الجهاد بذاته . وقالوا : لا نقنع الا بخروجك ، وأن تكتب الى سائر الآفاق وتجمع الجيوش ، والا فانعزل لتولي غيرك »[2] .

وكان هذا يعتبر دليلا واضحا على مدى فداحة المصيبة ، التي توشك أن تحل — ليس فقط بالحمدانيين في حلب والثغور الشامية — بل بالمسلمين جميعا . فلقد كانت هذه الكلمات — على ايجازها — بمثابة صرخة تخرج من قلب أمة متألمة تدرى أية كارثة تحدق بالدولة الاسلامية وشعوبها ، اذا لم تتوحد الصفوف وتصدق النيات ، وتصمد متصدية لهذه الأخطار الداهمة . وتتكاتف لدحرها ودرئها . وما أشبه الليلة بالبارحة . فهل نتعظ ؟ .

لكن الخليفة ما كان يستطيع أن يفعل شيئا : وقد أصبح شبحا

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١٣٤ .

(٢) راجع ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢٠١ وقد روى ابن مسكوية ذلك بنص الذهبي . راجع أيضا : سامي الكيالي : سيف الدولة ص ١٣١ .

الخراب يرن فى جنبات حلب ، وأصوات البوم ينعق بين أطلالها ورسومها . بل أنه ليسمع بكاء المدينة الثكلى نفسها ، وقد سادها حزن عميق دفين ، وذهول مخيف(١) .

والواقع ان خسائر العرب فى معركة حلب كانت فادحة : سواء فى الرجال أو المال أو العتاد . فمن الرجال قتل الكثير من أعيان حلب وعلى رأسهم أبو طالب بن داود بن حمدان ، وابنه ، وداود بن على ، وأبو محمد الفياضى كاتب سيف الدولة ، وأبو طالب العلوى ، وغيرهم آلاف من الرجال والنسوة والأطفال . وفى الخسائر المادية ، فقد نهبت المتاجر والحوانيت عن آخرها ، وكانت تحوى بضائع بالملايين من الدنانير(٢) . كما أخذت من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار ما يند عن الحصر . هذا فضلا عن افساد الجند البيزنطيين لمؤونة المدينة ، اذ كانوا يصبون الماء على الحباب التى يخزن فيها الزيت حتى فاض على وجه الأرض ، واحرقوا مسجد المدينة البهى الجميل الرائع ، وخربوا قصر الحلبة أجمل قصور حلب ، ونهبوا كل ما كان فى حلب من خيل وسلاح وعتاد وميرة وديباج وحرير وأوان ذهبية قيمه، بل انهم نقلوا سقوف الدار الحمدانية معهم حيثكانت مذهبة(٣) .

ويوضح ابن العديم ان سبب هزيمة المسلمين فى حلب راجع الى عدم سماع أهلها أمر سيف الدولة(٤) « بالتحصن خلف الأسوار لحين استرجاع جيشه الذى كان قد توغل به فى بلاد الروم » . اذ قال لهم :

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٩

(٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٦ وابن الأثير : الكامل ٣٠٢/٧ وابن مسكوية : تجارب ١٩٢/٢ .

(٣) يقدر ابن مسكوية الأموال التى وجدها نقفور فى قصر الحلبة بنحو ثلثمائة وتسعين بدرة ، ويستطرد ابن الأثير بأن الروم استولوا على الف واربعمائة بغل وعلى كميات كبيرة من الأسلحة . ويضيف ابن ظافر ان الروم اخذوا ثلثمائة حمل من البز والديباج ، وخمسين حملا من أوانى الذهب والفضة . وثمانمائة رأس من الخيل ومائة حمل من السلاح والمناطق والتجانيف والسيوف ونقل معه سقوفها . راجع ابن مسكوية ١٩٢/٢ وابن الأثير : ٣٠٢/٧ وابن ظافر : ١/ورقة ١٠ أ — ب .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١٣٣/١ ومسكوية ١٩٢/٢ — ١٩٣ وابن الأثير : ١٠٤/٨ .

« اغلقوا الأبواب واحفظوها وأمضى أنا وانظم جنودى وأعود اليكم ، وأكون من ظاهر البلد وأنتم من باطنه ، فلا يكون دون الظفر بالروم شيء » . فلما أبى الحلبيون ذلك قال لهم : « اثبتوا فانى معكم »[1] .

لقد انتقم الروم فى هجوم (سنة ٣٥١هـ) من العاصمة العتيدة العنيدة بتدميرها واحراقها بعد استعمال وسائل الغدر والخسة . وكان من الممكن أن تظل البلد صامدة ، وتستعصى عليهم لولا حركة النهب والسلب التى قام بها بعض اللصوص داخل المدينة . الأمر الذى شغل — كما أوضحنا — المدافعين عن حماية السور : لكى يحافظوا على أعراضهم وأموالهم[2] . ونعتقد أنه لو كانت هناك قيادة من أى نوع داخل المدينة ، ولو أن الأهالى سمحوا لسيف الدولة بجمع الجيش ، وتحصنوا داخل أسوار المدينة لحين عودة سيف الدولة — بعد تجميع قواته واعادتها من أرض الروم كما أشار عليهم — لعاد نقفور خائبا مدحورا الى بلده ، ولما أمكنه أن يحصل على مثل هذا النصر الرخيص الخسيس الذى احرزه بالغدر والخسة[3] .

آخر أيام سيف الدولة : (٣٥٤ — ٣٥٦هـ) :

لم تذهب الهزيمة أمام الروم فى حلب بثبات وعزم الأمير الحمدانى « سيف الدولة » ، بل انه عاد الى عاصمته فى نفس الشهر ، وقد وقف على اطلال المدينة (حلب) يساوره ويكتنفه حزن عميق وألم يعصر فؤاده ، مع اصرار فى النفس على الانتقام لرجاله ، وللكرامة العربية الاسلامية ، وللأبرياء العزل الذى قتلهم الروم فى حروبهم بخسة ودناءة[4] .

خرجت جيوش المسلمين من طرسوس واقتحمت بلاد الروم ، وأوقعوا بجيوشهم وعادوا بغنائم وافرة . ولما علم سيف الدولة بما دب من خلاف بين الأسرة الامبراطورية والادارة البيزنطية على من

---

(١) ابن العديم : نفس المصدر ١/١٣٤ .
(٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١٣٧ .
(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .
(٤) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .

يلى العرش الامبراطورى البيزنطى . انتهز الفرصة ودخل بلادهم ، وأحرقها وسبى أكثر من ألفين ، كما غنم الكثير من المواشى (أكثر من مائة ألف رأس) . وظل يضرب بلادهم حتى وصل الى ملطية وكان ما غنمه وسباه يضيق عنه الحصر[١].

ومن ناحية أخرى انسحب نقفور فوكاس وجيشه من حلب فى أوائل ذى الحجة سنة ٣٥١ هـ (الموافق ٣١ ديسمبر ٩٦٢ م) وقد عمل — أثناء انسحابه — على الانتقام من البلاد التى اتخذها المسلمون معاقل قوية ومراكز حصينة لغزو بلاد الروم . وكانت المصيصة وطرسوس من أقوى هذه المعاقل . وقد عرف أهلها بالصبر والجلاد والجهاد . وقد اعتمدهم سيف الدولة فى الكثير من غزواته وحروبه ، فكانوا سنده المكين ودرعه الحصين[٢] ويروى أن الروم أسرت فى شوال سنة ٣٥١ هـ أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من منبج التى كان متقلدا أمرها ، كما فتحت حصن دلوك عنوة[٣].

أما سيف الدولة فقد سار مع غلامه نجا الى طرسوس سنة ٣٥٢ هـ ، على رأس بقايا قواته الحمدانية ، وانضموا لأهلها فى معركة ضد الروم . لكن سيف الدولة رأى — بخبرته الحربية — أن يقسم الجيش الى فريقين . فرقة من الطرسوسيين تتجه الى طرسوس ، وأخرى بقيادة غلامه نجا الكاسكى من القوات الحمدانية تتوجه الى جهة أخرى ، ليشعب الجبهات على الروم فيشتت قواتهم . بينما تولى سيف الدولة مهمة حماية الحدود ، وظل جنوده يتعقبون جند الروم حتى أجلوهم عن البلاد الاسلامية . ومما يذكره المؤرخون العرب أن القوات الطرسوسية والحمدانية وصلت فى تعقبها للروم حتى مدينة قونية (أو قمونية)[٤].

فيذكر ابن مسكويه[٥] أنه فى هذه السنة (٣٥٢ هـ) ورد الخبر

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٧ — ١٣٨ .
(٢) سامى الكيالى : مرجع سابق ص ١١٩ .
(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٣٣ .
(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢/١٩٨ .
(٥) ابن مسكوية : المصدر السابق ٢/١٩٨ — ١٩٩

بأن الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ، ودخل نجا — غلام سيف الدولة — من درب آخر ، فغنم أهل طرسوس غنيمة يسيرة ، وأقام سيف الدولة على درب آخر ، ولم يدخل لانه عليلا من فالج لحقه قبل ذلك بسنتين (حول سنة ٣٥٠ هـ) . فلما خرج نجا والطرسوسيون عاد بسيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن معها أنه تلف » .

وقد أشاع هبة الله بن ناصر الدولة الحمدانى ، خبر وفاة سيف الدولة خطأ . وكان يتعجل وفاته أملا فى أيلولة ملك الحمدانيين اليه بعد سيف الدولة ، اذ كان خصما ومنافسا له . وكان هبة الله هذا يحكم حران ، فاستبد بأهلها حتى شغبت عليه البلد وأهلها ، وضجوا من عسفه بهم ، فقاموا بثورة ضده ، ظنها بعض المؤرخين — خطأ — أنها كانت ثورة على سيف الدولة . وحقيقة الامر أنها كانت ضد استبداد العمال ، لما أنزلوه بالرعية من عنت وارهاق[١] .

أرسل سيف الدولة غلامه نجا الكاسكى سنة ٣٥٢ هـ الى منطقة حران ، لاخماد الثورة التى اندلعت هناك ضد حاكمها هبة الله بن ناصر الدولة ، وانهاء تمرد هذا الحاكم على عمه سيف الدولة[٢] . لكن نجا لم يكن أمينا فى تنفيذ ما كلف به من مهام . اذ ترك مهمته وطفق يفرض الضرائب والأتاوات على أهل حران ، « حتى ظلمهم وأجحف بهم ، وصادرهم على ألف ألف (مليون) درهم ، ووكل بهم حتى أدوها فى خمسة أيام بعد الضرب الوجيع (المؤلم) بحضرة عيالاتهم وأهليهم . فأخرجوا أمتعتهم وباعوا كل ما يساوى دينارا بدرهم . لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ، ليس فيهم من يشترى لانهم مصادرون . فاشترى ذلك أصحاب نجا بما أرادوا وافتقر أهل البلدة »[٣] .

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ١١٩ .

(٣) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٨٠ .

وقد أورد ابن مسكوية تفصيلا لما أوقعه نجا بأهل حران من عسف ، وما وقع هو فيه من انحراف عن القصد ، الذى جاء من أجله الى حران ، وخروجه على ولى نعمته . حيث قال(١) :
« ... وسار نجا الى حران ، فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه (ناصر الدولة) ، وأسلم (سنم) أهل حران ، فتحرك نجا خارج حران ، وخرج اليه وجوه أهلها وأشرافها وهم سبعون شيخا ليسلموا عليه . فوكل بهم وتهددهم .. ، وطالبهم عن البلد بألف ألف درهم أرش (مقابل) ما عمنوه من غلق الأبواب فى وجه أخيه « نما » ولم يسمع لهم عذرا . وجرت لهم معه خطوب ، الى أن قنع منهم بثلثمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم ، ووجه معهم بالفرسان والرجالة ، والزمهم الاجعال (الالتزامات) الثقيلة ، ورسم (أمر) أن يستخرج له المال فى يوم واحد ، وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام . وقسط المال على أهل البلد ، وأدخل فيه الملى والذمى والسوقة والنساء الارامل وغيرهم ، ووضع عليهم العصى والضرب فى دورهم بحضرة حرمهم وعيالاتهم ، فأخرجوا أمتعتهم ، وباعوا ما يساوى دينارا بدرهم ، ولم يجدوا من يشترى ، لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون . فاشترى أصحاب نجا الامتعة والحلى بحكمهم وبما أرادوا ولزم (أصاب) أهل البلد من الأجعال ، أمر عظيم ، وضرب بذلك البلد ، وافتقر أهله ، وانصرف عنهم نجا الى ميافارقين بعد أن استوفى جميع المال ، وترك البلد شاغرا ، فتسلط عليه العيارون . وأظهر نجا الخلاف على مولاه سيف الدولة ، والخروج على طاعته ، ولم يزرع فى هذه السنة أحد بديار مضر كبير شىء للجور الذى كانوا فيه » .

وهكذا نجد أن من وثق فيه سيف الدولة ، وأوكل اليه مهمة اقرار الأمور وتهدئتها فى حران ، يقترف ما هو أبشع من الظلم . ذلك أنه « لما اجتمعت عنده (نجا) هذه الاموال قوى بها وبطر ، ولم يشكر ولى نعمته ، بل كفره ، وسار الى ميافارقين ، وقصد بلاد

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٢٠٠ (فى الأصل ٢٦١) .

أرمينية • وكان قد استولى عليها — كثير منها — رجل من العرب ، يعرف بأبى الورد ، فقاتله (نجا) فقتل أبو الورد ، وأخذ نجا قلاعه وبلاده (خلاط ، وملازكرد ، وموش) وحصل له من أموال أبى الورد شىء كثير فأظهر العصيان على سيف الدولة[1] •

والحق أن وقع ثورة هبة الله بن ناصر الدولة الحمدانى ، على عمه سيف الدولة ، وتمرد نجا الكاسكى على طاعته ، كان شديدا على نفس سيف الدولة • ذلك أنه لم يكن يتصور أن يصل الامر الى هذه الدرجة من الجحود والنكران • وقد بلغ من تأثير سيف الدولة أنه كان كلما تذكر هذا الموقف طفر الدمع من عينيه • خاصة وأنه أصبح امام خصم عنيد يسعى الى قهره وقهر المسلمين فى عقر دارهم وهو العدو البيزنطى ، بينما بعض رجاله ومن كان يعتقد فى شدة اخلاصهم له ، ينقضون عليه بقيادة نجا ، فضلا عن طعنه نجلاء أغمدها هبة الله ابن ناصر الدولة فى صدر سيف الدولة بتمرده عليه • واذا أضفنا الى هذا الهم كله أن المرض بدأ يهاجم سيف الدولة ، وأصبح بذلك لا يقوى على المغالبة والصمود ، أدركنا الى أى مدى كان وضع سيف الدولة وموقفه حرجا • لكنه مع ذلك لم يستسلم لكل هذه المؤثسات وصمم على معاقبة غلامه نجا • كان هذا هو الوضع فى داخل الجبهة الاسلامية المتحملة مسئولية المواجهة مع الروم ، ونعنى بها جبهة الحمدانيين •

ومن ناحية أخرى فان الوضع داخل الجبهة البيزنطية لم يكن أحسن حالا عما كان عليه الامر بين عناصر الحمدانيين • ذلك أن الامبراطور رومانوس الثانى مات سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) تاركا زوجة شابة هى ثيوفانو Theophana وولدين ، أولهما باسيل (وكان عمره لا يزيد على سبعة أعوام ، وثانيهما قسطنطين وكان لا يزال فى الثانية من عمره) • فأعلن نقفور فوكاس نفسه وصيا على هذين الطفلين ، ثم لم يمض كثير وقت ، حتى تزوج من أمهما

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ١٨٠ وابن مسكوية : تجارب الامم ص ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٥٠ — ١٥١ •

تيوفانو الجميلة . وبذلك أصبحت السلطة الفعلية فى يده[١] . وقـــد اهتم نقفور بالجيش ، حيث كرس كل موارد الدولة الامبراطـــورية لتدعيمه . بل أنه اشتط فى هذا السبيل ، حيث أفرط فى فرض الضرائب الباهظة ، مما جلب عليـــه غضب الشعب بعد أن كان موضع اعجـــابه وتقديره[٢] . لكن كل ذلك لم يعره التفاتا ، لانه كان يركز على تحقيق الهدف الرسمى عنـــده وتحطيم قوة الدولة الحمدانية ، ومد حـــدود امبراطورية الروم الى سورية والجزيرة ، وفتح بيت المقدس . وهو ما اتضح جليـــا حينما فتح طرســـوس ، ووقف على منبرها وخطب قائلا « ان هذه البلدة هى التى كانت تعوقه عن الوصـــول الى بيت المقـــدس »[٣] .

لقـــد كان ممكنا ان يأخـــذ نقفور فوكاس بيت المقـــدس ، لولا قوة سيف الدولة ويقظته التامة ، وقيادته القوية لجيوشـــه ومصابرته فى القتـــال . الا أن نقفور كان — مع ذلك — طاغيا جبـــارا ، يصفه المؤرخون فيقولون أنه كان ضخم الجثة عمـــلاقا لدرجـــة أن البعض كانوا يشبهونه بهرقل . وكان يزاول الاعمـــال العنيفة ويهوى الصيد والقنص ، ولا يصرف وقته الا فى خوض غمـــار حرب أو الاستعداد لاخرى[٣] .

على أي حـــال ، فقد ســـار سيف الدولة ســـنة ٣٥٣ هـ ، الى ميافارقين ، ففر منها غلامه الجدود المتمرد نجـــا الكاســـكى ، فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه ، التى أخذها عن أبى الورد ، واستأمن اليه (الى سيف الدولة) جماعة من أصحاب نجا فقتلهم (سيف الدولة)[٥] وكأن سيف الدولة أراد أن يقمع هـــذه الثورة بهـــذه الشـــدة لتكون

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١٤٤/١ والأنطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٩ — ١٢٠ ، فيصل السـامر : الدولة الحمدانيـــة ص ١٨٦ — ١٨٧ و Finlay : Hist. of Byz. Empire, P. 302.

(٢) Finlay : Ibid., p. 306.

(٣) ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ١٤٣/١ وبينـــز : الامبراطورية البيزنطية ص ٦٢ .

(٤) ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١١ — ١١٢ . Schlumberger : Nicephore Phocas, P. 309 - 311.

(٥) ابن مسكوية : تجارب ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

وأصحابها عبرة وعظة لمن تحدثه نفســه بمثل ذلك مستقبلا . ولعــل هذا مما دفع نما أخو نجا أن يستأمن سيف الدولة ، الذى أمنه وأكرمه وأحسن اليه[١] .

لكن سيف الدولة رأى — بعــد ذلك — أن يتجــه الى أسلوب الملاينة والكياســة ، فى معالجة الموضــوع مع نجا . فأخــذ يراسله ويرغبه ويرهبه ، حتى عاد نجــا تائبا نادما . فأكرمه سيف الدولة ، وأعاده الى سابق مكانته[٢] . وقد استمر نجا فى خدمة ســيده حتى قتل . فهل قتل نجــا بتدبير ســيف الدولة ؟ ان هذا الحدس نستبعده لأنه يتعارض مــع خلق ســيف الدولة وما جبــل عليــه من ســجايا وصفات حميدة .

على أنه ربما يكون لزوجة سيف الدولة — وقد عز عليها ما وقع لزوجها بسبب نجــا وهبــة الله بن أخى سيف الدولة — يد فى مقتل نجا . فلا يبعد أن تكون هى التى حرضت الغلمان على قتله . خاصة وأنها كانت دائما تتذكر اغارته على ميافارقين ، بعد أن عاش فى حران وديار مضر . وكانت زوجة الامير وقتذاك هنــاك فأمرت بصــده بكل الوسائل الممكنة. لكن يحيى بن سعيد الأنطاكى يورد رواية أخرى نصها[٣] « وســار سيف الدولة الى ميافارقين ، وأرسل الى نجا يأمره بالمسير اليه ، وآمنه على نفســه وماله . وســار نجا اليه فصفح عنه ، وأقام عنده ، وشرب بين يديه . فلما ســكر شتم الغلمــان وغلط عليهم فى القول فاغتاظوا عليه ، وكانت حرمه « زوجــة » سيف الدولة أشــد غيظا لحصــاره لها ، وشتمه اياها ، فصــاح سيف الدولة على نجــا وأمر أن يقام من بين يديه ، فوثب الغلمان عليه ، فقتلوه » .

ومما يروى أيضــا أن نجــا أغلظ فى القــول لســيف الدولة ، فأهاج هذا غلاما آخر لسيف الدولة اسمه نجــاح ، فضربه (ضرب نجا) بسيف على رأســه فقتله . وقد فزع لذلك سيف الدولة فزعا

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢٠٢ .
(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٢٠ — ١٢١ .
(٣) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٩٢ .

شديدا ، حتى أغشى عليه فأمرت زوجة سيف الدولة أن يجر نجا من رجله ، الى أن أخرج من القصر ، وطرح فى مجرى ماء تصب فيه القاذورات والمياه ، وبقى كذلك ، حتى عصر اليوم التالى ، حيث أخرج نجا ودفن وكان ذلك فيما يروى سنة ٣٥٤ هـ[1] .

على أن اهتمام سيف الدولة بالمواجهة مع الروم لم يفتر ، بل ولم يصرفه عن ذلك ما واجهه من أحداث داخلية . هذا فى الوقت الذى كان نقفور يكرر محاولاته لاخذ المصيصة منذ سنة ٣٥٣ هـ جامعا لذلك جيشا لجبا . ومع ذلك عجز عن فتح هذه المدينة الثغرية الحصينة على الرغم من « نقبه نيفا وستين نقبا فى سورها » . اذ انصرف عنها عاجزا عن فتحها « لما ضاقت به الميرة وغلا السعر وبعد أن أقام فى بلاد الاسلام خمسة عشر يوما »[2] . وقيل أن ينصرف نقفور — عاجزا — عن المصيصة ، خاطب أهلها ملوحا لهم بالقوة والتهديد ، ويأنى « منصرف عنكم ، لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ، ولكن لضيق العلوفة ، وأنا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعى ، فلينتقل ومن وجدته بعد عودتى قتلته»[3] . ولم ينس نقفور عند انسحابه أن يحرق ويخرب ضواحى المصيصة — كعادته الاجرامية دائما — كما قتل كثيرا من سكانها العزل الابرياء[4] . كما حمل معه — حسبما يروى فنلاى Finlay والمؤرخون المسلمون[5] — صليبا كبيرا كان المسلمون قد أخذوه فى حروبهم السابقة ، حيث وضعه فى كنيسة أجيا صوفيا بالقسطنطينية وحمل أيضا أبواب طرسوس والمصيصة وأذنه ذات الصنعة الدقيقة حيث وضعها فى كاتدرائية شيدها[6] .

---

(١) ابن مسكوية : تجارب ص ٢٠٩ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٥٠ .

(٢) ابن مسكوية : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٣) ابن مسكوية : نفس المصدر ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٤) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة (مخطوط) ١/ورقة ٩٤/أ .

(٥) الانطاكى : تاريخ الانطاكى ص ١٢٢ و

Finaly : Hist. Byz. Emp. P. 307.

(٦) الانطاكى : المصدر السابق ص ١٢٢ وفيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٨٧ .

وكان سيف الدولة فى وقت نزول نقفور على المصيصة سنة ٣٥٣ هـ قد أرسل خمسة آلاف متطوع خراسانى لمعاونة أهل البلد على مقاومة الغزو البيزنطى ودحره ، وكان هؤلاء الخرسانيون قد جاءوا الى سيف الدولة خلال اشتعال المعارك على الحدود[١] . ولعل ذلك كان مما دعم قوة أهل المصيصة وساعدهم على الثبات والمقاومة ، فاستعصوا بمدينتهم على الغازى نقفور وقواته ، فانسحبوا بعد تدمير الرساتق والقرى الواقعة على الحدود . وهو عمل خسيس لا يقوم به الا مندحر جبان . عجز عن المواجهة الشجاعة ، وعن مقارعة السيف للسيف فانتقم من قرى آمنة عزلاء وأناس آمنون .

لما انسحب نقفور بقواته خائبا ، اعتقد الخراسانيون أن المواجهة قد انتهت مع الروم ، وبذلك تنتهى مهمتهم . فانسحبوا ، ولم يتعقبوا نقفور وقواته قتلا وتنكيلا واثخانا ، كما فعل هو بالمدنيين الآمنين . والحق أن ذلك كان تقديرا خاطئا ، وتصرفا غير سليم . ولا ندرى كيف تركهم سيف الدولة يفعلون ذلك ؟ . اللهم الا اذا كان ما أورده ابن مسكوية ، كان هو الدافع وراء انسحابهم : « وهو شدة الغلاء فى الثغور وحلب » مما دفعهم الى « رجوع أكثرهم لبغداد ، ثم خراسان »[٢] . ومما يؤيد هذه الرواية ، ما قاله نقفور لأهل المصيصة « من أن سبب عودته وتركهم هو نقص العلوفة ، وندرتها ، وبالتالى ارتفاع أسعارها »[٣] .

ويذكر ابن مسكويه فى حوادث سنة ٣٥٣ هـ[٤] . . « ان الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور ، حتى لم يقدر أحد على الخبز ، وأكل الناس الرطبة والحشيش ، وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء ، فان الدمستق (القائد البيزنطى) قد جمع الجموع للخروج الى بلاد الاسلام ، وأن السلطان (سيف الدولة) بحران مقيم بعد الذى جرى

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣هـ) .
(٢) ابن مسكوية : المصدر نفسه ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣هـ) .
(٣) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة : ١/ورقة ١٩٤أ .
(٤) ابن مسكوية : تجارب الامم جـ ٢ ص ٢٠٣ .

على أهلهـا من نجـا على ظلمهم وطرح الأمتعـة عليهم ، والجـور فى معاملتهم وأن الغلاء بها وبالرقة شديد جداً » .

لكن نقفور رأى أن مصلحة دولته تقتضى القيـام بعملية تبريد للجبهـة الاسـلامية وتهدئة للموقف مع الحمدانيين ، ربما لمتاعب داخلية كان يعـانى منها ، فضـلا عن انشغاله الى حـد ما بتثبيت النفوذ البيزنطى فى جزيرة كريت (اقريطش) التى استطاع الروم الاستيلاء عليها من المسلمين منذ سـنة ٣٤٩/٣٥٠ هـ . ولذلك عمـد الى سياسة الموادعة والملاينة مـع سيف الدولة الحمدانى حيث « هادىء سيف الدولة بهدايا ، فصـار (ذلك) سببا لمقام (الدمستق) نقفور فى بلاد الاسـلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحـد ، ولا يمكنـه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ، ووقع فى أصحابه الوباء فاضـطر الى الانصراف[١] . وقد قبل سيف الدولة ما أهداه اليـه نقفور ورد عليه بهدايا أخرى[٢] .

ويرجح أن سيف الدولة اتخذ من قبول الهدايا من نقفور والرد عليه باهدائه هدايا أخـرى ، سببا ووسيلة لاطلاق وفداء أسـرى المسلمين لدى الروم ، وهو أمر هام بالنسبة لسيف الدولة . اذ كان يحاول تجميع قواته المبعثرة ، والعمل على اعادة تنظيمهـا ، ليتمكن بالتـالى من التصـدى للبيزنطيين فيحفظ بذلك دولته من التـلاشى والانهيار بعد الجهاد الطويل الذى تحمله .

ويبدوا أن ما دار بفكر سيف الدولة لم يكن بعيداً عن تقـدير نقفور ولذلك انتقل من المصيصة الى قيسارية فأقام سنة يتلمس أنباء الثغور الاسلامية[٣] . حتى اذا أيقن من ضعفها . وعدم قدرتها على

---

(١) ابن مسكوية : المصدر نفسه ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٢) ابن مسكوية : المصدر نفسه ص ٢٠٨ وفيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٢٣ وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢١٠ .

الصمود والدفاع ، قام — نقفور — بحملته الكبيرة للقضاء على دولة الحمدانيين التى شغلت الروم نحو عشرين عاما كاملة[١] .

وفى ذلك يذكر صاحب كتاب تجارب الامم . « .. ورد الخبر أن نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة ، وهى تقرب من بلاد الاسلام ، فأقام بها ، ونقل اليها عياله ، ليقرب عليه ما يريد من بلاد الاسلام ، وأن أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه أن يقبل منهم اتاوة يؤدونها اليه ، على أن ينفذ اليهم صاحبا له ليقيم فيهم ، فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جدا ، وانه لا ناصر لهم . ولا دافع له عنها ، وأنه لم تبق قوات وانه آل الأمر بأهل طرسوس الى أكل الكلاب والميتة ، وانه يخرج منها فى كل يوم ثلثمائة جنازة . فانصرف رأيه عما كان عمل عليه ، وأحضر رسولهم وضرب له مثلا ، وقال : مثلكم مثل الحية فى الشتاء اذا لحقها البرد ذبلت وضعفت حتى يقدر من رآها أنها قد ماتت ، فان أخذها وأحسن اليها ، وأدفأها ، انتعشت ولدغته . وأنتم انما بخعتم (أى خضعتم) بالطاعة لما ضعفتم ، وان تركتم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم » وأخذ الكتاب الذى أوروده فأحرقه على رأسه فاحترقت لحيته ، وقال : « امض اليهم وعرفهم أنه ليس عندى الا السيف » . فانصرف (الرسول) . وجمع الملك (نقفور) جيوشه وعمل على أن ينفذ جيشا الى الشام ، وجيشا الى الثغور وجيشا الى ميافارقين . وكان سيف الدولة بميافارقين قد تخلص البطارقة الذين فى يد نجا وكان بميافارقين نحو ألف كر حنطة فمزقها (سيف الدولة) وفرقها لئلا تأخذها الروم »[٢] .

انقض نقفور فوكاس بقواته البيزنطية على المصيصة ، ففتحها بالسيف عنوة يوم السبت الثالث عشر من رجب سنة ٣٥٤ هـ بعد أن

---

(١) سامى الكيالى : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢١٠ — ٢١١ (حوادث ٣٥٤هـ) والعرينى : الدولة البيزنطية ص ٤١٥ — ٤١٦ .

قتل من أهلها عددا عظيما[١] ، ونقل كل من بها الى بلاد الروم ، وكانوا نحو مائتى ألف نسمة [٢] • ويضيف الذهبى [٣] : أن جماعة من أهل المصيصة رجعوا اليها وتنصروا • وقد أرجع الذهبى السبب فى تمكن نقفور من المصيصة ، الى قيام أهلها « بهدم سورها بالنقوب ، وأن رجلا أشار عليهم أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم نقفور فأخرجوهم • فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطمعوه فى فتحها ، فزحف عليها » •

على أن الثابت أن أهل المصيصة قاتلوا الروم فى الشوارع ، من شارع الى شارع ، حتى قتلوا من الروم عددا يذكره الذهبى بأربعة آلاف • غير أن تكاثر الروم على أهل البلد هزمهم ، ومكنهم منهم فقتلوهم • وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا أعناقهم بازاء طرسوس وكان ذلك مما دفع الطرسوسيين الى اخراج من عندهم من الاسرى البيزنطيين (ثلاثة آلاف رومى) وقتلوهم عن آخرهم ، انتقاما لما فعله نقفور وجيشه بأهل المصيصة[٤] •

بعد أن انتهى نقفور من أمر المصيصة ، توجه الى طرسوس ، التى أذعن أهلها له ، بعد أن أيقنوا بعدم جدوى المقاومة فسلم ابن الزيات (عامل سيف الدولة على طرسوس) ومولاه رشيق النسيمى طرسوس صلحا[٥] • ودخل نقفور المدينة مشترطا على أهلها شروطا أهمها :[٦]

أولا : أن يخرج الطرسوسيون عن البلد •

ثانيا : أن يحملوا معهم ما يمكنهم حمله •

---

(١) ابن الوردى : تتمة ٤٣٣/١ •

(٢) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ورقة ٩٤/أ — ٩٤/ب (مخطوط) وابن الوردى : تتمة ٤٣٣/١ •

(٣) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ١٧١/١ (حوادث ٣٥٤هـ) •

(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٢١٢ (حوادث ٣٥٤هـ) •

(٥) الذهبى : تاريخ دول الاسلام جـ ١ ص ١٧٢ •

(٦) ابن مسكوية : المصدر السابق ٢١١/٢ •

ثالثا : أن تصبح كل الدور بيد الروم .

رابعا : أن من أراد المقام فى طرسوس فليتنصر .

خامسا : أن من أراد المقام فى طرسوس على دين الاسلام فعليه جزية .

ويذكر ياقوت الحموى[1] أن « خلقا كثيرا تنصروا ، وبقى نفر يسير على الجزية ، بينما خرج أكثر الناس قاصدين بلاد الاسلام وملك نقفور البلد ، وحرق المصاحف وخرب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمح بمثله مما كان قد جمع من أيام بنى أمية الى هذه الغاية » .

ويروى ابن الوردى[2] أن نقفور « أمن أهل طرسوس سنة ٣٥٤ هـ ، وكان فيها أربعون ألف فارس ، طلع نقفور على منبر طرسوس ، فقال لمن حوله : أين أنا فقالوا : أيها الملك على منبر طرسوس ، فقال : لا . ولكنى على منبر بيت المقدس ، وهذه — أى طرسوس — كانت تمنعكم من ذلك ، وجمع مصاحف الجامع ، وكان ألف مصحف فى المحرم وطين عليها ، والله أعلم . وسار أهلها عنها فى البر والبحر ، وجهز معهم من يحميهم الى أنطاكية .. ولقيهم أهل انطاكية بالبكاء والنحيب وكان فى أول طرسوس رجل منهم يقرأ (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) . وجعل (نقفور) جامع طرسوس اصطبلا ، وأحرق المنبر ، وحصن طرسوس وتراجع بعض أهلها وتنصر بعضهم ، ثم عاد اللعين الى القسطنطينية »

كما أورد الذهبى — فى تاريخه[3] . عرضا وافيا لما حدث لمدينة طرسوس وأهلها سنة ٣٥٤ هـ على أيدى الروم وبسببهم ، حيث

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان (مادة طرسوس) .

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ .

(٣) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ورقة ٩/أ وابن مسكوية : تجارب ٢/٢١٢ حاشية ١ .

قال : « .. فى هذه السنة (٣٥٤ هـ) اشتد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثرت عليهم جموع الروم ، وضعفت عزائمهم بأخذ المصيصة ، وبما هم فيه من القلة والغلاء . ولكن سيف الدولة لم يستطع أن ينجدهم ، فانقطعت عنهم المواد ، وطال الحصار فراسلوا نقفور ملك الروم ، ، فى أن يسلموا اليه البلد ، بالامان على أنفسهم وأموالهم ، واستوثقوا منه بأيمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم ، فاشتروا منهم من البز الفاخر والاوانى المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحملهم ، لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها ، وخرجوا بحريمهم وسلاحهم وأموالهم .. ثم دخل الروم مدينة طرسوس فأحرقوا المنبر ، وجعلوا المسجد اصطبلا » .

لقد نزح الطرسوسيون عن مدينتهم سنة ٣٥٤ هـ ، بقلوب كسيرة وافئدة حزينة ملتاعة ، ونفوس جزعة ، وعيون دامعة . وظلوا سائرين حتى بلغوا انطاكية فلما علم بذلك أهل انطاكية . « وجفوا وهلعوا ، فطردوا عامل سيف الدولة عليهم من بلدهم انطاكية ، واتصلوا بنقفور على أن يؤدوا اليه أربعمائة ألف درهم عدا ثلاثين درهما كجزية عن كل شخص سنويا » . وكان سيف الدولة فى ميافارقين يرقب الموقف وقلبه يعتصر الما وحزنا[1] .

ومما لا شك فيه أن الخيانات الداخلية كانت من أهم العوامل التى مكنت للروم من رقاب المسلمين ، وجعلتهم يتفوقون على الحمدانيين . وكان من أهم هذه الاحداث تخاذل ابن الزيات عامل سيف الدولة على طرسوس ، ومولاه رشيق النسيمى ، عن الصمود أمام الروم . وقد سار رشيق النسيمى الى جهة حلب وقاتل قرعوية (عامل سيف الدولة) فأرسل سيف الدولة قوة مع خادمه وغلامه بشارة ، فقاتلا — بشارة وقرعوية — رشيق النسيمى ، فقتل رشيق وفر أصحابه الى انطاكية . فلما عاد سيف الدولة اجتمع على حربه ابن الأهوازى ودزبر الديلمى ، الذى قام محل رشيق النسيمى ، فى

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الامم ٢/٢١٣ حاشية ١ .

طرسـوس ، فقتل كلا من ابن الأهواز ودزبر كما قتل من ولاتهـا وقضاتهما وشيوخهما خلقا »[١] .

هذا فضلا عن مرض سيف الدولة ، الذى أقعده ومنعه من صد غارات العـدو ، لدرجـة أنه طلب الهـدنة من نقفور سـنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م)[٢] ، وهو ما لم يفعله قبل ذلك .

كان سيف الدولة قد سار — قبيل دخول الروم الى طرسوس — الى أرزن وأرمينيه وحاصر بدليس ، وخلاط ، التى كان بها أخو نجا الكاسكى ، واسمه « نما » — كان قد تمرد الاثنان على سيف الدولة — فتملك سيف الدولة ورد الى ميافارقين[٣] .

هكذا تسببت الاضطرابات والمتاعب التى واجهت سيف الدولة ، منذ سنة ٣٥٤ هـ وحتى وفاته يوم الجمعة لخمس بقين من شـهر صفر سـنة ٣٥٦ هـ ، فى اعاقته عن التصـدى بفاعلية وقوة للروم . وكان من أهم هذه المتـاعب : ثوره مروان القرمطى فى السـواحل ، وتمرد الانطاكيين بتحريض من رشيق النسيمى — الذى كان قد سلم وابن الزيات مدينة طرسوس للروم — ، وانضمام بعض الديالمة اليه فى ثورته ، وسيرهم جميعا لاخذ حلب من يد عاملها الحمدانى المسمى قرعوية (غـلام سيف الدولة) الذى دافع دفاعا مجيـدا[٤] . لكن سيف الدولة انقض عليهم — رغم مرضـه — فأعطاهم درسـا قاسيا واستنقذ منهم حلب وضواحيها .

هكذا كانت هذه هى الظروف التى حملت سيف الدولة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ، الى قبول مصـالحة الروم . فأرسـل الى نقفور ملك (امبراطور) الروم يعرض عليه المهادنة ، ليتمكن الطرفان من تبادل

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٣٢ .

(٢) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ورقة ٩٤/أ وب وفيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ٢١٢ و ٢١٣ حاشية ١ .

(٣) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢١٢/٢ حاشية ١ نقلا عن الذهبى : تاريخ دول الاسلام .

(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢١٣/٢ — ٢١٤ .

الاسرى • وقــد وافق نقفور فوكاس على الهــدنة • فأطلق سيف الدولة من كان عنــده من بطارقة (قواد) الروم الذين كانوا أسرى لديه كما أطلق نقفور رجال سيف الدولة ، الذين كان منهم أبو فراس الحمدانى ، ومحمد بن ناصر الدولة ؛ وغيرهما من رجال سيف الدولة وغلمانه • كما اشترى حرية ألفى أســير بمائة وستين ألف دينــار ، بواقع ثمانين دينارا عن كل أسير[١] • ولمــا نفذ ماله اشترى الباقين بأن رهن بدنتــه (درعه) والجواهر المعدومة المثــال ، ثم عاد الى عاصمة ملكه ومعه من أطلقهم من رجاله وغلمانه[٢] •

وقد أورد ابن الوردى وصفا لعملية الفداء هذه ، ضمن حديثه عن حوادث سنة ٣٥٥ هـ حيث قال[٣] ، « ••• وفيها (أى سنة ٣٥٥ هـ) وصلت الروم الى آمد وحصروها ، ثم انصرفوا وقاربوا نصــيبين ، ثم ساروا ونازلوا انطاكية طويلا ثم رحلوا الى طرطوس ، وفيها وقع بين سيف الدولة وبين الروم الفــداء ، فخلص أبا فراس ابن عمــه وغــلامه روطــاس وجمــاعة من أكابر الحلبيين والحمصــيين ، ولما لم يبق معــه من أسرى الروم أحــد ، اشترى الباقين كل نفس باثنين وسبعين دينارا ، حتى نفذ ما معه من المال • فاشترى الباقين ، ورهن عليهم بدنته الجوهر المعدومة المثل ، ثم لما لم يبق أحــد من أسرى المسلمين ، كاتب نقفور ملك الروم ، وهذه محاسن سيف الدولة »

وكان مما أنفقه سيف الدولة فى عملية الفداء فى هذه السنة (٣٥٥هـ) نيفا وعشرين ألف ألف درهم ومائتين وستين ألف دينار • وقد كان هذا الفداء فى شهر رجب من عام ٣٥٥ هـ حيث بلغ جملة من فداهم سيف الدولة ثلاث آلاف ومائتين وسبعون نفسا ما بين أمير وراحل[٤] •

---

(١) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٢٦ •

(٢) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ١٧٢/١ وابن مسكوية : تجارب الأمم ٢١٣/٢ ، ٢٢٠ •

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٣٥/١ — ٤٣٦ •

(٤) ابن الوردى : المصــدر السابق ٤٣٦/١ حاشية ١ ، وراجع الذهبى : تاريخ دول الاسلام جـ ١ ص ١٧٢ •

فاذا أضفنا ، الى الاضطرابات التى وقعت فى كل من انطاكيـــة وحلب ، أن الروم أحاطوا علما ، بأحوال القوى الاسلامية الأخرى أنذاك ، وما كانت تعانيه من مشاكل ، فى بلدان العالم الاسلامى شرقا وغربا أدركنا لماذا تفوق الروم على المسلمين فى هذا الوقت (منتصف القرن الرابع) •

نعم ، لقد كان عالم الاســلام وقتذاك (٣٤٩ — ٣٥٥ ﻫ) يشهد حــالة تشرذم وبعثرة لقواه ، التى صــارت كل منها تعمل لخــدمة مصالحها الاقليمية فقط ، بصرف النظر عن ما يحدثه تصرفها ذلك من اضرار بمصلحة العالم الاســلامى ككل • الامر الذى كان من أهم نتائجه ضياع كريت (اقريطش) من يد المسلمين ســنة ٣٥٠ ﻫ[1] ، وسيطرة الروم عليها ، وعلى بعض الثغور الشــامية أمثال المصيصة وطرسوس وانطاكية •

وقد عاود نقفور — امبراطور الروم — الهجوم آخر ٣٥٥ ﻫ ، على مناطق الثغور الاســلامية ، بهدف دخــول حلب • وذلك لأن الروم اعتبروا هذه المدينة المعبر ، الذى يمرون عليه الى بلاد الاســلام • لكن سيف الدولة تصدى لهم ودافع عن لؤلؤته الغالية دفاع الأبطال ، فظلت القوات البيزنطية تعيث وتفســد لمدة خمسين يوما فى الضواحى المحيطــــة بحلب ، دون أن يمكنهم تحطيم تلك الصــخرة « حلب الشهباء »[2] •

غير أن ســير الأحــداث كان يوحى آنذاك بانكدار نجم سيف الدولة لان المرض « الح عليــه ، وظــل ينخر فى جســده ، الى أن اخترمت المنية حيــاته فى يوم الجمعة لخمس بقين من صفر ٣٥٦ ، ونقل تابوته الى ميافارقين ، وكان المرض الذى مات به سيف الدولة هو « عسر البول والفالج »[3] •

---

(١) صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ص ١٣٢ — ١٤٠ •

(٢) راجع : ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/٢٢٠ — ٢٢١ •

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٣٨ •

هكذا انطوت صفحة حياة بطل من ابطـال الاسلام الافذاذ ، بعد أن عاش حياة حافلة بالجهاد ضد أعداء الاسـلام والمسلمين ، وكتب صفحاتها بمداد دمه ودماء الشهداء ، الذين شاركوا معـه فى المعارك ، حتى لقد قيل عنه أنه لم يكن بين الملوك من هو أغزى منه .

ومما يرى عنـه انه جمع من نفض الغبار الذى كان يجتمع عليه فى غزواته شيئا ، وعمله لبنة بقـدر الكف ، ثم أوصى بأن يوسد خده عليهـا عند دفنه[1] ، وقد نفذت وصيته تماما .

وبوفاة سيف الدولة — بطل الجهاد الاسلامى ضد الروم — تبدأ الدولة الحمدانية فى الضعف ثم التلاشى . لان ابنه أبو المعالى شريف ، لم يقـو على توطيد ما عجز عنه أبوه . وبذلك صـار المسرح خاليا أمام الروم ، ليعيثوا فى أرض الاسـلام ، قتلا وتذبيحا ونهبا وتخريبا . وتوغلوا فيها أينما وكيفما شاءوا ، سواء فى الشـام أو العراق ، بعـد أن كان عبور الفرات فى الجهـات الواقعـة ، أسفل جبـل طوروس ، يعد من الأمور المستحيلة على الروم منذ أيام هرقل « القرن السـابع الميـلادى » . أما الآن — فى منتصف القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وفى عصر يوحنا زيمسكيس ونقفور فوكلس — فقد استطاع الـروم أن يكتسحوا الكثير من المدن العربيـة العريقـة مثل : الرها (اديسا) ، ديـار بكر ، ميافارقين ، نصيبين الواقعـة عند حـدود امبراطوريتهم القديمة على نهر دجلة[2] .

ولم يستطع الروم قط اخضـاع المسلمين والنيـل منهم — فى وقت من الأوقات — مثلما أمكنهم ذلك أيام زيمسكيس ونقفور . اذ انتزعوا من المسلمين كيليكيا ، وجزءا من البـلاد السورية ، كما اعترف شطر كبير من بلدان الدولة العباسية بالتبعية للامبراطورية البيزنطية[3] .

هكذا نرى انه بوفاة سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٥٦هـ ، يتغير

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٨ — ١٥٩ وابو الفدا : المختصر ص ١١٨ .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٥٥ .

ميزان القوى فى غير صالح العالم الاسلامى ، وتنقضى هذه الصفحات الطويلة المضيئة من الكفاح ، والجهاد الاسلامى ، الذى رفع لواءه سيف الدولة وسل سيفه ولم يعده الى غمده الا فى اواخر أيام حياته ، كما اهتم بفداء الاسرى ، قبيل وفاته بعام واحد (أى ٣٥٥هـ/٩٦٥ — ٩٦٦م) ، بعد ان دوخ أكبر امبراطورية فى زمانه ، وهى امبراطورية الروم ، التى كانت وقتذاك فى عصرها الذهبى[1] .

ولنتوقف هنا لحظة ، لنسجل كلمة حق فى سيف الدولة . . انصافا للرجل ، كما شهد له بذلك المؤرخون الاجانب قبل المسلمين .

ذلك ان سيف الدولة لم يكن يبغى بحروبه أو غزواته تلك بغيا أو عدوانا على أحد ، ولم يكن نهابا سلابا أو غازيا لمجرد الغزو ، كما ذهب بعض المؤرخين الاجانب فى الحملة عليه ، امثال متز Metz وشلومبرجر . فبعض هؤلاء المؤرخين لا يكاد يلقى تهمته فى سيف الدولة ، حتى يصرعه نور الحق وبرهانه الساطع ، فلا يلبث أن يسجل للرجل فضلا عظيما ، فى عديد من المواضع والمواقف ومن هؤلاء شلومبرجر نفسه فى كتابة الذى ألفه عن نقفور فوكاس[2] .

والحق ، أن طبيعة موقع الدولة الحمدانية فى بلاد الشام ، ومتاخمتها للحدود البيزنطية ، جعل حكام هذه المنطقة العربية الاسلامية يوجهون عنايتهم لتحصين حدودهم مع الروم ، لتمنع عنهم عادية هجمة مباغتة من هنا أو هناك . وكان هذا مما جعل سيف الدولة دائما ، على أهبة وحذر وتحفز للرد على أى عدوان . وهو الذى عرف عنه التزامه جانب الخلق الحميد ، واحترام آداب الحروب . هذا ، بينما ألف الأعداء (الروم) الغدر والخديعة ، فلا يكادون يحرزون نصر فى معركة الا باستعمال أساليب يترفع عن ذكرها الخلق العربى الندى ، الذى تخلق به سيف الدولة[3] .

كما يذكر لسيف الدولة تدعيمه للثغور وشحنها بالمقاتلة ، وانشاء

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٨ .

(٢) Schlumberger : Nicephore Phocas P. 227.

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٣ — ١١٤ .

الحصون الجديدة ، ورم القديمــة أو تجديدها • وكان بنــاء الحصن الواحــد كثيرا ما يكلفه معركة دامية مع الروم ، الذين اعتبروا كل لبنة توضــع فى أى حصن أو ثغــر اســلامى خنجــرا مصــوبا الى قلب امبراطوريتهم[١] •

والغــريب ان مؤرخــا مثل شلومبرجر الذى يصــف حــروب سيف الدولة بأنها حمــلات سلب ونهب ، لا يلبث أن يقول : « ينبغى أن نحترس من الاعتقــاد أن جيوش سيف الدولة لم تكن الا عصابات دون نظــام أو ترتيب • • بل كان العرب يتبعون خططا (تكتيكا) فى منتهى الدقة والأحكام ، ويخضعون لنظــام صارم ، ويشنونها حربا فنية مدروسة ، ويقودون جيوشا متفوقة فى تنظيمهــا وقد أعدوا لكل أمــر عدته ، وتداركوا كل صغير وكبير من الأمــور ، ونظموا الخدمــة اليومية ، وأخذوا بنظــام الاستطلاع والدوريات الصغيرة لكل فرقة (كتيبة)[٢] • فهل هذه الصفات التى أوردها شلومبرجر هى صفات سلابة نهابة أم سمات مجاهدين •

ولقــد ابتكر ســيف الدولة نظــام القوات الفدائية (القوات الانتحــارية) التى تقوم بعملياتهــا ، بنظــام المباغتــه ، من حيث لا يتوقــع العدو زمانا ومكانا • لكنه ـــ وهو المتحلى بالخلق العــربى الاسلامى الكريم ـــ حين شعر بما فى هذه العمليات من شبهة تتناقض مع الخلق العربى المسلم ، ألغاها وسرحها • بعد أن كانت قد أقلقت ـــ بعملياتها ـــ مضاجع الروم طوال عشر سنوات (٣٣٩ ـــ ٣٤٩هـ) ٩٥٠/ ٩٦٠ • فهو اذن ألغاها لاحساسه بمخالفتها ـــ فى عملياتها ـــ للخلق العربى الذى لا يغدر • لكن المؤرخ شلومبرجر علل الغاءها بأن سيف الدولة وجد « اعمالها مخزية مخجلة »[٣] •

وغريب أمر هذا المؤرخ حقا أن يعتبر أعمــال القوات الفدائية مخزية مخجلة ، مــع أن هؤلاء الفدائيين لم يوقعوا أذى الا بالجنود ،

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٤ •

(٢) Scmuhlberger . Nicephore Phoces, P. 226 - 227.

(٣) Schlumberger : Nicephore Phocas P. 227.

ولم يقتلوا الا المحـــاربين . أما ما كان يوقعـــه البيزنطيون بالأطفال والنساء والشيوخ المسلمين فى الثغور ، وما أنزله نقفور فوكاس بأهل حلب ســـنة ٣٥١هـ وطرسوس ســـنة ٣٥٤هـ من قتل وغـــدر بالشيوخ والأطفال فليس أمرا مخزيا أو مخجلا[١] .

والجدير بالذكر أن سيف الدولة اعتمد فى حروبه وغزواته على عدد من القـــادة العظـــام امثال : الفارس الشاعر الحارث أبو فراس الحمدانى ، وابن عمه أبو تغلب وائل بن داود بن حمدان ، أمير حمص ، وأبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان — صديق أبى فراس — الذى أنكى فى بـــلاد الاعـــداء واستشهد فى احدى معـــاركه على أرض الروم ، وأبو العشائر أمير أنطاكية الذى أسر فى معركة عرندس ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ثم حمل للقسطنطينية حيث مات بها ، وهبة الله ومحمد ابنا ناصر الدولة اللذين ولاهما أكثر من مرة قيادة بعض جيوشه فى المعارك[٢] .

كما أن هناك أيضا من القادة عدد من غلمان سيف الدولة أمثال : نجـــا الكاسكى ، وقرعويه ، ويماك ، وكان ابرزهم نجـــا الذى لم يقهر فى معركة واحدة[٣] .

والحق ان قواد سيف الدولة جميعـــا اتسموا بالبسالة والاقدام ، وحب البذل والتضحية . فكان الواحد منهم يثبت فى المعركة حتى ينتصر أو يقتل أو يؤسر مثل ما حدث لأبى زهير المهلهـــل الذى خر صريعـــا فى معركة الصفصاف ، وأبو فراس ، وأبو العشـــائر محمد بن ناصر الدولة ، الذين وقعوا جميعا فى الأسر ، فمات منهم فى الأسر أبو العشائر وعاد الاثنان الآخران فى الفداء العام سنة ٣٥٥ هـ[٤] .

لقد تنفست بيزنطة الصعداء بموت البطل المغول ســـيف الدولة ، لأنهم بذلك يكونون قد استرحوا من أخطر اعدائهم على الجبهة الاسلامية آنذاك . لهذا أمكنهم — بعد ذلك — التوغل فى ســـورية ، وحـــاولوا

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٦ — ١٢٣ .

(٢) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٨ — ١١٩ .

(٣) Canard : Hist., de la Dyn. des Hamd., P. 135/6, 142.

(٤) مصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١١٩ — ١٢٠ .

توجيــه تيــار الأحداث فيهــا ، وبخاصــة فى عهــد ســعيد الدولة الحمدانى[١] •

ويتحدث فنلاى ــ نقلا عن فازيليف Vasiliev ــ عن تفوق الروم فى هذه المرحلة من مراحل المواجهة الاسلامية البيزنطية (منتصف القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى) فيقول : «...ان المدة بين ٩٦٣ ــ ٩٦٩م (٣٥٢ــ٣٥٩هـ) تكون أزهى فترات تاريخ العسكرية البيزنطية فى صراعها مع المسلمين • فقــد استطاع نقفور فوكاس ان يركز اهتمامه على الشرق • فاحتل طرسوس وكيليكيا ، على حين نجــح الاسطول البيزنطى فى انتزاع جزيرة قبرص من العــرب ، مما فتح له الطريق الى سورية • فبدأ يعمــل على تحقيق حلمه الغــالى وهو غزو أنطاكيــة التى تعتبر قلب سورية • وبعد غارات تهديديه على سورية ، حــاصر نقفــور أنطاكيــة • • ثم استولى عليهــا فى آخــر ســنى حكمــه (٩٦٩ / ٣٥٩ هـ) »[٢] •

على أن مما زاد موقف الجبهة الاسلامية سوءا فى مواجهة الخطر البيزنطى ــ المحدق بالممتلكات الاسلامية فى الشــام والجزيرة وقبرص وكريت وغيرها ــ هو مادب بين أفــراد البيت الحمــدانى من صراع وتنافس أسرى • حيث أعيد فتح السجلات الحمدانية عن ثآرات قديمة بين أبى فــراس الحمــدانى ، وبين كل من أبى المعــالى شريف بن سيف الدولة ، وابن ناصر الدولة ، وهو حساب لم يكن لأبى المعــالى شريف فيــه يد أو دخــل • وانما هى تركة مثقلة ، ورثها عن أبيــه سيف الدولة ، الذى تحملها صابرا ، وكان مجرد وجوده حيــا ، كفيلا باطفــاء نيران وحمم هذه الفتن ، التى سرعان ما تطــاير شظاها بعد وفاته سنة ٣٥٦هـ ، ليصيب القريب والبعيد على حد سواء ، ولينعكس ذلك كله ضعفا وانهزاما امام الروم •

---

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩٠ •

(٢) ابن العديم : زبــدة الحلب ج ١ ص ١٥٧ ويحيى بن سعيد : تاريخه ص ١٣١ و
Finlay : Hist. of Byz. Emp., P. 306.

ذلك أنه بمجرد اطلاق سراح أبى فراس الحمدانى من الأسر لدى الروم سنة ٣٥٥هـ ، وما كاد أجل سيف الدولة ينقضى سنة ٣٥٦هـ ، حتى نهض أبو فراس محاولا السيطرة على حمص والتغلب عليها . وكان دافعه الى ذلك هو رغبته فى الانتقام والثأر لنفسه من نكد الايام ، ولأبيه سعيد من ابن عمه ناصر الدولة . لكن أبا المعالى شريف بن سيف الدولة ، علم بنية أبى فراس فأرسل اليه من أتباعه من قاتله ، حتى تغلب عليه وقتله[1] .

غير أن هناك خلاف بين المؤرخين فى مسألة مقتل أبى فراس الحمدانى . فمن قائل أن أبا المعالى شريف بن سيف الدولة ، أرسل قرعوية ، غلام أبيه سيف الدولة ، فقتله بعد أن ضربه ضربات اليمةأثناء الطريق . وهناك من يقول أن أبا فراس الحمدانى قتل فى شهر ربيع الآخر ٣٥٧ هـ ، فى قرية تعرف باسم « صدد » وذلك فى حرب وقعت بينه — وكان مقيما فى مدينة حمص — وبين عسكر أبى المعالى شريف بن سيف الدولة الذين استظهروا على أبى فراس ، وقتلوه فى الحرب . وحزوا رأسه ، وطرحوا جثته فى البرية أياما ، الى أن كفنه ردغة بعض الأعراب . كما يروى أن قرعوية أخفى خبر مقتل أبى فراس عن أبى المعالى شريف بن سيف الدولة ، حتى لا يفجعه النبأ . وهو الذى حزن فعلا عندما بلغه نبأ مقتل أبى فراس الحمدانى . كما أن والدة أبى فراس وكان اسمها سخينة[2] — صرعت عندما علمت بنبأ مقتل ابنها[3] .

وقد قيل فى مقتل أبى فراس[4] ، شعرا جاء فيه[5] :

---

(١) سامى الكيالى : بسف الدولة ص ١٥٥ .

(٢) أورد ابن الوردى : (تتمة المختصر فى اخبار البشر جـ ١ ص ٤٣٩) أن اسمها « بجية » وليس « سخينة » .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدائيين ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٤) اسمه كاملا هو أبو فراس الحارث بن أبى العلاء سعيد بن حمدان . وهو ابن عم كلا من سيف الدولة واخيه ناصر الدولة .

(٥) ابن الوردى : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٣٩ .

وعلمنى الصـــد من بعـده من اليـوم مصرعه فى صدد
فسقيا لها اذ حوت شخصـه وبعدا لها حيث فيها ابتعـد

هكذا أصبحت الاسرة الحمدانية كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله • وذلك بعد أن كانت نارا • ولظى يكتوى بسعيره عدو المسلمين أما الآن ، وبعد موت سيف الدولة ، فان العدو البيزنطى أصبح ينظر ويتلمظ لالتهـام بلاد الاسـلام الواحـدة بعـد الأخرى ، وما شـجعه على ذلك سـوى شعوره وادراكه بما صـار فيه المسلمون من غفلة ، أودت بوحدتهم • حيث فرقتهم المنازعات ، والصراعات الاقليميـة ، والأسرية ، والشخصية • وصـار — وايا للأسف — بأسـهم بينهم شـديد ، وما ذلك الا لأنهم نسـوا ما يدعو اليه الاسـلام من الوحدة والترابط ، ووجوب أن يكونوا كالبنيان الواحـد المرصـوص يشد بعضه بعضا[١] •

لقد خاض المسلمون صراعا مريرا ضد الروم ، فى منطقة الثغور الاسلامية — البيزنطية ، سـواء فى اقليم الجزيرة ، أو بلاد الشام ، وهو صراع استمر لعـدة قرون • حتى أنه ليمكن القول أنه يوجـد على وجه البسيطة مكان التهبت على ترابه نيران معارك ضـارية ، مثلما نشبت فى المنطقة بين الشام وشبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) وهى المنطقـة المعروفة بالثغور الشـامية ، هذا فضلا عن المعـارك التى خاضها المسلمون ببسالة فى الثغور الجزرية •

وكان هناك دائما فارق وتمايز بين المنطقة الداخلية فى الجنوب ، وهى التى سميت بالعواصم ، وبين المنطقة الخارجية المسماه بالثغور • فيذكر الاصطخرى[٢] : « أن هذا النطـاق (العسـكرى) كان يبدأ فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) من أولاس على البحر المتوسـط ، ويضم طرسـوس واذنه (أطنه) والمصيصـة وزبطرة

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٣٩ •
سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٥٦ •

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٣ ، ٤٦ — ٤٧ •

ومر عش وملطية وحصن منصور حتى يصل الى سميساط على الفرات ، ويمتد على طول الرافد الغربى لهذا النهر فى اتجاهه جنوبا حتى بالس» • وقد اهتم المسلمون بها ، الى أن دب الخلف والضعف فيهم فتدهورت المنطقة واضمحل أمرها[١] •

ويصور ابن العديم تدهور منـــاطق الثغور الى نهايتها المؤسفة فيقول[٢] : « واهتم المتوكل العباسى (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ فى الثغر بترتيب المراكب ، ومازال مشحوناً من ملوك المسلمين بالراجل والراكب ، الى أن قصرت الهمم ، وولى من تعدى وظلم ، واشتغلوا باللذات ، وتعاطوا الأمور المنكرات ، فضعف أمر الثغـــور واختل ، ووهى عقـــد نظامها وانحل ، فجـــرى ما ذكرناه فى باب طرســـوس وحـــل بالمسلمين من أعداء الله الشـــدة والبؤس » •

واذا كانت حلب الشهباء ، قد وجدت مجداً بانتقـــال الحمدانيين اليها ، بعد قيامهم فى اقليم الجزيرة ، الا أنها لم تستطع المحافظـــة على مجدها للنهاية • كما لم يكن باستطاعة الدولة الحمدانية (وهى دولة ثغرية) أن تظل واقفة صـــامدة الى ما لا نهـــاية ، أمام الحاح ضربات الروم وضـــغط هجومهم المتـــوالى • فيصـــــور لنا ياقوت الحموى[٣] ، أحداث النهـــاية المؤلمة للثغور الاســـلامية تصـــويرا موجزا بليغـــا فى قوله : « ولم يزل هـــذا الثغر طرســـــوس وأذنه والمصيصة وما ينضاف اليها بيد المسلمين ، والخلفـــاء مهتمين بأمرها لا يولونها الا شجعان القواد والراغبين منهم فى الجهـــاد ، والحروب بين أهلها والروم مستمرة •• والامور على مثل هذه الحـــال مستقرة حتى ولى العواصم والثغور الامير سيف الدولة على بن أبى الهيجاء ابن حمدان ، فصمد للغزو ، وأمعن فى بلادهم ، فكانت الحرب بينهم سجالا • الى أن كان من وقعـــة مغـــارة الكحل ٣٤٩ هـ • ومن ظفر الروم بعســـكر سيف الدولة ، ورجوعه الى حلب فى خمسة فرســـان على ما قيل » •

---

(١) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥٣ •
(٢) ابن العديم : بغية الطلب ورقة ٨ •
(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٧ •

« ... ثم تلا ذلك هجوم الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ ، وقتل كل من قد روا عليه من أهلها ، وما كان من عجز سيف الدولة . فترك الشام شاغرا ، ورجع الى ميافارقين . والثغر من الحماة فارغا . فجاءهم نقفور الدمستق ، فحاصر المصيصة ، ففتحها ثم طرسوس ثم سائر الثغور وذلك سنة ٣٥٤ هـ فهى فى أيديهم الى هذه الغاية[1] » .

ولعل من أسباب تدهور الثغور الاسلامية ، اختلاط فرق الجيش الاسلامى ، الذى ضم الخراسانية والفرغانية والسمرقندية وغيرهم . مع انحلال وضعف رابطة الاسلام الجامعة فى نفوس هذا الخليط المتنافر ، وكذلك صراع الطوائف المختلفة على السلطة ، واستسلام الخلفاء العباسيين لاستبداد القادة والمتغلبين عليهم . سواء من الترك أو الفرس أو الديالمة وغيرهم . هذا بينما كان الروم يغيرون على الثغور فيقتلون ويسبون ويأسرون ويحرقون ، دون صاد يصدهم أو رادع يقف فى وجههم . والخلافة فى كل ذلك اسم بلا جسم لا أمر ولا هيبة ولا جيش ولا سلطان .

وقد أفاد ياقوت أن ملك الروم لما استولى سنة ٣٥٤ هـ على الثغور ، اشترط تخريب الجوامع والمساجد . وأن من أراد المقام فى البلد على الذمة وأداء الجزية فعل . وأن تنصر فله الحياة والكرامة وتقر عليه نعمته . قال : فتنصر خلق ، فأقرت نعمة عليهم وأقام نفر يسير على الجزية ، وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الاسلام ، وتفرقوا فيها . وملك نقفور البلد ، فحرق المصاحف وخرب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله قط مما كان جمع من أيام بنى أمية الى هذه الغاية[2] .

ويلخص رينيه جروسيه Grousset الموقف بين سنتى ٣٥٠ و ٣٥٩ هـ (٩٦٢ — ٩٦٩ م) بين الروم والحمدانيين قائلا :[3] « وفى

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٧ ويقصد ياقوت « بهذه الغاية » انها ظلت بيد الروم حتى أواخر أيامه — أيام ياقوت — التى انتهت بوفاته ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) .

(٢) ياقوت : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٩ .

(٣) Grousset ; Hist. de l'armenie, p. 489 - 490.

عام ٩٦٢م (٣٥٠ — ٣٥١هـ) بدأ نقفور فوكاس ، الذى كان آنئذ مجرد قائد عسكرى ، غزو كيليكيا ، فانتزع من الأمراء الحمدانيين مدينة عين زربة Anezarbe وقلعة سيس Sis ثم عبر ممرات جبال أمانوس Amanoss فى ديسمبر ٩٦٢ م (ذو القعدة ٣٥١ هـ)[1] وانتزع من الحمدانيين — على مشارف سوريا الشمالية — مدن مرعش Maraash ودلوك (دلوص) Duluk ، عينتاب ومنبج ، ومضى ينهب احدى عواصمهم • وهى مدينة حلب الكبيرة » • ثم يستطرد قائلا : « وعندما أصبح امبراطورا ، أتم فتح كيليكيا باستيلائه على أطنة (٩٦٤ م / ٣٥٣ هـ) ، والمصيصة Mopsuesta [2] فى ١٣ يوليه ٩٦٥ م (١٠ رجب ٣٥٤ هـ) وطرسوس Tarse فى ١٦ أغسطس ٩٦٥ م (١٤ شعبان ٣٥٤ هـ) ، التى طرد منها الحمدانيون نهائيا • وقد عمر كيليكيا (قاليقلا) ، بعد أخذها من الحمدانيين ، وأسكنها بالمسيحيين من الأرمن • وفى سنة ٩٦٦ (٣٥٥ — ٣٥٦ هـ) قامت كتيبة بيزنطية بمسيرة فى بلاد الحمدانيين ضربت فيها أسوار آمد (ديار بكر) ودارا وتصيبين • وفى عام ٩٦٨ م (٣٥٧ هـ — ٣٥٨ هـ) — أى عقب وفاة سيف الدولة — اجتاح نقفور فوقاس — فى أراضى الحمدانيين — مدينة ميافارقين ، ثم قام بحملة فرسان فى سوريا حتى حمص وطرابلس بينما نهب ابن أخيه بارداس فوقاس بلدة منازكرت فى اقليم الاباهونيك ، وهدم أسوارها (٩٦٨ — ٩٦٩ م / ٣٥٧ — ٣٥٩ هـ) • وبعد رحيل نقفور فوقاس انتزع قائده ميخائيل بورتزيس ، مدينة انطاكية من العرب فى ٢٩ أكتوبر ٩٦٩ م (١٣ ذى الحجة ٣٥٨ هـ) ، التى بقيت تابعة لبيزطة حتى عام ١٠٧٨ م (٤٧٠ هـ) بل ونظريا حتى عام ١٠٨٥ م (٤٧٧ — ٤٧٨ هـ) • وهنا أيضا — فى انطاكية — طرد السكان المسلمين من المدينة ، وأسكن محلهم مهاجرين مسيحيين ، منهم جالية أرمنية كبيرة » •

---

(١) Grousset, R. : Hist. de L'Armenie P. 489 - 490.
وقد وافقنا بين التاريخ الميلادى والتاريخ الهجرى من كتاب التوفيقات الالهامية .

(٢) تكتب بالافرنجية مايسترا Mamistra أو مصيصة Massissa

من ناحية أخرى لم تقنع السلطات البيزنطية ، وهى فى أوج انتصارها ، بطرد المسلمين من الحدود الغربية والجنوبية الارمنية ، لكنها ثبتت أقدامها هناك بضم مقاطعة طارون الهامة[١] .

(١) كانت الطارون — كما رأينا سابقا — تابعة لفرع أصغر من فروع الأسرة البجراتية ، أسسه باجرات البجراتونى « أمير الأمراء » (٨٣٠ — ٨٥١م/٢١٥ — ٢٣٦هـ) . وكان باجرات (بجارات) البجراتونى قد اسره العرب فى معركة عام ٨٥١ م/٢٣٦ هـ ، وقضى نحبه فى بغداد ، تاركا ثلاثة ابناء هم : أشوط ، ودافيت اركاييك (أى الملك الصغير) وابنا ثالثا غير معروف من المحتمل أن يكون اسمه تورنك (طرنيق أو ديرينيك Tornik) . وقد وقع كل من أشوط ودافيت أركاييك فى أسرة القوات العباسية بقيادة بغا الكبير وارسلا الى بغداد . ثم اطلق سراحهما عام ٨٥٨ م ليعودا الى أرمنية . وقد أصبح اشوط (الكبير) منذئذ وحتى عام ٨٧٨ م أميرا على الطارون ثم خلفه دافيت أركاييك (٨٧٨ — ٨٩٥ م) ، ثم ابن أخيه جورجين بن أشوط (٨٩٥ — ٨٩٧م) ، ثم خضع الطارون لاحمد بن عيسى الشيبانى أمير منطقة آمد (ديار بكر) بعد قتله لجورجين ابن أشوط . ثم حاول الملك سمبات ملك أرمينية اعادة الطارون الى الوريث الشرعي « أشوط بن دافيت أركاييك » لكنه هزم قرب طوخ Thoukh سنة ٨٩٨م . ثم مات أحمد بن عيسى — بعد قليل — عام ٨٩٨م نفسه (٢٨٥هـ) . وبموت أحمد بن عيسى عادت الطارون للاسرة البجراتية المحلية ، ليحكمها جريجوريك — بعد أن سجن أشوط بن دافيت من ٨٩٨ — ٩٢٣م تقريبا . وطلب سمبات تدخل أمبراطور الروم ليو السادس « الحكيم » لاطلاق سراح الأسير أشوط بن دافيت . وقد حافظ جريجوريكوس علي علاقاته الطيبة مع كل من الخلافة ، والامبراطورية البيزنطية بطريقة متوازنة الى حد ما . وعندما توفى جريجوريكوس ٩٢٣م تقاسم اقليم الطارون أو تنازعه ولداه باجرات (بانكراتيوس فى المصادر البيزنطية) واشوط من ناحية ، وابناء أخيه أبو جانم (غانم) ناهان ، سمبات ، وتورنك الذى كان أول من سافر للبلاط البيزنطى ، حيث حصل على لقب ورتبة بطريق . ولم يغفل باجرات (بانكراتيوس) أهمية توثيق علاقته ببيزنطة كذلك . ويبدو أن بانكراتيوس هذا — كما يؤكد جروسيه — هو المذكور عند العرب باسم ابن طورنق أو طرنيق Ibn - Tornik حين ذكرت المراجع حمله سيف الدولة سنة ٩٤٠ م أمير حلب على بلد ابن طورنيق ، وانه دمر مدينة موش ، وكنيسة مشهورة ، ثم انتزع من أشوط أخى ابن طرنق مدينة سماسون (ساسون) وكولب (قلب) ، وهذه الحملة هى من الحملات الخاطفة السريعة . وقد أثبت المؤرخون ولاية باجرات (باكراتيوس من ٩٣٥ — ٩٤٠م) وحكم أخوه أشوط الطارون من ٩٤٠ — ٩٦٦/٩٦٧م ، وهو الذى منحه رومانوس ليكابينوس لقب « بروتوسباثير» (قائد عسكرى أبراطورى) وحاكم طارون الشرعى . وبذلك ثبت النفوذ البيزنطى فى صميم أرمينية الجنوبية راجع .

Grousset : Hist, de L' Armenie P. 491 - 493.

وكان ضم اقليم طارون للامبراطورية البيزنطية حدثا خطيرا فى ذاته فهو أول خطوة نحو زوال استقلال الارمن ، كمــا أن وجود القوات البيزنطية فى هذه المنطقة • اعتبر مقدمة لشن حملة صليبية مشتركة ضد القوات الاسلامية الأخيرة الموجودة فى هذه المنطقة[١] •

(١) Grousset ; Ibid., P. 494.

الفصل الرابع

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثانى

من القرن الرابع الهجرى

(٣٥٦ ـ ٣٩٤ هـ / ٩٦٦ ـ ١٠٠٣ م)

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى

(أ) خلفاء سيف الدولة وجهودهم فى صد الروم :

زالت أكبر عقبة اسلامية من طريق الروم فى عهد نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م) فى جبهة المواجهة مع المسلمين ، وبخاصة فى مناطق الثغور وذلك بوفاة بطل الجهاد الاسلامى سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٥٦ هـ . ومع ذلك لم تستطيع الروم الافادة من هذة الفرصة . وذلك بسبب انشغال الامبراطورية آنذاك بالحروب ضد البلغار ، ولما ظهر وقتذاك فى جوف الامبراطورية من مشاكل داخلية . وبهذا لم يتيسر للروم الافادة من خلو مسرح المواجهة من شخصية سيف الدولة ، ومما دب — بعد وفاته — فى كيان الاسرة الحمدانية من تواترات وصراعات فى عهد سعد الدولة[1] (٣٥٦ — ٣٨١ هـ ٩٦٧ — ٩٩١ م) . ولذلك مرت سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) هادئة نسبيا ، فيما عدا بعض اغارات سريعة قام بها المسلمون على بعض مناطق الثغور البيزنطية فى الشام[2] .

غير أنه ما أن آذنت سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م) بالانتهاء ، حتى كان الامبراطور نقفور فوقاس فى وضع يسمح له بتحويل اهتمامه نحو الجبهة الشرقية (الاسلامية) ، واضعا فى اعتباره الأول أخذ حلب والسيطرة على انطاكية سيطرة تامة[3] .

لما علم سعد الدولة (أبو المعالى شريف بن سيف الدولة) بعزم نقفور على التوجه لمهاجمة المناطق الاسلامية فى بلاد الشام ، وانه سار فعلا بجيشه ، خرج سعد الدولة من حلب الى بالس . وقد « ترك على حلب قرعوية الحاجب ، أما نقفور فنزل على انطاكية ، حيث مكث هناك يوما» ثم رحل فى اليوم الثالث الى معرة مصرين فدخلها

---

(١) هو سعد الدولة أبو المعالى شريف بن سيف الدولة الحمدانى .
(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩١ .
(٣) فيصل السامر : المرجع السابق ١٩١/٢ .

وهجر ألفا ومائتين من أهلها الى بلاد الروم[1] • كما فتح الروم — بقيادة نقفور — معرة النعمان وخرب جامعها وأكثر دورها ، وسار الى كفر طاب وشيزر وأحرق جامعهـا ، ثم توجه الى مدينـة حماة ففتحها[2] • ثم أتجه الى حمص حيث أخذ منها رأس يوحنا المعمدان[3]

وفى العاشر من شهر ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ سـار الروم الى طرابلس واستولوا عليها ، وأسر نقفور حاكمها أبا الحسن أحمد بن نحرير الارغلى من حصن « عرقة » ، الذى أقام فيـه بعد أن طرده الطرابلسيون[4] ، ثم حاصر الروم — بقيادة نقفور — مدينـة عرقة تسعة أيام ، ثم له فتحها بعدها باقتحام حصنها المنيع ، وأسر جميع من لجأ اليها من البـلاد المجاورة ، وأخـذ كثيرا من الاموال[5] •

ثم عاد نقفور فوكاس — بعد هذه الاغارات الناجحـة — الى بلدان السـاحل الشـامى ، وفى موجبه اعداد ضـخمة من السبى ، وفتح حصن أنطوسوس[6] ، وصـالح أصحاب اللاذقة ، وخـرب الكثير من القرى التى مر بها •

والحق أن المـدن الشامية قاست كثيرا من الآلام والمـرارة ، من جراء أعمال نقفور فوقاس وقوانه ، حيث صاحب حملاته وغزواته دائما تنكيل وتخريب ، وارتكاب أعمـال يندى لها جبين الانسـان خجلا[7] • ثم حاصر نقفور انطاكية لكنه لم يلبث أن فك عنها الحصار عند اقتراب فصـل الشتاء ، انتظـارا لمقدم فصـل الربيع • وقـد

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٥٧، والأنطاكى : تاريخه ص ١٣١

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/١٩١ •

(٣) الأنطاكى : تاريخه ص ١٣١ وابن العديم : زبدة الحلب ١/١٥٧

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ١/١٥٨ •

(٥) الأنطاكى : نفس المصدر ص ١٣١ •

(٦) وهى ثغر لجند حمص على بحر الروم (البحر المتوسط) ومرقية وحصن جبله وهى قلعة مشهورة من اعمال حلب قرب اللاذقية • راجع ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤ •

(٧) Camb. Med. Hist., Vol., 4, P. 146.

ترك هنـــاك حاميات صغيرة لمراقبة السـكان ، حتى لا يستعدون له بالســلاح والذخيرة ، وأمر قواده هنـــاك (حـول انطاكيـة) الا يفتحوها فى غيبته[1] • وقد أقام نقفور فى مواجهـة انطاكية حصن بغراس Bagras [2] ، على ســفح جبــل اللكام ، ورتب فيهــا جيشــا بقيادة ميخائيل البرجى • وقد استطاع هذا الجيش أن يستولى على انطاكيـــة فى سنة ٣٥٩ هـ — كما يذكر ابن الوردى — أو فى ١٣ ذى الحجة ٣٥٨ هـ (الموافق ٢٩ أكتوبر ٩٦٩ م) كما يذكر آخرون ، بعد أن ظلت فى يد المسلمين نحو ثلثمائة وثمان وعشرون سنة[3] •

وقد أورد يحيى بن سعيد الانطاكى[4] تفاصيل احتــلال الروم لانطــاكية • فذكر آن بطرس الاسطراطوبدرج وميخــائيل البرجى حاصرا انطاكية بجيوش ضخمة • وكانت المدينــة فى حالة متداعية ، بسبب غارات الروم المتلاحقة عليها وعلى أعمالها ، « وضجع أهلهــا فى حراستها ، لانهم ما كانوا يشعرون أنها تتصـد فى ذلك الوقت ، ولم يتمكنوا من جمع رجال يصعدون الى الجبل • ليحفظوا السور ، فرآه الروم خاليا ، فبادروا بالطلوع اليه ، فلم يروا أحدا فيه ••• وطرح المسلمون النار لتحول بينهم وبين الروم ، وفتحوا باب البحر وخرج منه جماعة من أهلها ، وأسر الروم جميع من فيهــا ، وأطلقوا من كان بها من النصارى وأقروهم »[5] •

---

(١) Finlay : Hist., of BYZ. Emp. P. 307.

(٢) بغراس : مدينة فى لحف جبل اللكام • بينها وبين انطاكية أربع فراسخ (١٢ ميلا) فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس • راجع ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٦٩٣ •

(٣) راجع ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٤١ (ضمن حوادث ٣٥٩هـ) وانظر أيضــا : فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩٢ — ١٩٣ •

(٤) الانطاكى : تاريخه ص ١٣٣ — ١٣٤ •

(٥) ذكر ابن العديم : (زبدة الحلب ١٦٣/١) أن دخـول الروم انطاكية كان ليلة عيد الميلاد • فلما طلع الروم على جبلها جعلوا يأخذون الحارس ، فيقولون له كبر وهلل ، فمن لم يفعـل قتلوه • فكانوا يهللون ويكبرون والناس لا يعلمون ، حتى ملكوا جميع أبراجها (أبرجتها) ، وصاحوا صيحة واحدة ، فمن طلب باب الجنـان أسر واجتمع جماعة الى باب البحر فبردوا القتل فسلموا وخرجوا • راجع ايضا ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٧ ص ٣٧ •

وهكذا أمكن للروم السيطرة على معرة النعمان ، ومعرة مصرين وعرقة وطرابلس واللاذقيـة ، ثم أخيرا انطاكيـة . وقد « أسروا وسبوا فى هذه الغزوات — كما قيل — مائة ألف من فتيـان المسلمين وفتياتهم ، وقتلوا الشيوخ والعاجزين[1] » . « كما يذكر ابن العديم أيضا » أن نقفور ملك الروم فتح ثمانية عشر منبرا ، أما القرى فلا يحصى عدد ما أخرب وحرق منها » .

لقد جرى كل ذلك للثغور والسواحل الاسـلامية فى بلاد الشام على أيدى الروم ، بينما كان سـعد الدولة مشغولا الى أذنيـه فى صراعه الحـاد مع قرعوية ، الذين هادن الروم . والجـدير بالذكر أن أهل بوقا من النصارى ، الذين انتقلوا الى انطاكية ، قاموا بدور فعال فى مساعدة الروم وتسهيل مهمتهم فى اقتحام المدينة[2] .

وكان نقفور يعتبر الاسـتيلاء على انطـاكية أمنيـة غاليـة وحلما جميلا كبيرا ، باعتبارها قلب سـورية . وها قد تحقق الحلم الكبير ، واستولى النصـارى على « انطاكية العظيمـة »[3] — كما سماها جستنيان قبل ذلك (٥٢٧ — ٥٦٥ م) — « والمنافسة القديمة لبيزنطة فى الشرق ، ومدينة البطارقة العظـام والقديسين المبجلين . ومركز الهرطقات »[4] . ولكن على الرغم من فرحة نقفور باحتـلال انطاكية ، وأخـذها من المسلمين بواسـطة قائده ميخائيـل البرجى (برتزيبس) ، الا أنه حقد على هذا القائد بسبب الحريق الذى أحدثه بالمدينة[5] .

أصبحت حلب — بعد سقوط انطاكية ٣٥٨ هـ — هى الهدف المباشر والرئيسى لحمـلات نقفور فوقاس . أما عن سعد الدولة ، فانه لمـا علم بدخول الروم أنطاكية هجر عاصمته . وانتقل الى مدينة حمص ،

---

(١) ابن العديم : المصدر نفسه ١٥٩/١ — ١٦٣ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١٥٩/١ ، ١٦٢ وفيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٩٢ — ١٩٤ .

(٣) Vesiliev : Hist. Byz. EMP., P. 308 - 309.

(٤) Sshlumbgrer : Nicephore Phocas, P. 723.

(٥) الأنطاكى : تاريخه ص ١٣٥ .

تاركا حلب وشئونها ليتصرف فيها قرعوية ذى النوايا السيئة • وسار القائد البيزنطى تجاه حلب[1] • وقد تحصن أهل حلب فى القلعة لمدة سبعة وعشرين يوما • ترددت خلالها المراسلات والمفاوضات بين الجانبين ، الى أن تقرر الامر على عقد هدنة ومال يحمل فى السنة الى ملك الروم [2] •

ومما لا شك فيه أن استيلاء الروم على مدينة حلب ، أواخر أيام نقفور (أواخر ٣٥٩/٩٦٩ م) • يعد انتصارا كبيرا أحرزه الروم على المسلمين • وقد عقدت الهدنة — قبيل مقتل نقفور فى نهاية ٩٦٩ م (صفر ٣٥٩ هـ) • بين الروم وقرغوة ، وكانت شروطها مهينة بالنسبة للمسلمين ، حيث جاء فيها[3] •

١ — يتعهد المسلمون (الحمدانيون) بدفع جزية سنوية للروم ، بواقع ست دراهم عن كل فرد فى حمص ، وجوشية ، وسلمية ، وحماة ، وشيزر ، وكفر طاب ، وأفاميتة ، ومعرة النعمان ، وحلب ، وجبل السماق ، ومعرة مصرين ، وقنسرين ، والأثارب وغيرها من الحصون والقلاع •

٢ — يصير قرعويه أميرا على المسلمين (فى الشام) ، ثم يخلفه بكجسور ، وبعده ينصب ملك الروم أميرا يختاره من سكان حلب • وليس للمسلمين من سكان حلب أن يختاروا أميرا بأنفسهم •

٣ — لا يؤخذ من نصرانى جزية فى هذه المدن ، الا اذا كان له بها مسكن أو ضيعة •

---

(١) القائد البيزنطى هو نطرس الاسطراطبدرج • ويسميه الأنطاكى الاصطر الجويدرج ، وربما يقصد الاستراتيجوس (الحاكم العسكرى) ، اما ابن العديم فيسميه الطرباذى • راجع : الأنطاكى : تاريخه ص ١٣٤ وابن العديم : زبدة الحلب ١/١٦٣ و Vasiliev : Ibid., P. 309.

(٢) الأنطاكى : المصدر السابق ص ١٣٤ •

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٤١ وابن العديم : نفس المصدر ١/١٦٤ — ١٦٥ •

٤ — على قرعويه أن يصد أى جيش اسلامى يريد غزو الروم . فان عجز فعليه أن يخبر الروم بذلك . وعلى بكجور أن يستقبل جيوش الروم الغازية ، ويشيعها عند رحيلها ، ويسهل لها الحصول على الاقوات والميرة .

٥ — على قرعويه أن يساعد الروم على غزوهم لبلاد غير اسلامية

٦ — ليس للمسلمين أن يعترضوا على من يدخل النصرانية منهم ، وليس للروم أن يعترضوا على من يدخل الاسلام منهم .

٧ — اذا هرب عبد مسلم أو نصرانى ذكرا أو أنثى ، فعلى المسلمين رده أو اعطاء صاحبه ثمنه .

٨ — على المسلمين أن يقوموا بتسليم المجرمين الهاربين من الروم الى قائد الجيوش البيزنطية .

٩ — للروم الحق فى اعتقال أى جاسوس مسلم يدخل حدود بلادهم .

١٠— ليس للمسلمين الحق فى هدم الحصون ، أو بناء حصون جديدة . وللروم أن يعمروا الكنائس المخربة ، وعلى المسلمين تكريم البطارقة (كبار قادة الروم) والاساقفة الذين يفدون عليها .

١١— يقدر الروم العشر الذى يؤخذ عن تجارتهم ، وبخاصة الذهب والفضة والديباج الرومى والاحجار الكريمة والسندس وعلى قرعويه وبكجور أن يقوما بالمحافظة على القوافل التجارية البيزنطية ، وتقديم الادلاء لارشادها فى الطريق . فاذا تعرض لها قطاع الطرق وجب عليهما أن يقوما بتعويض ما نجم .

وقد شهد على هذا الصلح جماعة من الشيوخ مع قرعويه وبكجور وسلم الى الروم رهائن من وجوه أهل حلب ، وكان الوسيط فى هذه المفاوضات طاهر الهاشمى[1] .

ويورد الانطاكى عن هذا الصلح ما يلى[2] « .. تقرر الامر على

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٦٩ .

(٢) الأنطاكى : تاريخه ص ١٣٤

صلح وهدنة مؤيدة ، ومال يحمل فى كل سنة الى ملك الروم عن حلب وحمص وجميع أعمالها ، من المدن والقرى ، وهو ثلاثة قناطير ذهب عن حق الارض ، وسبعة قناطير ذهب عن خراج هذه الاعمال . وعن كل رجل حالم دينار واحد فى السنة سوى ذوى العاهات . وان يكون لملك الروم صاحب مقيم بحلب ويستخرج أعشار الامتعة الواردة من البلاد !! » .

أن المتأمل فى هذا الصلح يجده على جانب كبير من الأهمية . فهو يعتبر وثيقة قيمة ترسم صورة واضحة لحالة العلاقات الاسلامية — البيزنطية .. عسكريا ، وتجاريا ، واجتماعيا ، ودينيا وقتذاك . كما نستدل منه على رواج حركة التجارة والبضائع المستوردة والصادرة وعلى حالة العبيد وطريقة معاملاتهم . ويتضح منه كذلك كثرة عدد الكنائس وتنظيماتها الاكليريكية فى هذه المناطق التى شملها الصلح .

والحق أن المسلمين لم يتعرضوا فى حروبهم ضد الروم لمثل هذه الهزائم . فقد أخذت منهم قاليقلا وجزء من سورية . الا أن الوضع لم يستقر لنقفور طويلا ، اذ قتل[1] بيد زوجته الجميلة ثيوفانو وقريبة يوحنا زيمسكيس (الشمشقيق) Jean Tzmisces الذى اشترك معها فى مؤامرة اغتيال نقفور ، ثم تولى هو نفسه عرش الامبراطورية[2] .

---

(١) قتل نقفور فوكاس — عقب توقيع هذه المعاهدة — فى ١١/١٠ ديسمبر ٩٦٩ م . راجع الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٨٣ حوادث ٣٦٦ هـ (٩٧٦ — ٩٧٧ م) .

(٢) Camb. Med., Hist., Vol., 4, P. 146.

اورد ابن الوردى (تتمة المختصر ١/٤٤١ — ٤٤٢ و ٤٥٢) ذكر مقتل نقفور ملك الروم ساردا قتله وسببه فقال : (ضمن حوادث ٣٥٩هـ) « . . وفيها (٣٥٩هـ) طمع نقفور ملك الروم فى ملك جميع الشام ، ولم يكن من بيت المملكة ، وانما قتل الملك الذى قبله وتزوج امراته بفانو (ثيوفانو) ، وأراد ان يخص اولادها من بيت المال ، ليقطع نسلهم ، ويبقى الملك فى نسله . فاتفقت أمهم مع الدمستق وادلته فى جماعة على زى النساء الى كنيسة متصلة بدار نقفور . ونام نقفور فدخلوا عليه ، وقتلوا نقفور واراح الله المسلمين منه . واقام الدمستق احد الأولاد المذكورين ملكا . قلت : وهو بسيل بن ارمانوس ، والمعتمد فى هذه الترجمة ان يفانو الملكة زوجة ارمانوس

ويذكر المؤرخ ليو الشماس — وهو معاصر للأحداث[1] — : « أن نقفور لو لم يقتل لامكنه مد حدود امبراطورية الروم فى الشرق حتى الهند ، وفى الغرب حتى نهاية العالم ، أو بعبـــارة أخرى حتى المحيط الاطلسى » . ومما لا شـــك فيه أن كلام هذا المؤرخ فيـــه الكثير من المبالغة والتحمس المنطلق من التعصب لبنى جلدته ودينه . لأن مشاريع نقفور فوكاس فى الغرب أخفقت جميعها .

أما يحيى بن سعيد الانطاكى — وهو معاصر كذلك للأحداث — فقد ختم كلامه عن أعمال نقفور فوكاس بقوله :[2] « ولم يشـــك أحد فى أن نقفور الملك يفتح جميع الشـــامات (البلاد الشـــامية) ، وديار مصر ، وديار ربيعة ، وديار بكر ، وتحصـــل فى يديه ، وذلك أنه بنى أمره على قصـــد سواد المدن والقرى التىيمر بها فيغزوها ، ويحرقها ويسبى أهلها ومواشيها ، واذا بلغ وقت الحصاد للزرع خرج وأحرق جميع الغلات ، وترك أهل المدن يموتون جوعا . وكان لا يزال يفعل ذلك بهم سنة بعد سنة ، الى أن تدعيهم (وضغتها تدعوهم) الضرورة الى تسليم المدن اليـــه حتى كانت غزواته قد صـــارت كالنزهة له ، ولأصحابه ، وكان يقصد حيثيشاء ، ويخرب من غير أن يلقـــاه أحد من المسلمين يدافعه عما يريد » .

والحق أن الفتن والمنازعات التى وقعت فى الدولة الاســـلامية وقتذاك — النصف الثـــانى من القرن الرابع الهجـــرى — كانت هى الفرصـــة الثمينة التى مكنت للروم أمر الاستيلاء على ما أخذوه من البلاد الاســـلامية . وليس أدل على ذلك من اشـــــارة أوردها ابن الاثير[3] أنه حين استولى الروم على ملازكرد عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)

قتلت ارمانوس ، وتزوجت نقفـــور الملك ، ثم قتلته وتزوجت يانيس بن الشمشقيق (يوحنا زيمسكيس) ، وولته الملك ثم خافته على ولديها بسيل وقسطنطين ابنى ارمانوس فجهزت اليه وهو بالشام سما فقتلته قبل عودته الى الروم وكان ذلك فى بداية عام ٩٧٧ م (٣٦٦ هـ) وولت ابنها بسيل ، وملك بعده على الروم أخوة قسطنطين وكان زمنا لأن دبا وثبت عليه فازمنه .

(١) عن فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩٧

(٢) الأنطاكى : تاريخـــه ص ١٣٥

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٥

— وهو حدث معاصر لاخذهم انطاكية « — عظمت شـوكتهم ، وخافهم المسلمون فى أقطار البـلاد ، وصـارت (أى البلاد) كلها سـايبة (أى لا حامى لها ولا مدافع عنها) لا تمنع عليهم ، يقصـدون أيهـا شاءوا » . كما يشير ابن الاثير أيضـا ، ويـؤيده ابن كثير[1] ، الى أطماع نقفور فوقاس فى بلاد الاسلام بقوله : « أنه — أى نقفور — جعل همته قصد بلاد الشـام ، والاستيلاء عليها . وتم له ما أراد ، باشتغال ملوك الاسلام بعضهم ببعض ، فدوخ (أى نقفور) البلاد وكان قد بنى أمره على أن يقصـد سـواد البلاد فينهبه ويخربه ، فيضعف البـلاد فيملكها . وغلب على الثغور الجزرية والشـامية ، وسبى وأسر ما يخرج عن الحق ، وهابه المسلمون هيبـة عظيمة ولم يشكوا فى (أى توقعوا) أنه يملك جميع الشام ومصر والجزيرة وديار بكر لخلو الجميع من مانع .

كانت حلب وقتذاك يحكمها سعد الدولة بن سيف الدولة (٣٥٦ — ٣٨١ هـ) ولم يكن سعد الدولة كأبيه عقلا وتدبيرا . فعصى عليه جند حلب سنة ٣٥٧ هـ ، فنازلها وبقى القتال عليها مدة ، واستولى الرعيلى على انطاكية ، وجاءت الروم ، فنزلوا عليها وأخذوها ، وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان ناجين بأنفسم من الروم . فأسر هؤلاء أهل انطاكيـة ، وقتلوا أناسـا من أكابرهم . وقال عظيم الروم لما ضيقوا عليه : « ارحل واخرب الشـام كله وأعود اليكم من الساحل ورحل فى اليوم الثالث ، ونزل معرة مصرين فأخـذها ، وغدر بهم ، وأسر منهم أربعة آلاف ومائتى نسمة ثم سـار الى عرقة فافتتحها . ثم سـار الى طرابلس فأخذ ربضها ، وأقام فى الشـام أكثر من شهر ورجع ، فأرضـاه أهل انطـاكية بمال عظيم ، وأحرق حمص ، وقد أخـلاها أهلها ، وملك ثمانيـة منبرا ، وعـاد الى بلاده بالاسرى والاموال[2] .

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٤٧ وابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٤٤ . وقد أوردنا القصـيدة المسماة « القصيدة الارمنية » ، المنسـوبة الى نقفور فوكاس ، حيث يتبين منها نيتـه تجـاه الشعوب الاسلامية .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ٢٠١ .

قال يحيى بن سعيد الانطاكى » أن نقفور فوكاس لما توجه الى الشـــام ، خافه سعد الدولة فخرج عن حلب الى بالس ، واستخلف فيها قرعويه الحاجب ، ونزل الملك (نقفور) على انطاكية وأقام يومين ورحل فى اليوم الثـــالث ، ونزل على معرة مصرين ، وأمن أهلها من القتل ، وكانت عدتهم ألفا ومائتى نفس ، وسيرهم الى بلد الروم ، وفتح معرة النعمـــان وحماه وحمص • وأخـــذ منها رأس القـــديس يوحنا المعمدان ، ونزل على طرابلس ، وأحرق ربضها ، وحاصر مدينة عرقة تسعة أيام ، وكان لها حصن منيع ففتحه بالسيف ، وأخـــذ منها خلقا كثيرا كانوا التجأوا اليه من الاقاليم المجـــاورة ، وأخذ منه مالا كثيرا ، وكان فى الحصن أمير طرابلس أحمد بن نحرير الارغلى ••• وفتح حصن انطرطوس ومرقية وحصن جبلة ، وصـــالح أصـــحاب اللاذقية عليها ، وخرب كثيرا من القرى ، وعبر بانطاكية ، وميز السبى الذى معه ، وأعتق عليها من الشيوخ والعجائز زهاء ألف نفس ، وبنى حصن بغراس مقابل انطاكية فى فم الدرب ، ورتب فيه رئيســـا يقال له ميخائيل البرجى ورسم لســـائر أصحاب الأطراف طاعته ، ورتب معه ألف رجل ورجل الى القسطنطينية ••[1] » •

ومما يدل على مدى غلظـــة وفظـــاعة نقفور ووحشيته فى بلاد الاسلام ، ذلك الوصف الذى أورده ابن كثير مصحوبا « بالقصـــيدة الارمنية » من نظم بعض كتـــاب نقفور — ممن يعرفون العربيـــة — والتى أرسلها نقفور فوكاس للخليفة العباسى « المطيع لله[2] (٣٣٤ — ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ — ٩٧٤ م) • حيث يقـــول ابن كثـــير : « كان هـــذا الملعون — يقصـــد نقفور — من أغلظ القلوب ، وأشـــــدهم كفرا ، وأقواهم بأســـا ، وأحدهم شـــوكة ، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين فى زمانه • استحوذ فى أيامه — لعنه الله — على كثير من الســـواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدى المسلمين قسرا ، واستمرت فى يده قهرا ،

---

(١) الانطاكى : تاريخـــه ، ومحمد كرد على : خطط الشـــام ١/ ٢٠١ — ٢٠٢

(٢) هو أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله بن المعتضد العباسى

وأضيفت الى مملكة الروم قدرا »(١) .

ولا يفوت ابن كثير أن يورد السبب الذى مكن نقفور من رقاب المسلمين وبلادهم آنذاك فيقول : « .... وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العضيان من الخاص والعام منهم ، وفشو (انتشار — أو شيوع) البدع فيهم ، وكثرة الرفض ، والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديل عليهم (تغلب عليهم) أعداء الاسلام ، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ، ونكد العيش ، والفرار من بلاد الى بلاد ، فلا يبيتون ليلة الا فى خوف من قوارع الاعداء ، وطوارق الشرور (أى النوازل) المترادفة (أى المتتالية) ..... وقد كان — لعنه الله — لا يدخل فى بلد الا قتل المقاتلة ، وبقية الرجال ، وسبى النساء والاطفال ، وجعل جامعها اصطبلا لخيوله ، وكسر منبرها ، واستنكث مأذنتها بخيله ورجله وطبوله(٢) .

وقد أرسل قصيدة الى الخليفة المطيع لله العباسى ، نظمها له بعض كتابه — ممن كان قد خذله الله وأذله — هذا نصها :

من الملك الطهر المسيحى مالك ... الى خلف الأملاك من آل هاشم
الى الملك الفضل المطيع أخى العلا ... ومن يرتجى للمعضلات العظائم
أما سمعت أذناك ما أنا صانع ... ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم
فان تك عما تقلدت نائما ... فانى عما همنى غير نائم
ثغوركم لم يبق فيها لو هنكم ... وضعفكم الا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الأرمينية كلها ... بفتيان صدق كالليوث الضراغم
ونحن صلبنا الخيل تعلك لجمها ... وتبلغ منها قضمها للشكائم
الى كل ثغر بالجزيرة آهل ... الى جند قنسرينكم فالعواصم
ملطية مع سميساط من بعد كركر ... وفى البحر أضعاف الفتوح التواخم
وبالحدث الحمراء جالت عساكرى ... وكيسوم بعد الجعفرى للمعالم

---

(١) راجع ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٣٤ — ٢٤٦
(٢) ابن كثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٤٥ — ٢٤٦

وكم قد ذللنا من أعــزة أهلها ... فصاروا لنا من بين عبد وخادم
وسد سروج اذ ضربنا بجمعنــا ... لنــا رتبــة تعلو على كل قائم
وأهل الرها لاذوا بنــا تحزبوا ... بمنديل مولى علا عن وصف آدمى
وصبح رأس العين منــا بطارق ... ببيض غزوناها بضرب الجماجم
ودارا وميــافارقين وأرزنــنــا ... اذقناهم بالخيل طعــم العلاقم
واقريطش قد جازت اليها مراكبى ... على ظهــر بحر مزبــد متلاطم
فحزتهم أسرى وسيقت نساؤهم ... ذوات الشعور المسبلات النواعم
هناك فتحنــا عين زربة عنــوة ... نعم وأبــدنا كل طاغ وظالــم
الى حلب حتى استبحنا حريمها ... وهــدم منها ســورها كل هادم
أخذنا النسا ثم البنات نسوقهم ... وصبيانهم مثل المماليك خــادم
وقد فرعنها سيف دولة دينــكم ... وناصركم منا على رغــم راغم
وملنا على طرسوس ميلة حازم ... اذ لمن فيهــا أحــز العلاقــم
فكــم ذات عــز حــرة علوية ... منعمة الاطراف ريا المعاصــــم
سبينا فسقنا خاضعات حواسرا ... بغير مهور ، لا ولا حكم حاكم
وكم من قتيل قد تركنا مجندلا ... يصب دما بين اللهــا واللهازم
وكم وقفة فى الدرب أفنت كماتكم ... وسقناهم قسرا كسوق البهائــم
وملنــا على أرياحكم وحريمهــا ... مدوخة تحت العجاج الســواهم
فأهوت أعاليها وبــدل رســمها ... من الأنس وحشا بعد بعض نواعم
اذا صاح فيها البوم جاوبه الصدى ... واتبعه فى الــريح نوح الحمــائم
وانطــاك لم تبعــد على واننى ... سأفتحها يــوما بهتك المحــارم
ومسكن آبــائى دمشــق فاننى ... سأرجع فيها ملكنا تحت خاتمى
ومصر سأفتحها بسيفى عنــوة ... وآخــذ أموالا بهــا وبهــائمى
وأجــزى كافــورا بما يستحقه ... بمشط ومقراض وقص محاجــم
الا شمروا ياأهل حمدان شمروا ... أتتكم جيوش الروم مثل الغمائم
فان تهربوا تنجوا كراما وتسلموا ... من الملك الصادى بقتل المسالم
كــذاك نصيبين وموصــلها الى ... جــزيرة آبائى وملك الاقــادم

سأفتح ساماً وتوثا وعكبرا ... وتكريتها مع ماردين العواصم
واقتل أهليها الرجال بأسرها ... واغنم أموالا بها وحرائم
ألا شمروا يا أهل بغداد ويلكم ... فكلكم مستضعف غير رائم
رضيتم بحكم الديلمى ورفضه ... فصرتم عبيدا للعبيد الديالم
ويا قاطعى الرملات ويلكم ارجعوا ... الى أرض صنعا راعيين البهائم
وعودوا الى أرض الحجاز أذلة ... وخلو بلاد الروم أهل المكارم
سألقى جيوشا نحو بغداد سائرا ... الى باب طاق حيث دار القماقم
وأحرق اعلاها وأهدم سورها ... واسبى ذرا ريها على رغم راغم
واحرز أموالا بها وأسرة ... واقتل من فيها بسيف النقائم
واسرى بجيشى نحو الاهواز مسرعا ... لاحراز ديباج وخز الواسم
وأشعلها نهبا واهدم قصورها ... واسبى ذراريها كفعل الاقادم
ومنها الى شيراز والرى فاعلموا ... خراسان قصرى والجيوش بحارم
الى شاس وبلخ بعدها وأخواتها ... وفرغانه مع مروها والمخازم
وسابور أهدمها وأهدم حصونها ... واوردها يوما كيوم السمائم
وكرمان لا أنس سجستان كلها ... وكابلها النائى وملك الاعاجم
أسير بجندى نحو بصرتها التى ... لها بحر عجاج رائع متلازم
الى واسط وسط العراق وكوفة ... كما كان يوما جندنا ذو العزائم
وأخرج منها نحو مكة مسرعا ... أجر جيوشا كالليالى السواجم
فاملكها دهرا عزيزا مسلما ... أقيم بها للحق كرسى عالم
واحوى نجدا كلها وتهامها ... وسوا واتهام مذحج ومخاطم
وأغزو يمانا كلها وزبيدها ... وصنعاءها مع صعدة والتهائم
فاتركها أيضا خرابا بلاقعا ... خلاء من الاهلين أهل نعائم
واحوى أموال اليمانية كلها ... وما جمع القرماط يوم محارم
أعود الى القدس التى شرفت بها ... بعز مكين ثابت الاصل قائم
واعلو سريرى للسجود معظما .. ... وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
هنالك تخلو الارض من كل مسلم ... لكل نقى الدين أغلف زاعم

نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم — واعلنتموا بالمنكرات العظائم
قضاتكم باعوا القضاء بدينهم — كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهرا — وبالافك والبراطيل مع كل قائم
سأفتح أرض الله شرقا ومغربا — وانشر دينا للصليب بصارمى
فعيسى علا فوق السموات عرشه — يفوز الذى والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى — فصار رفاتا بين تلك الرمائم
تناولتم أصحابه بعد موته — بسب وقذف وانتهاك المحارم

كما يذكر الانطاكى[1] « أن المسلمين أيقنوا أن « نقفور فوكاس » سوف يستولى على كل بلاد الشام وسائر الاقاليم • اذ أصبحت اغاراته متعة لعساكره ، خاصة وانهم لم يكونوا يواجهون مقاومة أو هجوما مضادا • بل كانوا يسيرون أينما شاءوا ، فيدمرون ويخربون ما يريدون ويشتهون ، دون أن يلتقيهم أو يواجههم أحد المسلمين ، يحول بينهم وبين بغيتهم « • وذلك لما انتاب العالم الاسلامى وقتذاك — القرن الرابع — من تفكك ، وتنازع على السلطات ، وعلى امامة المسلمين ، فضلا عن المنازعات الداخلية فى كل قطر أو اقليم •

لذلك كانت النتيجة الطبيعية لمثل تلك الاوضاع المتردية ، التى عاشها العالم الاسلامى وقتذاك ، ان انساح نقفور بقواته فى بلاد الاسلام ، دون أن يجد من يردعه • أما المؤرخ اليونانى (البيزنطى) ليو الشماس — وكان معاصرا لأحداث القرن الرابع الهجرى فى نصفه الاخير — فقال — بزهو — عن نقفور انه لو لم يلق مصرعه لاستطاع أن يمد أطراف دولتهم (البيزنطية) الى الهند شرقا ، والى تخوم الأرض غربا أى الى المحيط الأطلسى[2] • وهو ما عقبنا عليه سابقا •

فلما تسلم يوحنا يزمسكيس عرش الامبراطورية البيزنطية —

---

(١) الانطاكى : تاريخه (صله اوتيجا) منشور فى مجلة Patrologia Or. 8, 825 - 826. وراجع ابن كثير : البداية والنهاية ١١/٢٤٣ — ٢٤٤ والعرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٢٦ •

(٢) عن العرينى راجع : Schlumberger, L' Epopee, P. 224.

خلفا لنقفـور فوكاس — (٩٦٩ — ٩٧٦ م / ٣٥٩ — ٣٦٦ هـ) والى سياسة الفتح فى كيليكيا (قلقية) وسورية . لكنه فى السنوات الاولى من حكمه ، لم يشارك فى الحـرب بنفسه فى الجبهـة الشرقية ضـد المسلمين . وذلك بسبب انشغاله بحـرب الروس والبلغـار وثـورة « باراداس فوكاس » Barades Phocas . وقد وفق يوحنا زيمسكيس فى مواجهة الروس والبلغار ، واخماد ثرة باراداس فوكاس ، كما تغلب على المشاكل التى واجهت الامبراطورية البيزنطية فى ايطاليا ، بمصاهرة وارث التاج الالمانى اوتو الثانى Otto II امبراطور المستقبل ، مما أتاح له فرصة التفرغ للجبهة الاسلامية فى بلاد الشام[1] .

كانت أولى الحملات التى شـنها الـروم على مناطق الثغـور الاسلامية فى عهد زيمسكيس ، بقيادة القائد مليـاس (مليح الأرمنى عند العرب) فى سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) . فقصد الى اقليم الجزيرة ، حيث أغار على مدينة الرها (أديسا Edessa) ، وبلغ نصيبين فملكها وأحرقها وسبى من المسلمين ، وفعل مثل ذلك فى ديار بكـر . ولـم يستطع أبو تغلب الحمـدانى أن يحرك سـاكنا لصـد هذه الحملة البيزنطية[2] . بل أنه — أى أبى تغلب — دفع للقائد البيزنطى مبلغا من المال مقابل الكف عن عدوانه ، ولاطفه ، وهـاداه ، ومازاه (أى قدم له الميره ومالأه) وقاد اليه الخيل العتاق ، ومما هو عون للكفـر على الايمان ، وكان فيما اتحفه به الخمر الذى حظر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وصليبان ذهب صاغها له وتقرب بها اليه[3] .

(ب) موقف الخلافة العباسية من هذه الأحداث :

أحدثت هذه التطورات على جبهـة الشـام رد فعـل غاضب وعنيف بين جماهير المسلمين فى بغداد — عاصمة الخلافة العباسـية — التى سارت فى تظاهرات أمام دار الخلافة ، واتهمت الخليفـة المطيع

---

(١) Vasiliev : Hist., of Byz. Emp. P. 310, and Camb. Med. Hist. Vol., 4, P. 174.

(٢) Camb. Med. Hist., Vol., 4, P. 147.

(٣) الصابى : رسائل الصابى جـ ١ ص ٨٩ .

لله بن المقتـــدر (٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ ـ ٩٧٤ م) بالعجـز عن مناجزة الروم ومناهضتهم ، فوعد بشن الغارة عليهـم . وكتب بذلك الى أبى تغلب الحمدانى يأمره باعداد العـدة لذلك الغرض[1] . وفى ذلك يذكر ابن مسكوية[2] : ... أن الكتب وردت عليه (أى على الخليفة المطيع لله) بأن الروم غزوا نصيبين فملكوها ، وأحـرقوها ، وقتلـوا الرجال ، وسبوا الذرارى ، ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكـر ومدينة السلام (بغداد) ، واستنفروا المسلمين فى المساجد الجامعـة ، والأسواق ، وحكوا انفتاح الطريق للروم ، وانه لا مانع لهم من تورد ديارهم ، وهى متصلة بالعراق . فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد ، ساروا الى دار المطيع لله ، وحاولوا الهجوم عليها ، وقلعوا البعض من شبابيكها ، فأغلقت الأبواب دونهم ، بعـد أن كادوا يصـلون اليـه ويأتون عليـه ، فاسمعوه ماكره ، ونسبوه الى العجز . عمـا أوجب الله على الأئمة ، وتجاوزوا ذلك الى ما يقبح ذكره » ، وقد أيده فى ذكر هذه الحادثة ووصفها أيضا ابن الأثير ...[3] .

على أن موقف المسلمين تحسن قليلا ، بفضل ما أحـرزه هبة الله ابن ناصر الدولة الحمدانى من نصر على الروم فى ميافارقين ، آخر شهر رمضان ٣٦٢ هـ وأسره للدمستق (القائد) الذى حبسه أبو تغلب الحمدانى . فساءت حالة الدمستق فى الأسر ، ولـم يلبث أن مات فى ٤ يوليو ٩٧٣ م (٣٦٣ هـ)[4] . « وكانت عدة الدمستق عظيمة كثيفة ، لكنه انحصر فى مضيق لا تجول فيـه العساكر ، وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهبة تامة ، فانهزم الروم ، وأخذ الدمستق أسيرا . وتمكن المسلمون منهم ، وأعز الله دينه ، وكثر القتل والأسر فى الروم ، حتى أرسلت الكثير من رؤوس وأيدي قتلاهم لبغداد لتشهر هناك » ، ولترفع من معنويات عامة المسلمين ... ، بعد أن اثر فيهم ما وقع قبل

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٤٣ ـ ٤٤٤ .
(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٤٤ .
(٤) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٤٥ .

ذلك على يد مليح الأرمنى فى نصيبين والرها وديار بكر سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م)[1] .

ومن ناحية أخرى ، حاول الخليفة الفاطمى — حاكم مصر وجنوب بلاد الشام — استعادة مدينة انطاكية فى سنة ٣٦١ هـ[2] . لكن اغارات القرامطة على القوات الفاطمية ، اضطرته الى فك الحصار عن المدينة ، فأرسل الروم اليها ميخائيل البرجى حاكما ، فأعاد بناء سـور المدينة (انطاكية) الذى تهدم[3] .

وعلى الرغم من انشغال زيمسكيس بحروبه ضد الروس والبلغار ، التى لم يفرغ منها نهائيا حتى ٩٧٤ م (٣٦٣هـ) فانه سار فى هذا العام (٩٧٤ م) على رأس حملة الى الجبهة الشرقية (الاسـلامية) لتأمين الحدود مع ارمينية ، وتدعيم النفوذ البيزنطى هناك . حيث عقد حلفا مع حكامها ، ومر فى طريقه بآمد وميافارقين ونصيبين[4] .

وقد تميزت حملة زميسكيس هذه بالرسالة التى كتبها الى حليفه الأرمنى الملك اشو الثالث ملك أرمينية البجراطى . وهـذه الرسـالة تعتبر وثيقة هامة ، نستدل منها على أن خطة زيمسكيس كانت تهـدف الى السيطرة — كسلفه نقفور فوكاس — على بيت المقدس وأخـذه من المسلمين ، بحرب صليبية يشنها على العالم الاسلامى .

على أن يوجنا زيمسكيس — قبل أن يهبط الى اقليـم الجـزيرة — عبـر نهر الفرات ، وتـوغل فى اقليـم طارون (دارون) Daron بأرمينية ، المتاخم للشاطىء الغربى لبحيرة Van حيث أقام معسكره

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٤٧ والعريني : الدولة البيزنطية ص ٤٧٤ ، ٤٧٩ .

(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٣١٢ .

(٣) Camb. Med., Hist., Vol., 4, P. 147.

Schlumberger : L'Epopee, P. 244 - 245.

(٤) فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

أمام حصن انتزيابرد Atzia berd المعروف بقلعة المعيز — وقد أخبرنا جروسيه Grousset — نقلا عن ماثيو الادسى — أن حملة زيمسكيس العسكرية على الحدود الارمينية ، كانت قد سبقتها فترة من التوتر بين الامراء الارمن والامبراطورية البيزنطية . فلما تواتر خبر حملة زيمسكيس ووجهتها ، تجمع الأمراء الأرمن حول مليكهم أشو الثالث البجراطى ، وهم يتخوفون مما ستسفر عنه الأحداث المقبلة . وكان ممن حضر هذا التجمع بقواته : الابن الثالث لاشو الثالث وهو الامير جورجين أمير جوجارك ، وعباس (اباز) Abas بن موشيل ملك قارص Kars نيابة عن والده ، والامير فيليب السيونى سيد كابان Kapan باقليم ملك (شوشه) بسيونيا الشرقية وعدد كبير من زعماء ارمينية وامرائها . وكلهم قد جمعهم شعور الكراهية ضد النفوذ البيزنطية[1] .

وكان المكان الذى تجمع فيه الارمن بقواتهم هو منطقة هارك (الهرق . Hark الهرك) بين ملازكردوزرناك Zarnak ، وهو موقع ملائم للدفاع عن اقليم الفاسبوراكان وأرمنية البجراطية ، ضد أية قوات بيزنطية ، يمكن أن تتقدم من ناحيه اقليم طارون . وقد بلغ مجموع الحشد الارمينى نحو ثمانين ألف مقاتل . وبمعنى آخر — كما يذكر جروسيه — «كانت كل الأمة الأرمينية مجتمعة تحت السلاح فى مكان واحد»[2] .

فلما علم يوحنا زيمسكيس بتجمعات الأرمن ، واستعدادهم للمقاومة ضد التدخل ، لم يستمر فى خطته ، ايثارا منه لكسب ود الارمن ومناصرتهم له ، فى جهوده المقبلة ضد عالم الإسلام . فتودد للأمراء الأرمن ، وخلع عليهم الالقاب ، ومنحهم الرتب . وقد نجحت المساعى لمبعوثيه فى عقد معاهدة سلام وتحالف أرمينى — بيزنطى ليتفرغ للجبهة مع المسلمين[3] .

---

(١) Grouset : Hist. de L'Armenie, P. 495.

(٢) Grouset : Ibid., P. 496.

(٣) Grousset : Ibid., P. 496.

وعلى الرغم من معاهدة السلام والتحالف الأرمينية — البيزنطية التى عقدت ، الا أن مخاوف الروم من وقوع صدام بينهم وبين الارمن ، ظلت مسيطرة على تحركات وتصرفات الادارة البيزنطية . لا سيما اذا علمنا أن أبناء اقليم طارون لم يكونوا راضين عن الانضمام فى معاهدة تحالف ضد المسلمين[١] .

وأيا كان الامر فقد دل اجتماع الارمن ، والتفافهم حول قائد واحد — هو مليكهم أشوط الثالث البجراطى — على ما كان فى مقدور أرمينية أن تفعله طوال العصور الوسطى ، لو أن الانقسامات المستعصية فى صفوف زعمائها الاقطاعيين لم تمدق قوتها . كما يجب ألا يغيب عن بالنا جنسية الامبراطور زيمسكيس الأرمينية . مما يجعلنا نتساءل هل كان الامبراطور — زيمسكيس الارمينى الذى تحول الى الارثوذكسية اليونانية وأصبح وريثا للقياصرة — يحلم بضم وطنه الاصلى الى أملاك امبراطورية الروم ؟ أم أن سلالته الأرمينية — على العكس من ذلك — أوقفته فى آخر لحظة ومنعته من المضى فى طريق الانفصام ؟ . فلعل هذا التعاطف العرقى العنصرى اللا ارادى ، قد قوى فى نفسه النصائح الحكيمة التى أملاها عليه مشهد الاستعدادات للمقاومة التى نظمها أشوط وسائر الامراء الأرمن وقتذاك . وكانت النتيجة هى أن أرمينية ، بدلا من أن تدخل فى صراع مع زيمسكيس ، زودته بأشجع جندها ، من أجل شن الحرب الصليبية البيزنطية التى جردها ضد العالم الاسلامى[٢] ،

والمعروف أن ملك أرمينية البجراطى أشوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧م) كان قد اتخذ سياسة — المسالمة والمهادنة منهجا فى التعامل مع المسلمين. وبذلك استطاع أن يكسب ود الخليفة العباسى فى بغداد ، بعد أن أنزل أشوط الثالث الهزيمة بأحد الثائرين — على الخلافة — الذى عاث فسادا فى أذربيجان والجزيرة وقتذاك[٣] . وقد رأينا كيف خرج الملك الأرمينى

---

(١) Grousset : Ibid., P. 496 - 497.

(٢) Grousset : Ibid., P. 497 - 498.

(٣) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ١٧٢ — ١٧٣
Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

أشـوط الثـالث وسـائر أمراء أرمينيـة — رغم ما كان بينهم من خـلافات داخليـة — بجيش قوامـه ثمـانين ألف مقـاتل للقـاء ورصـد تحركات ذلك الامبراطور البيزنطى زيمسـكيس ، الذى كان حريصا على تدعيم الوجود البيزنطى فى الجبهة الأرمينية ، قبل زحفه الى بغداد[1] .

ولذلك أجرى زيمسكيس مفاوضـات مع ملك أرمينية أشـوط الثالث وأمراء أرمينية ، انتهت بعقد معاهدة بين الطرفين نصت بنودها على تعهـد نظام الحكم الأرمينى بمسـاعدة الامبراطور البيزنطى فى عملياته العسكرية ضد المسلمين[2] . وتبودلت المراسـلات بين كل من الامبراطور البيزنطى زيمسـكيس (وهو أرمينى الاصـل) والملك الأرمينى « أشـوط الثالث » كان من بينها تلك الرسـالة التى يرجع تاريخها الى ما قبل عام ٩٧٥ م ، ونص الرسـالة جاء فيه[3] :

« يا أشـوط يا شاهنشـاه أرمينية الكبرى ، يا بنى الروحى أنصت الى ، ولتعلم الاعاجيب التى أتاها الرب لصالحنا ، وانتصاراتنا التى تنم عن اعجـاز ، والتى تدل على أنه يستحيل سبرغور العناية الالهية . واننا نريد يا صـاحب المجد ، يا أشـوط ، أن نطلعك على الدلائل السـاطعة على الفضـل ، الذى أضـافه الرب الى نعمه هذا العام ، على يد جلالتنـا ، وأن نبصرك بها . فأنت بوصفك مسيحيا وصديقا وفيا لجلالتنا ، سـوف تسعد بذلك وتلهج بعظمـة مولانا المسيح السـامية . وهكذا سـتعرف أن الرب لا يكف عن حمـاية المسيحيين ، وهـذا الذى أتاح لجلالتنـا أن نخضع كل بلاد الشرق الفارسى . وستعرف كذلك كيف استولينا على نصيبين مدينة المسلمين وعلى مخلفـات البطريق القـديس جاك (الصيبى) وكيف أجبرناهم على دفع الجزية ، التى يدينون لنا بها ، وكيف أخـذنا منهم الاسرى »

---

(١) : Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٧٩/٤٨٠ .

(٣) راجـع عمـر كمال تـوفيق : مقـدمات العـدوان الصليبى ص ١٦٥ — ١٧١ .

« لقد كانت حملتنا تهدف أيضـا الى الاقتصـاد من كبرياء أمير المؤمنين وزهوه ، وهو ملك الافريقيين المعروفين بالعرب المغـاربة ، (وهو يقصـد الخليفة الفاطمى) ، الذى كان قد تصـدى لنا بقوات هائلة عرضت جيشـنا فى البداية لاخطر[1] ... ولكننا هزمناها بعد ذلك بفضـل القوة وعون الرب . فانسحبت فى خزى ، شـأنها شان أعدائنا الآخرين ، وعندئذ جعلنـا من أنفسنا سـادة على بلادهم ، حكمنا بقطع رقاب أهالى عدة أقاليم ، وبعد ذلك تعجلنـا بالانسحاب وعدنا الى قواعدنا الشتوية .. » .

« واذا كنـا قد أطلعناك ، يا صـاحب المجد ، على جميع هذه الحقائق ، فلكى يثير سردها فيك الاعجـاب .. وحتى تلم بالأعمـال العظيمة ، التى تم انجـازها فى هذا الزمن ، وما أكثر عددها .. »[2]

وفى خريف عام ٩٧٤ م ، (٣٦٣ هـ) سـار زيمسكيس بقواته جنوبا ، فأغار على الجزيرة (ما بين النهرين) وعبر الفرات من ناحية ملطية ، ثم يمم نحو الجنوب الغربى ، قاصـدا آمد على نهر دجلة ، التى كان المسلمون قد استعادوها — بعـد أن هزموا مليح الارمنى بقواته — فاستولى زيمسـكيس عليها ، وافتدى أهلها أنفسهم ، بما دفعوه من أموال وفيرة . كما هاجم الجيش البيزنطى مدينة ميافارقين فنهبها ، وأشعل فيها الحرائق . وحازت قوات الروم منها الكثير من الغنائم . ثم توجهت الى نصيبين فاستباحوها بعد أن هجرها سكانها .

---

(١) لعل هذه تعتبر اشارة صريحة لما يكبده الروم من خسائر فادحة على يد القوات الفاطمية فى مرحلة من مراحل المواجهة الاسلامية البيزنطيـة (الصليبية) . وبخاصة موقعتى رمطة والمجاز أمام صقلية سنة ٣٥٤ هـ ، ثم الحملة الفاطمية التى هدفت الى اسـترداد انطاكية . سنة ٣٦١ هـ . راجع صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية ص ٢٠٨ و
Camb. Med. Hist., 4, P. 149.

(٢) الجدير بالذكر أن صحة هذا الخطاب كانت موضع خلاف ونزاع . فثمة بعض النقاد يرون فيه عملا أدبيا ، على غرار الخطب ، التى يؤلفهـا المؤرخون اليونانيون واللاتين لأبطالهم . واذا كانت الفقرات المتعلقة بالحملة على سوريا ولبنان قد أيدها أمثال يحيى بن سـعيد الانطاكى ، فان الفقرات التى تتعلق بالجليـل تبـدو مبـالغا فيهـا بدرجـة كبيرة . راجـع عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ١٧١ و
Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 498 - 499.

وأقام بها زمسكيس الى أن تقرر الحال بينه وبين أبى تغلب بن حمدان على هدنة ومال يتعهد أبو تغلب الحمدانى ، بدفعه اليه سنويا على أن يدفع جانبا منه عاجلا[١] . وقد استولى يوحنا زيمسكيس فى هذه الحملة على بعلبك كما سلمت له دمشق صلحا ، وأقرت بدفع الجزية ، وخضعت له منطقة طبرية والناصرة وقيصرية صلحا[٢] .

أما عن الموقف فى الخلافة العباسية ، فقد خلع الخليفة العباسى المطيع لله (٣٣٤ — ٣٦٣ هـ) ، واعتلى ابنه « الطائع لله » عرش الخلافة سنة ٣٦٣ هـ[٣] . وكان خلع المطيع لله بسبب ظهور عجزه عن مواجهة أخطار الروم ، وفشله فى فض النزاع بين السنة والشيعة فضلا عن فشله فى اخماد ثورات واضطرابات العساكر الأتراك[٤]

أما عن الرسالة التى أرسلها زيمسكيس للملك الارمينى أشوط الثالث الجراطى عام ٣٦٤ هـ (٩٧٥ م) ، والتى أوردنا بعضا منها فيما سبق ، فتشير الى المواضع التى هاجمها الروم فى ربيع هذا العام . اذ استولى على بانياس ، وزحفوا الى طبرية وعين عليها حاكما بيزنطيا (استراتيجوس) ، ثم توجه زيمسكيس بقواته الى عكا . حيث لم تجد قواته هناك أدنى مقاومة فاطمية ، فزحف حتى وصل الى قيسارية[٥] .

على أن الملاحظ أن تلك الرسالة لم يرد فيها ما يشير الى مسير الجيش البيزنطى من انطاكية الى القسطنطينية . ولعل هذا

---

(١) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٨٠ .

(٢) Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 498.

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية ص ٢١٠ .

(٣) تولى «أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله » بن المطيع لله بن المقتدر بالله سنة ٣٦٣ هـ وظل يحكم حتى سنة ٣٨١ هـ (٩٧٤ — ٩٩١ م . راجع : زامباور معجم الانساب والأسرات + بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٣٠ .

(٤) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٨١ .

(٥) . الانطاكى : تاريخه ص ١٤٥ ،.

Schlumberger : L'Fpopee Tome I, P. 843.

يوحى بأن هـذه الرســالة تم تحريرها اما أثنـاء وجـود القوات البيزنطية فى انطـاكية ، أو أثناء ســير زيمسكيس بقواته ــ وقـد أسـكرته خمر النصر ــ الى عاصمته القسطنطينية • وأيا كان الامر فقد أسهم زيمسكيس بعمله هذا فى اذكاء ونمو روح العـداء الصليبية البيزنطية ضـد العالم الاسـلامى ، وهى الروح التى كان قد أطلق شرارتها القائد البيزنطى الصليبى ــ ثم الامبراطور بعد ذلك ــ نقفور فوكاس[1] •

وفى سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) خرج يوحنا زيمسكيس ملك الروم فى جيوش عظيمة من النصرانية ، كان أولها فى منطقة عقـاب الروج ، وآخرها فى الغرزل من علاه قفرة النعمان ، فنزل على أفامية ، ثم رحـل ففتح بعلبك ، وأسر أهلهـا وكانوا قد تحصـنوا فى الملعب ، كمـا حـاصر طرابلس ، ثم انصرف عنها[2] • ثم لم يلبث زيمسـكيس أن مات فى مستهل عام ٩٧٧ م مسموما بيد ثيوفانو •

أثناء هذه الفترة كان الخليفـة الفاطمى (العزيز بالله ٣٦٥ — ٣٨٦ هـ) يرغب فى حلب • فانجـد بكجور ضـد سعد الدولة الحمدانى الذى اضـطر للاستعانة بالروم • فأمدوه بجيش بقيـادة ميخائيل البرجى صاحب أنطـاكية ، الذى حلت به الهزيمـة فى عهد سـعد الدولة[3] •

وفى عام ٣٦٨ هـ رد الامبراطور البيزنطى باسيل الثانى ولاية اللاذقية الى كرموك ، لشـنه الغارة على طرابلس وما يليها ، وقتله وأسره من أهلها ومن المغاربة خلقا كثيرا[4] • ثم سار القائد البيزنطى الى حلب سنة ٣٧١ هـ ، ليطالب سعد الدولة بمال الهـدنة ، على أن يحمل للروم كل سنة ٤٠٠,٠٠٠ درهم فضـة نقية ، صرف كل عشرين

---

(١) Ostrogrowsky : Hist. of Byz. State,P. 264.

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٥٢/١ •

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٣٨ والانطاكى تاريخـه ١٧٦ وما بعـدها •

(٤) محمد كرد على : خطط الشام ٢٠٣/١ •

درهم بدينـــار • وقد اعترف لهم سعد الدولة سنة ٣٧٣ هـ — بسبب إختـــلال البلاد عليه ، وسعيا الى تمديد الهدنة — بالســـيادة وتعهد بأداء الجزية الســـنوية لبســـتظل بالحمـــاية البيزنطيـــة ، هربا من السيادة الفاطمية[١] •

لكن ســـعد الدولة لم يلبث أن رفض أداء الجزية • فاستولى الروم على كليس ، وأوقعوا بجماعة من الحمدانيين ، وحاصروا أفامية وقاتلوها أشـــد قتال ، وجاءوا الى حلب • هذا بينما ســـار قرعويه الى دير سمعان فحاصره ثلاث أيام وفتحه بالسيف ، وقتـــل جماعة من رهبانه ، وسبى خلقا كانوا قد التجأوا اليه من انطـــاكية ، ودخلوا بهم الى حلب وأشـــهروا بها • كما أنفـــذ الروم سرية الى كفر طاب حيث أوقعت بالعرب وجماعة من الحمدانية[٢] •

وفى سنة ٣٧٦ هـ يتوتر الموقف أكثر بين الروم وصـــاحب حلب (سعد الدولة بن سيف الدولة) • حيث رفضـــوا الصلح معه حتى يدفع المتـــأخر عليه من الجزية • وســـار الامبراطور بسيل المقدونى بجيشه فحاصر حلب ، وفتح حمص وشيزر ، وأقام على طرابلس • واستمرت معاهدة صـــاحب حلب منذ وقعها ســـعد الدولة الى سنة ٣٩٢ هـ — أى الى نهـــاية حكم ســـعيد الدولة أبو الفضـــائل (٣٨١ — ٣٩٢ هـ)[٣] •

وهكذا أصبحت الدولة الحمدانيـــة بعد عزها على عهـــد سيف الدولة ، ذليلة خاضعة لسلطان غيرها فى عهـــد من خلفه • ولا غرو فقد تنابذ المسلمون بالعـــداء ، وصـــار باسهم بينهم شـــديد ، فلا جرم أن يطمع فيهم عدوهم •

لقد وقع القتال بين منجوتكين والقوات الحمدانية على أفامية فانهزم الحمدانيون سنة ٣٨٢ هـ وقتل وأسر جماعة منهم ونزل منجوتكين على

---

(١) محمد كرد على : خطط الشام ٢٠٤/١ •
(٢) محمد كرد على : خطط الشام ٢٠٣/١ — ٢٠٤ •
(٣) زمباور : معجم الانساب ٢٠١/٢ + ابن خلكان : وفيات جـ ١ ص ٦٤٠ •

حلب ووقع الحرب فى جميع جوانب المدينــة • ودخل الى أعمــال الروم بسبب اعتقال البرجى (صــاحب انطاكية البيزنطية) لرسوله ونزل على حصن فى بلدة أرتاح فقاتله وسبى وقتل وســار إلى انطاكية فرشقه الانطاكيون بالنشاب • وعاد منجوتكين الى منزلة حلب ورجع القتال[1] •

أما فى اللاذقية فقد قام المسلمون هنــاك بثورة ضــد الروم ، فتوجه اليهم ميخائيل البرجى ، وأخمد ثورتهم وسباهم وحملهم الى الروم • وفى سنة ٣٨٣ هـ تسلم منجوتكين افامية من وفاء خادم سيف الدولة ، ثم رحل الى شيزر وقاتلها وتسلمها من ســوسن غلام سعد الدولة وعاد ثانية لمنازلة حلب[2] •

وقد طلب أبو الفضــائل سعيد الدولة من الامبراطور باســيل أن ينجده ــ وكان باسيل يقاتل البلغار ــ فكلف باسيل نائبه بانطاكية « ميخائيل البرجى » ، بمســاعدة أبى الفضــائل ، على منجوتكين • فلما علم منجوتكين بذلك ، بادر لملاقاة الروم وهزمهم الى انطــاكيــة وأكثر القتل فيهم ، حتى بلغ ما جمعه من رؤوس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس حملت الى مصر • وقد ذكر الانطــاكى فى ذلك أنه « قتل من الروم فى هذه الوقعة التى دعيت بوقعة المخاضة عام ٣٨٤ هـ زهاء خمســة آلاف ، ويمم منجوتكين الى انطاكيــة ، ونهب رســاتيقها وأحرقهــا •• وعاد منجوتكين الى حلب ••• فأقام عليها ثلاثة عشر شهرا ، فعــاد صــاحب حلب إلى مراسلة ملك الروم والاعتضاد به[3]

أرســل ملك الروم النجــدة لصــاحب حلب ، فلما شــارفت النجدة البيزنطية المدينة ، أحرق منجوتكين الخزائن . والأســواق ، والابنية ، التى كان قد استحدثها ، ورحــل فى الحال منهزما ، أمام قوات باسيل البيزنطى الذى نزل على باب حلب ثم رحل •

---

(١) محمد كرد على : خطط ٢١١/١ •

(٢) محمد كرد : نفسه ٢١١/ •

(٣) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ومحمــد كرد على : خطط : ٢١١/١ •

وهكذا ... يستعين المسلمون بعدو الله وعدوهم . تاركين الالتزام بقوله تعالى عز وجل : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ا الا أن تتقوا منهم تقاه ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير ») (سورة آل عمران : آية ٢٨) .

ومن ناحية أخرى ففى سنة ٣٨٦ هـ سير الخليفة الفاطمى العزيز بالله القائد منجوتكين لاخذ حلب[1] . لكن الامبراطور — باسيل الثانى (٩٧٧ — ١٠٢٥ م / ٣٦٦ — ٤١٦ هـ) — ظهر عند أسوار حلب ، وفك عنها حصار القوات الفاطمية وأخذ حمص وشيزر[2] . ثم عقد باسيل الثانى عام ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) صلحا مع الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ) ٩٩٦ — ١٠٢٠ م مدته عشر سنوات . واستمر الجو هادئا بين المسلمين والروم حتى وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمى[3] .

وما أن انتهى الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٧ — ١٠٢٥ م) من توطيد نفوذه فى أرمينية ، وينجح فى تهدئة أو تبريد جبهة المواجهة مع المسلمين فى بلاد الشام بعقده المعاهدة سنة ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) مع الفاطميين ، حتى كرس كل جهوده لمحاربة البلغار والصقالبة وتعقبهم بالقتل والافناء حتى سمى باسم سفاح البلغار[4] .

على أن الصراع البيزنطى ضد الفاطميين حول حلب احتدم مرة أخرى ، بمجرد تخلص باسيل الثانى من متاعبه مع البلغار .

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٥٠٢ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ١٩٢ + ابو المحاسن : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٥٠٣ — ٥٠٤ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٧٢ + فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/ ٢٠٠ — ٢٠١ و :

Camb. Med. Hist., IV, P. 147. and Schlumberger, L'Epopee, II, P. 201, 211.

(٤) Schlumberger : Ibid., II, P. 211.

وصابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ٢١٧/٢١٩ .

الامر الذى انعكس بآثاره السيئة على المدينة وأهلها • فعانت الكثير بسبب حروب الروم ضد الفاطميين وسيادتهم عليها ، بحيث صارت حلب كالكرة تارة يختطفها الروم ، وأخرى يستردها الفاطميون[1] •

بعد أن استعرضنا الحروب بين المسلمين يمثلهم آنذاك الحمدانيون وبين البيزنطيين نستطيع أن نستخلص ما يأتى :

١ — أن ماقام بين الحمدانيين والروم من حرب ، كانت ذات صبغة دينية للفريقين • فالمسلمون اعتبروها جهادا فى سبيل الله ، بينما وقف الروم فى وجه المد الاسلامى ، محاولين بدورهم نشر المسيحية أو على الاقل تثبيت مكانها ومكانة الكنيسة المزعومة فى قلوب الرعايا ، كما حرص الروم على استرجاع الايقونات Icons الدينية كالصور والصلبان ومنديل المسيح • يدلنا على ذلك محاولة ابن الشمشقيق غزو بيت المقدس • وقد خرب كل من الفريقين المتحاربين العمائر الدينية للجانب الآخر[2] •

٢ — أدت هذه الحروب — التى غالبا مابدأها الروم — الى ايقاع الاضرار الاقتصادية والبشرية بكل من الطرفين • اذ أودت بحياة الكثير من سكان المدن والقرى ، وشردت من لم يقتل أو يمت ، وعطلت الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى خلت مدن الحدود (الثغور) من كل مظهر للحياة •

٣ — راح فى هذه الحروب عشرات الآلاف من الفريقين من مختلف الاجناس[3] • •

٤ — حوادث هذه الحروب متكررة متشابهة وهى عبارة عن غارات — أغلبها صيفى — يشنها الفريقان على العواصم والثغور ، فيحرقون

---

(1) Canard.: Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 720.
صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ٢١٨ — ٢١٩ •

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠١ •

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢/٢٠٠ — ٢٠١ •

ويدمرون ويسلبون ويسبيون ثم يعودون الى قواعدهم[١] .

٥ — ان الجاسوسية لعبت دورا كبيرا فى هذه الحروب . فلجأ اليها الفريقان المتحاربان . كما أن الروم استخدموا الرشـــوة لتفريق صفوف الحمدانيين ، الذين ظهر من بين أعوانهم بعض الخونة من أمثال رشيق النسيمى وقرعوية وبكجور[٢] .

وعلى الرغم من أن العداء بين الحمـــدانيين والبيـــزنطيين كان مستحكما ، الا أننا نجـــد فى فترات السلم القصـــيرة أو الهدنات — وبخاصـــة فى فصـــل الشتاء — علاقات سياسية وأخـــرى تجـــارية بين الفريقين . هذا فضـــلا عن العـــلاقات الدينية بين القسطنطينية والبطريركيات الشرقيـــة الموجـــودة فى بلـــدان العـــالم الاســـلامى وأهمهـــا : انطاكيـــة وبيت المقدس (كنيســـة القيـــامة) وكنيســـة الاسكندرية[٣] .

كما يجد الباحث فى التـــاريخ البيزنطى عدة مراســـلات رسمية بين الاباطرة من ناحيـــة ، وبين الخلفاء العباسيين وأمراء العباسيين وأمراء ســـوريا وحكام مصر من ناحيـــة أخـــرى . وقد أرســـل الامبراطور قسطنطين الســـابع (بورفيروجنتس[٤] ٩١٣ — ٩٥٩ م) كثيرا من السفارات الى سيف الدولة بحلب ، ... أورد ذكرها كل من أبو فراس الحمدانى والمتنبى[٥] .

ويكفى أن نعلم أن عمليات تبـــادل الاسرى بين الحمـــدانيين والبيزنطيين ، وما استلزمته هذه العمليات من مفاوضات ومراسلات ، تعد أكبر دليل على أن العداء بين الفريقين (المسلمين والروم) لم يحل دون قيام علاقات سياسية بين الدولتين. فمثلا المعـــاهدة التى عقدت بينهم وبين قرعويه — أحد قادة الحمدانيين — ذات دلالة كبيرة على ما كان

---

(١) ، (٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠١ — ٢٠٢ .
(٣) فيصل السامر : نفس المرجع ٢/٢٠٢ .
(٤) هو مؤلف كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية .
(٥) انظر فيصل السامر : المرجع السابق ٢/٢٠٢ وراجع
Canard : Ibid., P. 51, 69.

قائما وقتذاك من نشــاط تجــارى . كما كانت تعد خطــوة كبيرة فى سبيل تنظيم الشئون المدنية بين الطرفين[١] .

كذلك كان وجـود نوع من العــلائق الدينية بين الطرفين أمرا بالغ الاهمية ، بسبب وجود العناصر النصرانية التى تعيش فى الدولة الاســلامية متمتعــة بجــو التســامح والأمان من جانب المسلمين . وقد أمدنا المؤرخ شيد Chedd بحقائق طريفة عن هذه العلاقات وعن ثورة الكنيســة ورجال الدين المسيحى فى العالم الاســلامى ، وعن العــلاقات التى قامت بينهم وبين الخلفــاء والأمراء المسلمين ، والأســاليب التى اتبعها رجال الدين النصارى ، للوصــول الى كرسى البطريركية فى المدن الاسلامية مثل ، الموصل ونصيبين وبغداد[٢] .

كما مر بنــا ما ذكره المؤرخون من قبول سيف الدولة تبــادل الهدايا مع الامبراطور البيزنطى نقفور فوكاس ، الذى أرســل اليه بغالا وثيابا وديباجا ومصــوغات ذهبيــة ، ورده عليه بمثلها ســنة ٣٥٣ هـ[٣] . حيث قال ابن مســكويه : « وأقام نقفور على المصيصة وهادى سيف الدولة ببغال ودواب وثيــاب وديباج رومية وصياغات ذهب ، وقابله سيف الدولة بهدايا ، فصــار سببا لمقام الدمستق فى بلدان الاســلام ثلاثة أشــهر ، لا ينازعه أحــد ، ولا يمكنــه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ، ووقع فى أصحابه الوباء فاضطر الى الانصراف بعد أن حمل اليه مال المصيصة[٤] » . وفضلا عن ذلك يورد الصابى فى رسائله أن أبا تغلب بن ناصر الدولة هــادى ملك الروم ، وقاد اليه الخيل الاصلية والحور وصــلبان الذهب[٥] . مما يؤكد قيــام علاقات تجارية بين الطرفين ـــ الحمدانيين والروم ـــ وأن الروم حرصــوا ـــ برغم عدائهم للمسلمين ـــ على صيانة هذه العلاقات وتدعيمها لمصلحتهم وأن المسلمين ـــ رغم عامهم بمشــاعر

---

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠٢ .

(٢) Shedd : Islam and the Oriental Churches P. 196 - 248.

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢/٢٠٣ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢/٢٠٨ .

(٥) الصابى : رسائل الصابى ١/٨٩ .

الروم العدائية — لم يمانعوا فى ذلك تماشيا مع الحاجات الضرورية للبشر والامم •

هكذا تنقضى فى هذه الفترة تماما — بعد سيف الدولة ٣٥٦ — ٣٩٤ هـ / ٩٦٧ — ١٠٠٣ م — سلطة الحمدانيين من حلب ، كما اختفت أيضا من الموصــل منذ عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م •

لقد كان خلفاء سيف الدولة فى سوريا ، واقعين تحت سيطــرة النفوذ البيزنطى ، بينما استمرت الحرب فى منطقة بلاد الشام والهلال الخصيب (الميزوبوتوميا) وهى الحرب التى فاز فيها الحمدانيون فى اقليم الجــزيرة بانتصار على الروم كان من أبرز معالمــه أسر قائد الجيش البيزنطى •

ومن ناحية أخرى نجــد أن امبراطورية الروم استطاعت كسب أراضى فى هذه المواجهة مع المسلمين فى أعلى الشام واقليم الجزيرة • ثم يســود الهدوء تلك المنطقة لمدة ثلاثين عاما فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العــاشر الميلادى) • وكان السبب فى هــذا الهــدوء الذى شهدته جبهــة الثغور الاســلامية البيزنطية فى هذا الوقت ، يرجع الى انشغال الروم فى مواجهة المتغيرات ، التى طرأت على منطقة الحوض الشرقى للبحر المتوســط ، بانتقال الفاطميين من بلاد المغرب الى مصر ، التى اتخذوها مقرا لخلافتهم الشيعية • وكان القلق البيزنطى نابع من احســاسهم بأن الفاطميين — وكانوا قــوة بحرية لها وزنها آنذاك فى عالم البحر المتوســط — اعتبروا مصر نقطة التى يبسطون منها نفوذهم على بلاد الشــام ، وصــولا الى ديار الخلافة العباسية وأملاكها فى الشرق •

المـلاحق

ثبت بالخلفاء الراشدين المعاصرين
فترة البحث*

مسلسل	الترتيب بين الخلفاء	اسم الخليفة ولقبه	فترة حكمه بالتقويم الهجرى	فترة حكمه بالتاريخ الميلادى
١	١٠	أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم	٢٣٢ — ٢٤٧هـ	٧٤٧ — ٨٦١م
٢	١١	أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل على الله	٢٤٧ — ٢٤٨هـ	٨٦١ — ٨٦٢م
٣	١٢	أبو العباس احمد المستعين بالله محمد بن المعتصم	٢٤٨ — ٢٥٢هـ	٨٦٢ — ٨٦٦م
٤	١٣	أبو عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل .	٢٥٢ — ٢٥٥هـ	٨٦٦ — ٨٦٩م
٥	١٤	أبو اسحق محمد المهتدى بالله بن الواثق .	٢٥٥ — ٢٥٦هـ	٨٦٩ — ٨٧٠م
٦	١٥	أبو العباس أحمد المعتمد على الله بن المتوكل	٢٥٦ — ٢٧٩هـ	٨٧٠ — ٨٩٢م
٧	١٦	أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل	٢٧٩ — ٢٨٩هـ	٨٩٢ — ٩٠٢م
٨	١٧	أبو محمد على المكتفى بالله بن المعتضد .	٢٨٩ — ٢٩٥هـ	٩٠٢ — ٩٠٨م
٩	١٨	أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد .	٢٩٥ — ٣٢٠هـ	٩٠٨ — ٩٣٢م
١٠	١٩	أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد .	٣٢٠ — ٣٢٢هـ	٩٣٢ — ٩٣٤م

١١	٢٠	أبو العباس أحمد الراضى بالله بن المقتدر .	٣٢٢ — ٣٢٩هـ	٩٣٤ — ٩٤٠م
١٢	٢١	أبو اسحق ابراهيم المتقى بالله بن المقتدر .	٣٢٩ — ٣٣٣هـ	٩٤٠ — ٩٤٤م
١٣	٢٢	أبو القاسم عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى	٣٣٣ — ٣٣٤هـ	٩٤٤ — ٩٤٦م
١٤	٢٣	أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر .	٣٣٤ — ٣٦٣هـ	٩٤٦ — ٩٧٤م
١٥	٢٤	أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله	٣٦٣ — ٣٨١هـ	٩٧٤ — ٩٩١م
١٦	٢٥	أبو العباس أحمد القادر بالله بن اسحق بن المقتدر	٣٨١ — ٤٢٢هـ	٩٩١ — ١٠٣١م

* اعتمدت فى ذلك على :

١ — زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى — ترجمة حسن أحمد محمود وسيدة كاشف . (جزءان) .

٢ — أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية (جزءان) .

٣ — محمود سعيد عمران (مترجم) : كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية لمؤلفه الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) .

ثبت الحمدانيون فى حلب
٣٣٣ — ٣٩٤هـ / ٩٤٤ — ١٠٠٣م

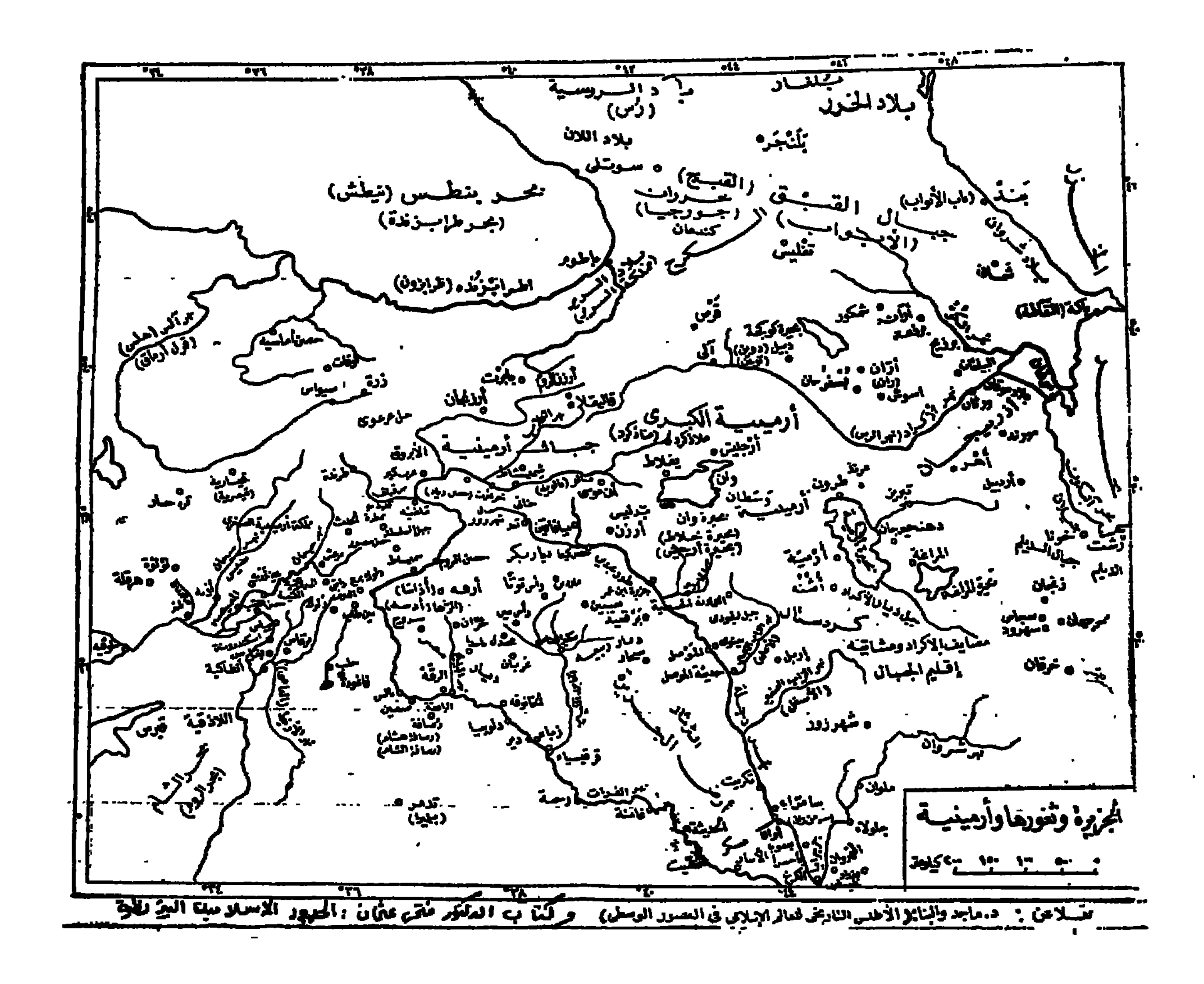
مسلسل	الاسم واللقب	فترة الحكم بالتقويم الهجرى	فترة الحكم بالتاريخ الميلادى
١	أبو الحسن على ، سيف الدولة الحمدانى	٣٣٣ — ٣٥٦هـ	٩٤٤ — ٩٦٧ م
٢	سعد الدولة ، أبو المعالى شريف الحمدانى	٣٥٦ — ٣٨١هـ	٩٦٧ — ٩٩١ م
٣	سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد الحمدانى	٣٨١ — ٣٩٢هـ	٩٩١ — ١٠٠١م
٤	أبو الحسن على أبو المعالى شريف الثانى	٣٩٢ — ٣٩٤هـ	١٠٠١ — ١٠٠٣م

ثبت بأسماء الأباطرة البيزنطيون
فى فترة البحث*

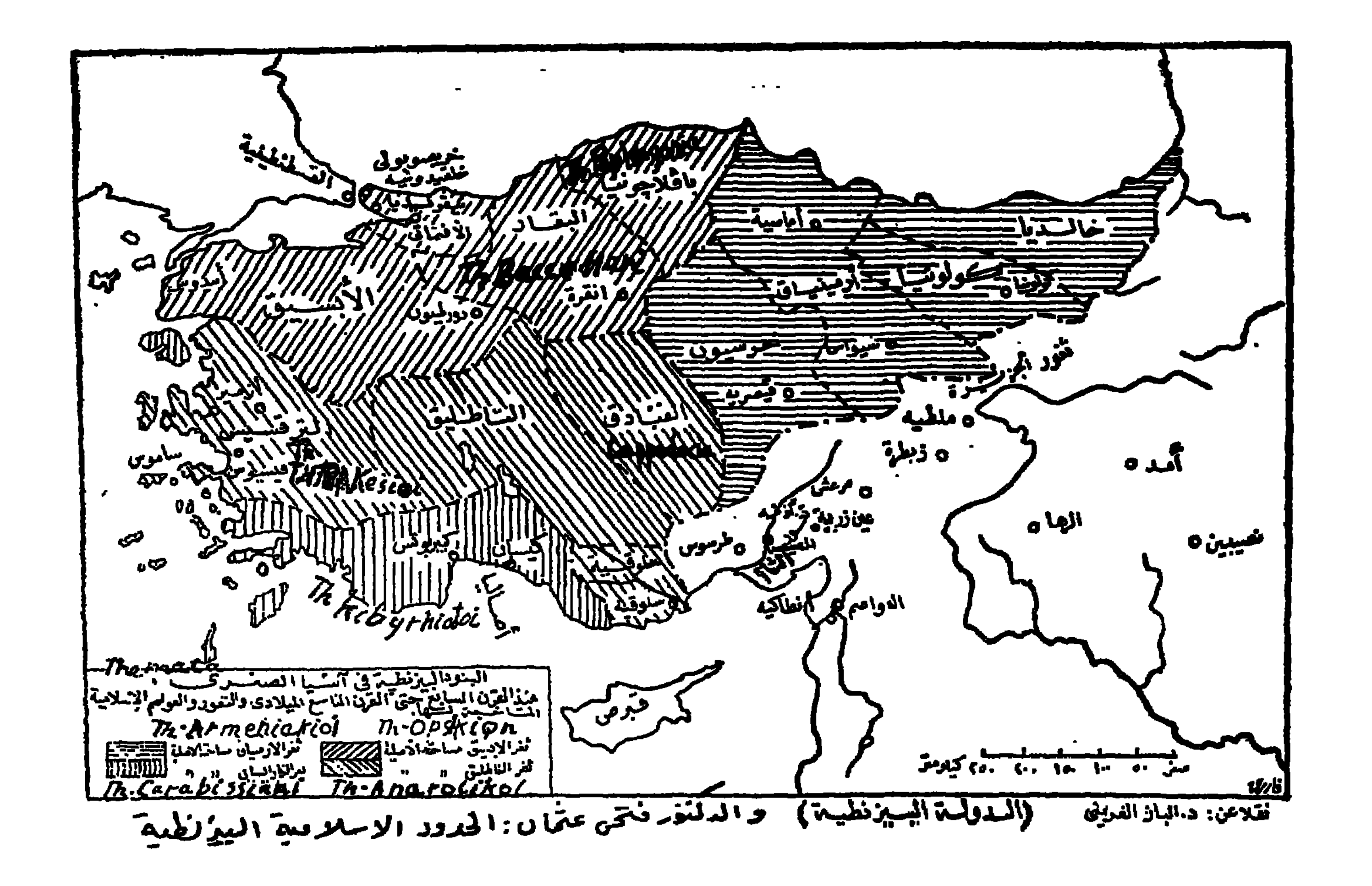
مسلسل	الترتيب بين الأباطرة	اسم الخليفة ولقبه	فترة حكمه بالتقويم الهجرى	فترة حكمه بالتاريخ الميلادى
١	٤١	ميخائيل الثالث « السكير » (الاسرة المقدونية) .	٨٤٢ — ٨٦٧ م	٢٢٧ — ٢٥٣هـ
٢	٤٢	باسيل الأول .	٨٦٧ — ٨٨٦ م	٢٥٣ — ٢٧٢/٢٧٣هـ
٣	٤٣	ليو السادس « الحكيم »	٨٨٦ — ٩١٢ م	٢٧٣ — ٢٩٩/٣٠٠هـ تقريبا
٤	٤٤	السكندر	٩١٢ — ٩١٣ م	٣٠٠/٣٠١هـ
٥	٤٥	قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) اشترك معه رومانوس الأول ليكابيونس من ٩١٩—٩٤٤م	٩١٣ — ٩٥٩ م	٣٠١ — ٣٤٧/٣٤٨هـ
٦	٤٦	رومانوس الثانى .	٩٥٩ — ٩٦٢ م	٣٤٧/٣٤٨—٣٥٠هـ
٧	٤٧	نقفور فوقاس .	٩٦٣ — ٩٦٩ م	٣٥١ — ٣٥٨هـ
٨	٤٨	يوحنا زيمسكس (ابن الشمشقيق عند العرب)	٩٦٩ — ٩٧٦ م	٣٥٨ — ٣٦٥/٣٦٦هـ
٩	٤٩	باسيل الثانى « سفاح البلغار » .	٩٧٦ — ١٠٢٥م	٣٦٦ — ٤١٦هـ

* اعتمدت فى هذا الثبت على كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية الذىكتبه الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) ونقله للعربية الدكتور محمود سعيد عمران .

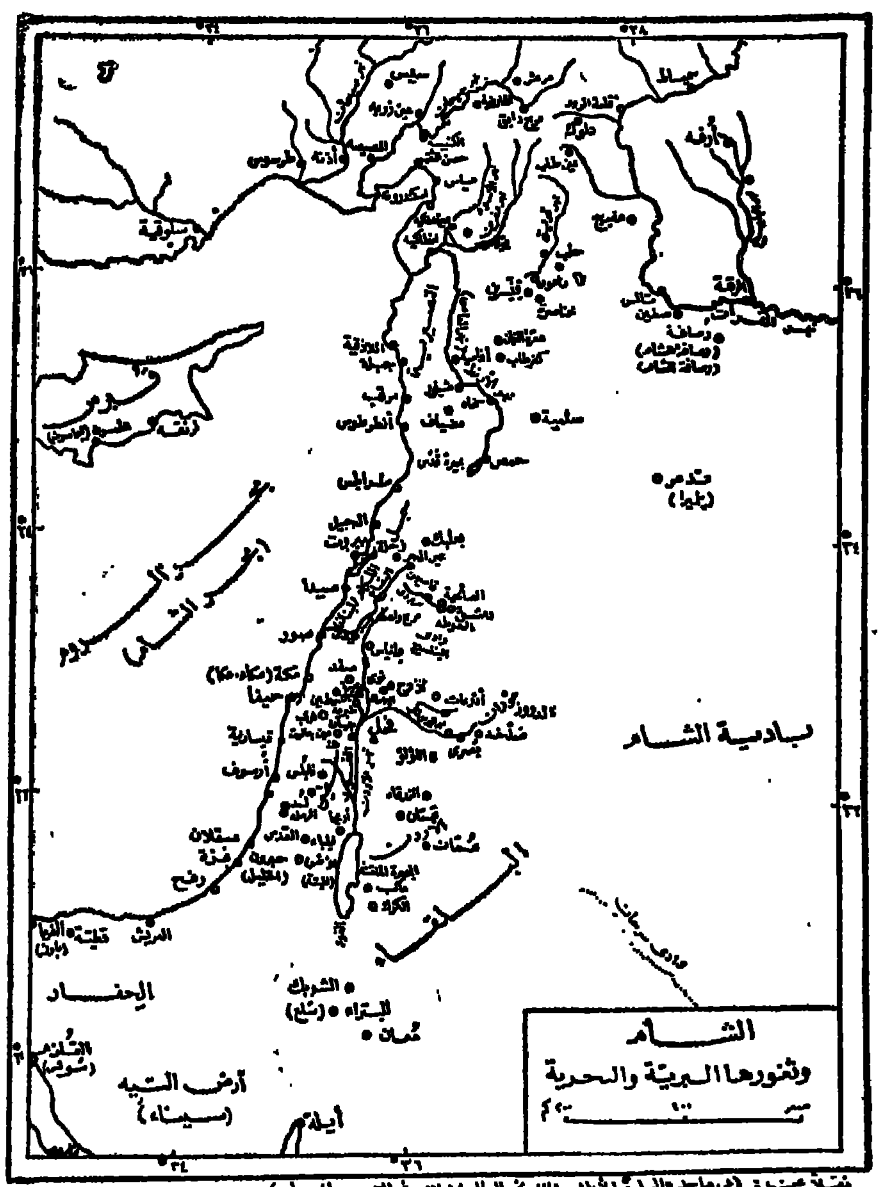
كما واءمت التواريخ الميلادية بالتواريخ الهجرية على وجه التقريب معتمدا على كتاب اللواء مختار الهامى باشا : « التوفيقات الالهامية » .



نقلا عن : د. ماجد و(الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى) وكتاب الدكتور فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية



نقلا عن: د. الباز العريني (الدولة البيزنطية) والدكتور فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية

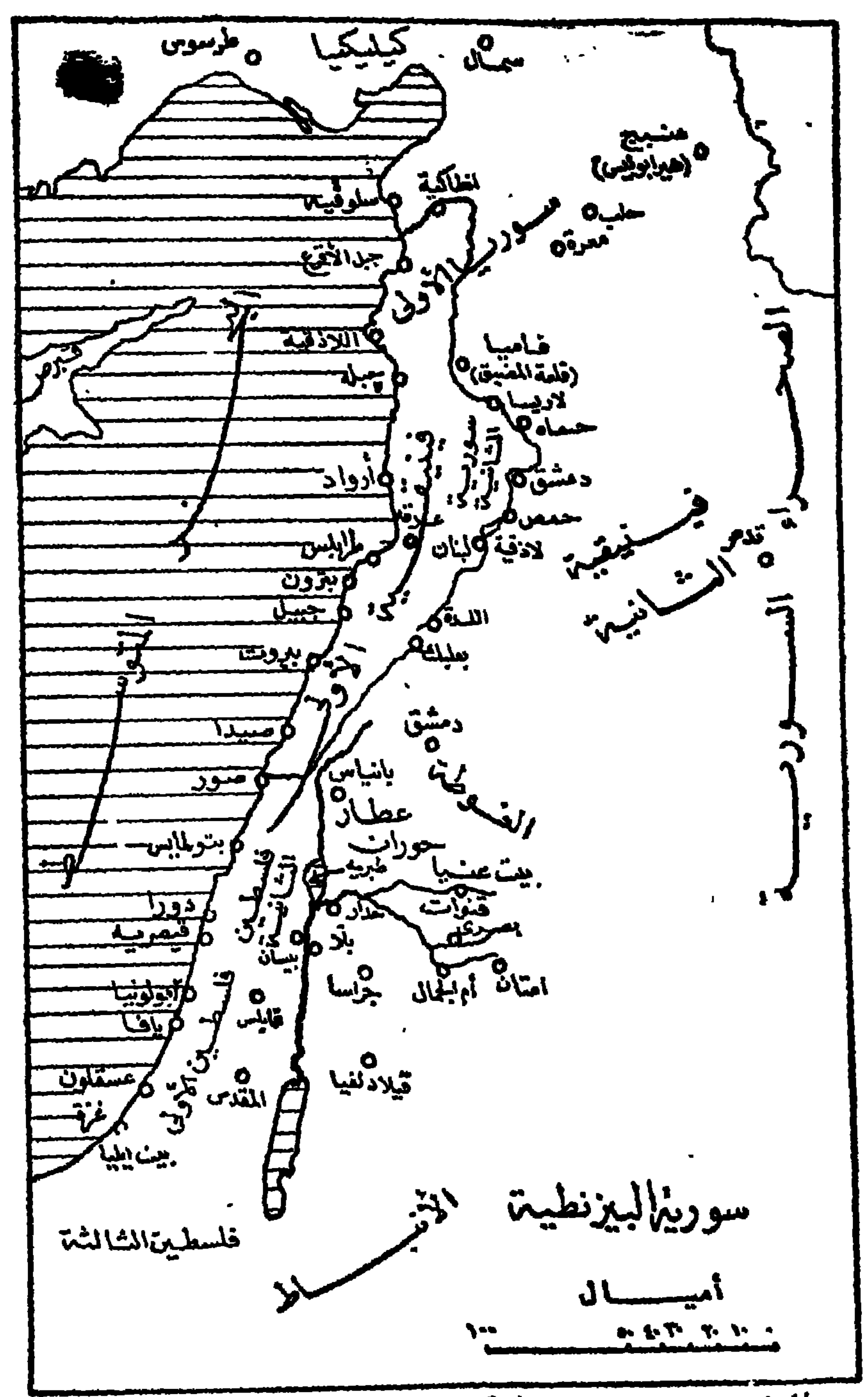


نقلاً عن : (د. ماجد والباشا في الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى)
(و الدكتور فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية).



البنود البيزنطية فى أواسط القرن العاشر تقريبًا
مقياس الرسم ١ : ١٥٠٠٠٠٠٠

نقلا عن: Vasiliev L'Empire Byzantine و الدكتور فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية



نقلا عن: Philip Hitti. History of Syria

(و دكتور فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

(أ) المصـــادر العربيـــة :

١ ـ ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) ، على بن أحمد بن أبى الكرم ـ الكامل فى التاريخ • ط • بولاق ، مصر ، ١٢٧٤ هـ • ١٢ جزءا •

٢ ـ ابن الازرق •

ـ تاريخ الفارقى (تاريخ ميافارقين) •

٣ ـ الاصـــطخرى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، أبو اسحق ابراهيم ابن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى •
ـ مسالك الممالك • نشرة دى غوية ضمن المجموعة الجغرافية العربية • الجزء الاول من المجموعة • طبعة ليدن ، بريل ١٩٢٧ و ١٩٦٧ م •

٤ ـ الاصفهـــــانى (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) ، أبـــو الفـــــرج •
ـ كتاب الاغانى • ط • القـــاهرة ، ١٢٨٥ هـ ، ط • ١٩٢٧ — ١٩٣٦ م •

٥ ـ الانطاكى ، يحيى بن سعيد (أفتيشسيوس) •

ـ تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى (يلى تاريخ ســـعيد بن البطريق المسمى « كتـــاب التـــاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » والمعروف بصلة أوتيخا • نشره كراتشكوفسكى وفازيليف فى مجلة
Patrologia Orientalis, vols. : 8, 9, 1924.
موجود بمكتبة دير الآباء الدومينيكان ، العباسية ، القـــاهرة مصر برقم
2898/1 — F — 16, 2901/1 — F — 16

٦ — البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر

— كتاب فتوح البلدان . نشره ووضع ملاحقه وفهارسه الدكتور صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م .

٧ — بورفيروجنتس ، قسطنطين السابع « الامبراطور » .

— كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية . تعريب وعرض وتحليل وتعليق د. محمود سعيد عمران ، طبعة دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٨ — الثعالبى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك ابن حمدان اسماعيل النيسابورى .

— يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط. مصر ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م و ط. ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

٩ — ابن الجوزى (٥٠٨ هـ — ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن ابن على بن محمد بن على .

— المنتظم فى تاريخ الملوك والامم . ١٠ أجزاء ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٥٧ هـ .

١٠ — ابن حزم (ولد ٣٨٤ وتوفى ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الاندلسى .

— جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

١١ — ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) : أبو القاسم محمد .

— صورة الارض . ط. بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ م ، نشره J.H. Kramers ضمن المجموعة الجغرافية العربية (B.A.G.)

١٢ — ابن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ هـ) ، عبد الله بن أحمد ابن خرداذبة أبو القاسم .

— المسالك والممالك . نشره دى غوية ، ضمن المجموعة العربية (الجزء السادس من المجموعة ، ط. بريل ، ليدن ١٩٦٧ م ومعه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر) .

١٣ — ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ولى الدين « عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون الحضرمى .

— تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ذكر أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر . ط. بولاق ، مصر ، ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م (٨ أجزاء)

١٤ — ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) شمس الدين أحمد

— وفيات الاعيان . ط. القاهرة ، ١٣١٠ هـ .

١٥ — الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبى .

— تاريخ دول الاسلام . مخطوطة مصورة عن نسخة المكتبة الاحمدية بحلب ، محفوظة بمعهد المخطوطات العربية بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ، مصر تحت رقم ٦٥ / ٥٨٠ .

ونسخة أخرى عن حيدر آباد ، الدكن ، الهند . ط. مطبعة جمعية دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ هـ . و ١٣٦٤ هـ . وقد نشر فى القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ باسم « تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » .

١٦ — ابن رستة (ت حوالى ٢٩٠ / ٩٠٣ م) ، أبو على أحمد بن عمر

— الاعلاق النفيسة . نشرة دى غويه ضمن المجموعة العربية ، ط. ليدن ، بريل ، ١٩٦٨ م .

١٧ — ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) محب الدين شيخ الاسلام أبو الوليد محمد .

— الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب . ط. مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت .

١٨ — ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خليفة الحلبى .

— الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ينتهى الجزء الاول منها عند سنة ٣٩٣ هـ ، وعدد أوراقه ١٥٠ ورقة .

١٩ — الصابى (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) ، الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد — رسائل الصابى .

٢٠ — الصولى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) أبو بكر محمد بن يحيى .

— أخبار الراضى بالله والمتقى لله (أو تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢ هـ الى ٣٣٣ هـ من كتاب الاوراق) .
نشره هيوارث دن ، القاهرة ، ١٩٣٥ م .

٢١ — الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)

— تاريخ الامم والملوك . نسخة بريل ، ليدن ، ١٩٦٨ م . ١٣ جزءا
ونسخة أخرى ط. المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١١ جزءا

٢٢ — أبو الطيب المتنبى .

— ديوان المتنبى . شرح اليازجى ، ط. بيروت ، ١٨٨٧ م .

٢٣ — ابن ظافر الأزدى (ت ٦٢٣ هـ) ، جمال الدين أبو الحسن على ابن كمال الدين بن حسين الازدى المصرى .

— كتاب أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس أو كتاب أخبار

الدول المنقطعة • مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، القاهرة تحت رقم ٨٩٠ / تاريخ •

٢٤ — ابن عبد الحق البغدادى (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) •

— مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع • تحقيق البجاوى ، ط• دار احياء الكتب العربية •

٢٥ — ابن العبرى (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) جريجوريوس أبو الفرج ابن هارون الملطى المعروف بان العبرى •

— تاريخ مختصر الدول • ط• ثانية ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ، ١٩٥٨ م •

٢٦ — ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله •

— زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشره محمد سامى الدهان دمشق ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م •

٢٧ — ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) •

— شذارات الذهب فى أخبار من ذهب • نشر مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ •

٢٨ — أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة •

— المختصر فى أخبار البشر : « المعروف بتاريخ أبى الفدا »
ط• استنبول ١٢٨٦ هـ (٤ أجزاء فى مجلد واحد)

٢٩ — أبو فراس (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ — ٩٦٨ م) الحارث بن سعيد ابن حمدان •

— ديوان أبو فراس ، شرح ابن خالوية أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن أحمد (٣٠٠ — ٣٧٠م) ، تحقيق محمد سامى

الدهان ، ط• دمشق ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية ، ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ •

— ونسخة أخرى ط • بيروت ، ١٩١٠ م •

٣٠ — قدامة بن جعفر (ت حول ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) ، أبو الفرج بن جعفر الكاتب البغدادى •

— نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتاب • نشره دى غوية ، ليدن ، بريل ، ١٨٨٩ م •

— ونسخة أخرى ملحقة بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، الجزء السادس من المجموعة الجغرافية العربية ، نشر دى غوية ، ط• بريل ليدن ، ١٩٦٧ م •

٣١ — القرطبى ، عريب بن سعد (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ — ٩٧٧ م) •
صلة تاريخ الطبرى • نشر دى غويه ، ليدن بريل ، ١٨٩١
ونسخة أخرى طبعة القاهرة ، ١٣٢٠ هـ •

٣٢ — ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ، أبو يعلى حمزة •

— ذيل تاريخ دمشق • نشر وتحقيق أمدروز (Amedroz)
طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م •

٣٣ — القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على

— صبح الاعشى فى صناعة الانشا • طبعة المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٣٣١ — ١٣٣٨ هـ / ١٩١٣ — ١٩١٨ م (١٤ جزءا)

٣٤ — ابن كثير (٧٠٠ — ٧٧٤ هـ) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن عمر •

— كتاب البداية والنهاية فى التاريخ • طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٢ م •

٣٥ — أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى .

— النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م — ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م (٨ أجزاء)

٣٦ — المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى .

— التنبيه والاشراف . ط. دى غوية ، ليدن ، بريل ، ١٨٩٣ م . وط. القاهرة ، ١٣٥٧ هـ / ١٨٣٨ م .

٣٧ — مروج الذهب ومعادن الجوهر . جزآن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ وترجمه الى الفرنسية باربييه دى مينار Barbier de Meynard تحت عنوان Prairies d'Or باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م .

٣٨ — ابن مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد .

— تجارب الامم وتعاقب الهمم . ط. مطبعة التمدن الصناعية مصر المحمية ، ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م . بالأوفست . ج ٢ (حوادث السنوات من ٣٢٩ — ٣٦٩ هـ) .

٣٩ — المقدسى (حوالى ٣٨٧ هـ) شمس الدين أبو عبد الله البشارى

— أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم . طبعة ليدن ، بريل بالاوفست ١٩٦٨ م (ضمن المجموعة الجغرافية العربية . نشر دى غوية .
الجزء الثالث من المجموعة) .

٤٠ — المقرى (١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م) ، تقى الدين أحمد بن على .

— نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . ط. بولاق ، ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م (٤ أجزاء)

٤١ — ابن نباتة (٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م) أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل ابن نباته الفارقى .

— ديوان الخطب ابن نباتة ، بيروت ، ١٣١١ هـ .

٤٢ — ابن الوردى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر أبى الفوارس محمد الوردى .

— تاريخ ابن الوردى (تتمة المختصر فى أخبار البشر) تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م (الجزء الاول) .

٤٣ — ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى .

— معجم البلدان . ط . القاهرة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٨ م (١٠ أجزاء)

و ط . الخانجى ، مصر ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م ، وطبعة ليبزج نشر وستنفلد ١٨٦٦ — ١٨٧٣ م ، ونسخة ط . شتوتجارت ، نشرها Sachnider Von Oscar Rescher ١٧٧٨ م(٨ أجزاء)

٤٤ — اليعقوبى ، أحمد بن واضح (ت بعد ٢٨٤ هـ / وحوالى ٢٩٢ هـ) — كتاب البلدان (كتب حوالى ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) . ملحق بالاعلاق النفيسة لابن رستة ، ضمن المجموعة الجغرافية العربية ، ط . بريل ، ليدن ، ١٩٦٨ . بالاوفست .

(ب) المراجع العربية الحديثة والمعربة :

٤٥ — ابراهيم أحمد العدوى

— دراسات فى التاريخ البيزنطى . مقال منشور بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثانى ، العدد الثانى ، أكتوبر ، ١٩٤٩ م

٤٦ — ارشيبالد ، لويس

— القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ — ١١٠٠ م) ، نقله للعربية أحمد محمد عيسى ، راجعه وقدم له محمد شفيق غربال ، القاهرة ١٩٥٦ م •

٤٧ — أحمد السعيد سليمان •

— تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ، ط• دار المعارف مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ م (جزآن)

٤٨ — أسد رستم

— الروم « فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب •

دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٥ م • (جزءان فى مجلدين)

٤٩ — بينز ، نورمان

— الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠ م •

٥٠ — جاسم الخلف

— محاضرات فى جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ط• معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٩ م •

٥١ — الخانجى ، محمد أمين

— منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان • ط• أولى ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م •

٥٢ ــ حسن ابراهيم حسن

ــ تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .
دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط. سابعة ، ١٩٦٤ م .
(٣أجزاء)

٥٣ ــ دائرة المعارف الاسلامية . وضع مجموعة من العلماء .
تعريب أحمد زكى خورشيد وآخرون . ط. القاهرة . دار
الشعب .

٥٤ ــ زامباور

ــ معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى
ترجمة حسن أحمد محمود وسيدة كاشف وآخرون ، طبعة
مطبعة جامعة القاهرة ، (جزءان) .

٥٥ ــ سامى الكيالى

ــ سيف الدولة وعصر الحمدانيين . دار المعارف بمصر ،
١٩٥٩ م .

٥٦ ــ السيد الباز العرينى

الدولة البيزنطية (٣٢٣ ــ ١٠٨١ م) . دار النهضة العربية
القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٥٧ ــ صابر دياب

ــ أرمينية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس
الهجرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٥٨ ــ عبد المنعم ماجد

ــ التاريخ السياسى للدولة العربية . مكتبة الانجلو المصرية
القاهرة ، ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م . (جزءان)

٥٩ — عمر كمال توفيق

— مقدمات العدوان الصليبى — « الامبراطور يوحنا » زيمسكيس وسياسته الشرقية » . الاسكندرية ، ١٩٦٦ م .

٦٠ — فازيليف ، أ . أ .

— العرب والروم . ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

٦١ — فتحى عثمان

— الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى طبعة الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ (٣ أجزاء)

٦٢ — فيصل السامر

— الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب . ط . جامعة بغداد ١٩٧٣ م ج ١ : فى الموصل ، ج ٢ : فى حلب (جزءان)

٦٣ — الكبيسى ، حمدان عبد الحميد

— عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ — ٩٣٢ م) طبعة جامعة بغداد ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٦٤ — لى سترانج ، جاى Lestrange., Guy.

— بلدان الخلافة الشرقية . تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، نشر المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، ١٩٥٤ م

٦٥ — محمد جمال الدين سرور

— تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق . « من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى » . القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٦٦ — محمد كرد على

— خطط الشام . طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م (٦ أجزاء في ٣ مجلدات)

٦٧ — مختار الهامى باشا : (اللواء المصرى)

— التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية . ط. أولى مطبعة بولاق الميرية ، ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ — ١٨٩٤ م

٦٨ — مصطفى الشكعة

— سيفة الدولة أو مملكة السيف ودولة الاقلام . نشر عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة المثنى بالقاهرة ، ط. ثانية ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1 — Allen, W.E.D.

The History of the Georgian People «from the Begining to the Russian Conquest in the 19th Century». Introducing by : Sir Denision Roso, London, Kegan Paul, 1932.

2 — Brehier, Louis.

Le Monde Byzantine «Vie et mort de Byzance», A. Michele, Co., Paris, 1947.

3 — Brooks, E.W.

Arabic Lists of Themes (Journal of Hellenic Studies, Vol. 21, 1901).

4 — Burry, T.B.

History of the later Roman Empire. London, 1931. (2 vols.)

5 — Cambridge Medieval History, Cam. Univ Prs., England, 1913.

6 — Canard, Marius.

Histoire de la Dynastie des Hamanides de Jazira et des Syrie. Alger, 1961 & Paris, 1974 Tome 1.

7 — Canard, M.

Arabes et Bulgares au dèbut du Xème Siècle. (Byzantion, 1936, pp. 213 - 223).

8 — Defremery

Memoires sur la Famille des Sajides (J. Asitique, Serie 4, IX 1847 & 4, 1848).

9 — Dussaud :

Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale, Paris, 1927.

10 — Finlay, George

History of Byzantine Empire (716 - 1507 A.D.) London, 1859, 1865.

11 — Fintay, G.

History of the Greece from the Conquest by the Romans to the Present times (146 B.C. — 1864 A.D.), Oxford, 1877 (7 vols.)

12 — Grousset, René.

Histoire de L'Armenié des Origines à 1071. Payot, Paris, 1947.

13 — Huart :

Sajides. (Encyclopaedia of Islam.)

14 — Laurent, J. :

Les Bagratuni Sont en Georgie de la IX Siécle.

15 — Laurent, J. :

L'Armenie Entre Byzance et l'Islam, Depuis la Conquente Arabe Jusquen en 886. Paris, 1919.

16 — Ostrogorowsky, G.

History of Byzantine State (tr. Hussey), Oxford. 1961.

17 — Paul, Bourain.

Allep, Autrefois et Aujourd hui. Alep, 1930.

18 — Runciman, Steven.

The Emperor «Romanus Lecapenus».

19 — Schlumberger, G. :

Un Empreur Byzantine au 10ème Siécle «Nicephore Phocas«. Paris, 1923.

20 — Sourdel, Dominique.

Le Visirate Abbasside de 749 a 936 (132 A 324 de l'Hegire). Damas, 1960 Tome : 2.

21 — Sterck :

Art. : Aremenia (Ency. of Islam, vol. I, p. 637 etc).

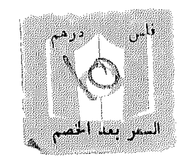
والطبعة العربية مادة « أرمينية » جـ ١

23 — Vasiliev, A.A.

History of the ,Byzantine Empir. Wisconsin, U.S.A., 1952. & Madison, 1961. (2 vols.).

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٤٥/٨٤

المطبعة التجارية الحـــديثة
٢٠٢ شارع اديس راغب ـــ ت ٩٠٣٣٦٤


ناس
درهم
السعر بعد الخصم